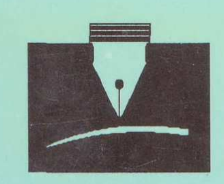




كتاب الشهر

عديّ بن الرقاع العامليّ
حياته وشعره

تحسين محمد الصلاح



سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عديّ بن الرّقاع العامليّ
حياته وشعره

رقم التصنيف : ٩٢٨٫١١

المؤلف ومن هو في حكمه : تحسين محمد الصلاح

عنوان الكتاب : عدي بن الرقاع العاملي : حياته وشعره

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ والجغرافيا

٢ - الشعراء العرب - تراجم

بيانات النشر : عمان : وزارة الثقافة .

* تمّ اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

١٩٩٩/١٠/١٨٨٦

الطبعة الاولى : ١٩٩٩

الناشر : وزارة الثقافة

عمان / شارع وصفي التل

ص . ب ٦١٤٠.

هاتف ٥٦٩٦٢١٨ مقسم ٤ خطوط .

فاكس٥٦٩٦٥٩٨

- الصف الضوئي والاخراج والطباعة / مطابع الايمان/ هاتف ٤٧٨٨٠٩٠ - ٤٧٨٨٠٨٠

- اخراج وتنفيذ الغلاف : مركز البتّيري للخدمات الأدبيه والفنية

- عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة

كتاب الشهر ٣

عديّ بن الرّقاع العامليّ
حياته وشعره

تحسين محمد الصلاح

وزارة الثقافة
عمان / الاردن
١٩٩٩



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة



المقدمة

ما تزال حياة الشعر في بلاد الشام في العصر الأموي غامضة لم تدرس درساً علمياً شاملاً ، على نحو ما درست حياة الشعر في البيئات الأخرى في هذا العصر ، مثل بيئة الكوفة والبصرة وخراسان . ولذلك رأيت أن أدرس حياة عدي بن الرقاع الشامي وشعره لعلّي أجلو جانباً محدوداً من حياة الشعر في بلاد الشام ، وأكشف عن جوانب شخصيته المختلفة .

وشعر عدي يلقي الضوء على جوانب مهمّة من الحياة السياسية والثقافية في العصر الأموي ، ويكشف عمّا كان يدور في قصور الخلفاء الأمويين من مجالس أدبية ومساجلات شعريّة ، ويبيّن مدى اهتمام خلفائهم بجوانب المعرفة المختلفة .

ولم تدرس حياة عدي وشعره دراسة كافية من قبل الدارسين إلاّ دراسة الأستاذ خليل مردم التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق [١] ، وقد أراد الأستاذ مردم بها التعريف بعدي وشعره ؛ فتحدّث باختصار عن حياته وأخباره ، وأثبت في نهاية دراسته ما جمعه من شعره ، ولم تأت هذه الدراسة على مختلف جوانب حياة عدي وشعره.

وأما بقيّة الباحثين الذي تحدّثوا عنه في كتبهم مثل الأستاذ محمد عبدالعزيز الكفراوي[٢]، والشيخ عبدالجواد رمضان[٣] ، والدكتور عمر فرّوخ [٤]، والسيد محسن الأمين العاملي [٥] ، والدكتور مصطفى الشكعة [٦] ، والدكتور شوقي ضيف [٧] ، فقد اقتصر

١- انظر : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الأول ص ٢٤٥ والجزء الثاني ص ٣٤٠.

٢- محمد عبدالعزيز الكفرواي: تاريخ الشعر العربي ١٠٤:١.

٣- مجلة الأزهر ، المجلد الثاني والعشرون ١٩٥٠ ص ٨١٤.

٤- د. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٥٦٧:١.

٥- محسن الأمين العاملي: خطط جبل عامل ص ٤٢.

٦- د. مصطفى الشكعة: رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ص ٢٤٥.

٧- د. شوقي ضيف : العصر الإسلامي ص ٣٤٣.

حديثهم عن عدي على إيراد بعض أخباره وشعره ، وكانت دراستهم له قصيرة وسريعة .

وعديّ بن الرّقاع هو أول شاعر نبغ في الأردن منذ فتح المسلمون بلاد الشام حسب ما وصل إلينا من المصادر الأدبية ، وكانت بلاد الشام في عصره مسرحاً لمعارك وحروب وقعت بين الأمويين ومعارضيهم، وتأججت نار العصبية القبلية في هذه المنطقة ، فوقف عدي موقف المدافع عن بني أمية ، يقول في معركة مرج راهط:

لولا الإلهُ وأهْلُ الأُرْدُنِ اقْتَسِمَتْ
نارُ الجماعةِ يومَ المرجِ نيرانـــــا
كانوا زِوارا لأَهْلِ الشَّامِ قدْ عَلِموا
لمّا رأوا فيهِمُ جـــوراً وطُغيانـــــا

وقد لقب عدي بشاعر أهل الأردن ، وشاعر أهل الشام ، حيث ازدحمت في شعره المواقع الأردنية والشامية ازدحاماً ملفتا ، ويعد شعره بحق معجماً جغرافياً وسجلاً لتلك المواقع.

هذه الأسباب مجتمعة جعلتني أواصل البحث في حياة عدي وشعره ، وهي المحاولة الأولى لدراسته دراسة علمية وافية . وقد أقمتها على ما تجمّع لديّ من أخباره وشعره ، إذ بحثت عنها في المصادر المختلفة المخطوطة والمطبوعة ، فوجدت فيها إشارات كثيرة تشيد بالشاعر وشعره ، وتبيّن تميّزه عن غيره من الشعراء ، ووجدت فيها بعض الآراء النقدية التي تتعرّض لما في شعره من عيوب.

وكانت مهمّتي في هذا البحث شاقّة بسبب المشكلات التي واجهتني ، مثل قلّة ما كتب عنه ، وصعوبة الحصول على بعض أشعاره المخطوطة ، إذ حاولت الحصول على قطعة مخطوطة من ديوانه ، محفوظة في خزانة التاجر محمد الأمين الخانجي البحراني نزيل طهران،

عن طريق عدد من الناشرين الهنود الذين يرتحلون إلى طهران بين الفينة والأخرى ليبحثوا عن نوادر المخطوطات ، ولكنّهم لم يتمكنوا من العثور عليها ، واتصلت بالدكتور حسين علي محفوظ في جامعة بغداد ، الذي يحتفظ بنسخة مصورة عن تلك القطعة لعلّه يزوّدني بصورة عنها ، ولكن من دون جدوى ، واتصلت ببعض زملائه في جامعة بغداد ، أطلب منهم مساعدتي في الحصول على تلك الصورة ، ولكنّهم لم يتمكنوا من ذلك لأسباب تتعلّق بالدكتور محفوظ . فاضطررت إلى إقامة دراستي على ما جمعته من شعره ، وهو يزيد عن ستمائة بيت .

وجاءت دراستي هذه في مقدمة وأربعة فصول ، تحدّثت في الفصل الأول عن قبيلة الشاعر وموطنها ومواقفها في الجاهلية والإسلام، وبحثت في سيرة عدي من مختلف جوانبها، فعرضت لمولده ، وأسرته وثقافته ووفاته.

وعرضت في الفصل الثاني لعلاقات عدي ومواقفه السياسية ، وبيّنت منزلته عند خلفاء بني أمية ، وانعكاس هذه المنزلة على حياته وشعره ، وتحدّثت عن علاقته بمعاصريه من الشعراء وغيرهم.

وعقدت الفصل الثالث لدراسة موضوعات شعره ، فتحدّثت عن فن المدح على أنه أحد الأغراض المهمة التي طرقها واشتهر بها ، ثمّ عرضت لبقيّة أغراض شعره .

وخصّصت الفصل الرابع لدراسة شعره دراسة فنيّة ، فبحثت في بناء قصيدته ، وعرضت للغته وصوره الفنيّة .

وأما المصادر التي أقمت دراستي عليها فكثيرة متنوّعة ، وهي تتوزّع بين كتب التاريخ والأنساب والتراجم وكتب البلدان ومعجمات اللغة والمجموعات الشعرية والكتب الأدبية والنحوية والنقدية.

فمن الكتب التاريخية التي اعتمدت عليها تاريخ خليفة بن خياط ، والأخبار الطوال

وتاريخ اليعقوبي ، وتاريخ الطبري ، ومروج الذهب . ومن كتب الأنساب التي رجعت إليها نسب قريش ، وأنساب الأشراف ، ونسب عدنان وقحطان.

ومن كتب التراجم التي أفدت منها الشعر والشعراء ، والأغاني ، والمؤتلف والمختلف ، ومعجم الشعراء ، وتاريخ دمشق وعيون التواريخ .

ومن كتب البلدان التي انتفعت بها معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان . ومن معجمات اللغة التي عولت ، الصحاح ، والتكملة والذيل والصلة ، ولسان العرب ، وتاج العروس.

ومن الكتب الأدبية والنقدية والنحوية التي عدت إليها البيان والتبيين ، والحيوان ، وعيون الأخبار ، والكامل للمبرّد ، والعقد الفريد ، وأمالي القالي ، وديوان المعاني ، والعمدة ، ونهاية الأرب ، وشرح شواهد المغني ، وشرح أبيات مغني اللّبيب.

وأهم هذه المصادر جميعاً هو كتاب الأغاني الذي يشتمل على أخبار كثيرة عن عدي، وله فيه ترجمة جيّدة ، ومجموعة غير قليلة من الشعر ، ويليه في القيمة كتاب معجم البلدان ، فهو مصدر مهم من مصادر شعره ، إذ أورد له أبياتا ومقطوعات كثيرة في معرض استشهاده بها على المواضع والبلدان الشامية.

والله وليّ التوفيق.

الفصل الأول
قبيلة عدي بن الرقاع وسيرته

أولاً : قبيلته

أ- قبيلة عاملة :

عاملة قبيلة يمانية قحطانية ، وهي بطن من بطون سبأ ، وقد ذكر بعض النسابين أن عاملة من القبائل العدنانية ، وأنها انتسبت إلى القحطانية ، وذكر مصعب بن عبدالله الزبيري أن معد ابن عدنان ولد نزاراً وقضاعة ، وأمهما معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم ، وانتسبت قضاعة إلى حمير ، فقالوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وأمه عكبرة امرأة من سبأ خلف عليها معدّ ، فولدت قضاعة على فراش معد ، وزوّروا في ذلك شعراً فقالوا: [1]

يا أيُّهــــا الدّاعــــي ادْعُنا وأَبْشِرِ وكُــــنْ قُضاعِيــاً ولا تَنَــــزّر

قُضاعَــــةُ بــــنُ مــــالِكِ بن حِمِيْرِ النَّسَـــبُ المعْــــروفُ غيْرُ المُنْكَـــرِ

وعاد مصعب مرّة أخرى ليؤكد أن جذاماً ولخماً وعاملة انتسبت في اليمن ، وأنها انتحلت شعراً على لسان أبي سمّال الأسدي لتأكيد هذه النسبة ، وهو قوله : [2]

أَبْلَغْ جُذاماً ولخَمّاً إنْ عَرَضْتَ بِهِمْ والقومُ يَنْفَعُهُمْ عِلْماً إذا عَلمــــوا

والقومُ عاملَةُ الأثرينْ قُــلْ لَهّــــم قولاً سَتبْلُغُهُ الوسّاجَةُ الرُّسُــــمُ

لأنْتُمُ في صميـــمِ الحقِّ إخوتُــنا إذ يخلق الماءُ في الأرحام والنّسَمُ

لَمْ أرَ مثل الذي يأتونَ جاءَ بــــهِ قومٌ يُذَرُّ على مختومِهِم خمَــــمُ

وعقب مصعب الزبيري بعد أن أورد هذا الشعر بقوله:

١- المصعب الزبيري: نسب قريش ص٥.

٢- نسب قريش ص ٩.

«وقال بعض من يعلم : لما قدم خالد بن عبدالله القسري أميراً على العراق ، ومعه قوم من جند الشأم ، فيهم من لخم وجذام، فأهدت لهم بنو أسد بن خزيمة ، فقالوا : أنتم قومنا، وأحدثوا هذا الشعر إلاّ بيتا منه » لم أر مثل الذي يأتون جاء به « فإنه قديم ، لا يدرى لمن هو ، ولا من عني به » [1].

ونقل البلاذري عن بعض بني أسد ، أن أسد بن خزيمة ولد عمراً ، وأن عمراً ولد جذاماً ولخماً وعاملة [2].

ومن هذا القبيل ما رواه المرزباني من أن يزيد بن أسيد دعا قضاعة إلى التمضّر ، فقال كلثوم بن وائل بن سجاح الكلبي يردّ على هذه الدعوة : [3].

من رســـول لنا إلى ابـــن أسيـدِ بقوافــــي قَصائِـــد مُحْكَمـاتِ
شـــازراتٍ لكـــلّ قُـــوّة حـقٍ لِقُوى باطـــلِ الهوى ناقِضـــاتِ
مُكْذِبـــات لمَـْن وردنَ عليـــهِ من بنـــي الشّانئينَ والشّانِئـــاتِ
رُمْـــتَ أمراً مـــن الأمـورِ عَظيماً مُتْعِبـــاً فـــي المرامِ غَيْرَ مُؤاتـي

وله أيضاً ينفي تمضّر قضاعة ، ويتغنّى بنسبه الصريح في اليمن :

فمـــاً ولَدتْنـــا ولادةً مضـــرُ ولا لنـــا فـــي تمضّـــر أَرَبُ
وإننا للصّميــــمُ مـــن يمـــنٍ وغُـــــرّةُ النّاسِ حينَ نَنْتَسِـبُ
بنـــا تنالُ الملـــوكُ ما طَلَبْـت وأدركـــتْ ثأْرَهـــا بنا العربُ
كـــمْ فيهـــمُ من مُتّوجٍ ملكٍ ومـــنْ خطيـبٍ لسانُهُ ذُرِبُ [4]

١- نسب قريش : ص ٩.
٢- البلاذري: أنساب الأشراف ١:٣٧.
٣- المرزباني : معجم الشعراء ص ٢٤٥
٤- المرزباني : معجم الشعراء ص ٢٤٦.

وأكدّ المبرد أن عاملة من قبائل مرة بن أدد التي ينتهي نسبها الى سبأ [1]، وإلى ذلك أشار ابن دريد فقال : « عاملة بطن من بطون اليمن» [2] . أما ابن حزم فقال في حديثه عن خزيمة بن مدركة : « قال قوم وليس بشيء ، وأسدة بن خزيمة ، وأن لخماً وجذاماً وعاملة هم بنو أسدة بن خزيمة » [3] . فقد شكك ابن حزم في هذه النسبة حين قال : « وقال قوم وليس بشيء » ونسبهم في موضع آخر نسبة صحيحة فقال : « وبنو عاملة وهو الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ» [4].

وشكك القلقشندي أيضاً في نسبة عاملة إلى مضر ،فقال :«وتزعم نسابة مضر أنهم من ولد قاسط ، والذين يذهبون هذا المذهب يعتمدون في رأيهم على قول الأعشى :

أعامـــلَ حتّـــى متى تذهبينَ   إلـــى غيـــر والدِكِ الأكـــرم
ووالدُكُـــمْ قاسِـــطٌ فَارْجعِـوا   إلـــى النَّسبِ الأتْلدِ الأقْدَمِ [5]

وكان في بداية حديثه عن عاملة قد نسبها إلى سبأ فقال : « بنو عاملة بطن من سبأ ، وهم بنو عاملة بن سبأ» [6].

أما قوله وتزعم نسابة مضر ،فقد أخذه عن الجوهري ، ثمّ عاد فأكد نسبتهم إلى قحطان « فهم بنو عاملة ، بطن من كهلان من القحطانية » [7] . وجدد روح بن زنباع الجذامي الدعوة

١- المبرد : نسب عدنان وقحطان ص ٢٠.

٢- ابن دريد : الاشتقاق ص ١٥٨.

٣- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ١١.

٤- جمهرة أنساب العرب ص ٤٨٥.

٥- القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ص١٠٦ ، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٣٣٢ ، ابن منظور : لسان العرب ، مادة عمل.

٦- قلائد الجمان ص ١٠٦، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ص ٣٣٢.

٧- نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ص ٣٣٣.

إلى نسبة قضاعة إلى القبائل العدنانية ، فقام في أحد أيام الجمعة في خلافة يزيد بن معاوية وطلب منه أن يلحق قضاعة بقبائل معد بن عدنان ، وأيده في هذه الدعوة عدي بن الرقاع فقال : [1]

إنّـا رَضينـــا وإنْ غابَـــتْ جماَعتُنا ... مــــا قال سيّدُنا روحُ بنُ زِنْبـــاعِ

يرعـــــــى ثمانينَ ألفاً كانْ مِثلُهـُم ... مما يخالـــــفُ أحياناً علـى الرّاعي

فتصدى ناتل بن قيس بن حيان الجذامي لهذه الدعوة ، ونفى هذه النسبة نفياً شديداً ، وقال ليزيد بن معاوية : « يا أمير المؤمنين ، زعم روح بن زنباع أنه من معد ، ولسنا نعرف ذلك، ولكنّا من قحطان ، يسعنا ما يسع قحطان ، ويعجزنا ما يعجزهم » [2] . وبلغ هذا الحديث عدي بن الرقاع ، فقال نافياً قوله الأول:

قَحْطـــانُ والدُنا الذي نُدْعـــى لَهُ ... وأبو خُزَيْمَـــةَ خِنْـدَفُ بـنُ نزارِ

أنبيعُ والَدنا الـــــذي نُدْعـى لـهُ ... بأبي معاشَــــــر غائبٍ مُتَـــوارِ

أَضْلالُ ليــــلٍ ساقِـطٍ أكنافُـــهُ ... في النّاسِ أعذَرُ أم ضلالُ نهـــارِ [3]

لقد كان العربي حريصا على نسبه الصريح ، وليس من السهولة أن يتنازل عن هذا النسب الذي طالما تغنّى به ودافع عن أصالته ، ويظهر لنا أن محاولة روح بن زنباع ردّ نسبة قضاعة إلى معد تعود إلى أسباب سياسية أملتها عليه الظروف التي كان يعيشها في ظل الأمويين.

ويطالعنا ابن عبدالبر برواية شبيهة بالرواية السابقة ، ولكنّه أدار أحداثها بين عدي بن

١- ابو الفرج : الاغاني : ٣٠٨:٩ ، النهشلي القيرواني : الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٧.

٢- الأغاني ٣٠٩:٩ ، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨.

٣- الأغاني: ٣٠٨:٩ ، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨.

الرقاع وعبيد بن حصين الراعي النميري ، فقال ابن عبدالبر : « عاملة بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل عاملة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهذا ما أنكره عدي بن الرقاع وتبرأ منه ، فقال يخاطب الراعي النميري : [1]

وإذا أَطَعْتُكَ يا عُبَيْدُ كُسَوْتَني ... في كلِّ مَجْمَعَةٍ رداءَ صغارِ
أنبيعُ والدَنا الذّي نُدْعى لهُ ... بأبي قبائلَ غائبٍ متوارِ
تلكَ التِّجارةُ ما رأيْنا مثلَها ... ذهبٌ يباعُ بآنُكٍ وتبارِ
فأنا إذاً كالعودِ يُدْعى مِغْزَلاً ... يَكْسو القبائِلَ وهو أجردُ عارِ
قَحْطانُ والدُنا الذّي نُدْعى لَهُ ... وأبو خُزَيْمَةَ خِنْدَفُ بْنُ نزارِ

وكان الراعي النميري قد عرّض بنسب عدي بن الرقاع حين هجاه بقوله : [2]

لوْ كُنتَ من أحد يُهْجى هَجَوْتُكُمُ ... يا ابنَ الرِّقاع ولكنْ لستَ منْ أحَدِ
تأْبى قُضَاعُة أن تعرفْ لكُمْ نَسَباً ... وابنا نزارٍ فأنْتم بيضَةُ البلدِ

وعلى الرغم من اختلاف الروايات في مناسبة أبيات عدي السابقة ، فالواضح أنها قيلت في نفي نسبة قبيلته إلى مضر ، وإثباتها في قحطان ، ويرى معظم النسابين الذين تعرضوا لها أنها تنتمي الى القبائل اليمانية ، وهي النسبة الصحيحة.

لقد اختلفت بعض كتب الأنساب في سبب تسمية قبيلة عاملة بهذا الاسم ، ففي حين يذكر بعضهم أن عاملة هي بنت مالك بن وديعة بن قضاعة ، وأنها أم الزهد ومعاوية ابني

١- الأغاني ٩:٣٠٩ ، ابن عبدالبر : الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٣.

٢- ديوان الراعي النميري ص ٧٨، الجاحظ: الحيوان ٤:٣٣٦، ابن رشيق : العمدة ٢:١٨٩ ، الحصري : زهر الآداب ١:٤٧ ، ابن عبدالبر: بهجة المجالس : ٢:١٨٢، ابو العباس الجرجاني : المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ص١٠٩، لسان العرب : مادة بيض.

الحارث بن عدي، وأن عاملة هو الحارث بن عدي سمّي باسم أمه القضاعية [1]، يذكر بعضهم أن عاملة من العماليق الذين منهم الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع العاملي أحد ملوك العرب القدماء [2] ، وقد ردّ ابن الأثير على هذا القول ، وحاول إثبات أن عاملة هو من ولد الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة ، وأن السب يعود الى أم ولد الحارث بن عدي وهي عاملة بنت مالك بن وديعة من قضاعة [3].

وقال بعضهم إن عاملة هو الحارث نفسه [4] ، ولكن معظم ما في أيدينا من مصادر يرجّح أن عاملة هي بنت مالك القضاعية وبها عرفت القبيلة .

١- ابن عبدربه : العقد الفريد ٣١٦:٣ ابن دريد : الاشتقاق ٣٧٣ ، ابن عبدالبر: الانباه على قبائل الرواه ص١٠٣، القلقشندي : صبح الأعشى ٣٣٥:١ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٣٠٣ ، تاريخ ابن خلدون ٥٣٦:٢.

٢- السمعاني : الأنساب ٣٢٨:٨.

٣- ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ص ١٠٧.

٤- نسب عدنان وقحطان ص ٢٠.

ب- ديار عاملة :

هاجرت قبائل سبأ ومن ضمنها قبيلة عاملة ومن اليمن إثر انهيار سد مأرب ، وفي القرآن الكريم سورة باسم هذه القبيلة ، وهي سورة سبأ ، قال تعالى ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنّتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيّبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين . فقالوا ربّنا باعد بين أسْفارنا وظلمَوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كل ممزق إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور ﴾[1].

وعندما سئل الرسول الكريم عن سبأ قال : « هو رجل من اليمن له عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فهم كندة وحمير وأسد والأشعريون ومذحج وأنمار ، وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسّان»[2].

وسكن معظم أبناء هذه القبيلة في بلاد الشام واتخذوها موطناً لهم[3] ، ويقال إنّ بطوناً منها هاجرت إلى العراق وسكنت الحيرة[4] ، وإن قسما آخر منها هاجر إلى الجزائر واستقّر بها واختلط بأهلها[5]، وقد نزلت عاملة في المنطقة الواقعة بين شمال فلسطين وجنوبي لبنان ، وهي المنطقة المعروفة بجبال عاملة حسب التقسيمات الجغرافية الحديثة ، وهذا لا يعني أنها انحصرت في هذه المنطقة ، إذ تجاوزتها وتنقّلت في ربوع الأردن وفلسطين ، ويدعم

١- القرآن الكريم : سورة سبأ ، الآيات ١٥-١٩.

٢- الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٢.

٣- ابن الحائك الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٧٢ ، قلائد الجمان ص ١٠٦، صبح الأعشى ١:٣٣٥ ، ٤:٨٦٠، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٣٣٢، تاريخ ابن خلدون ٢:٥٧.

٤- د. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ٤:٤٦١.

٥- المخيري : المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ص ١٢٤.

ذلك ما ورد في بعض المصادر الجغرافية والتاريخية العربية.

وحدّد الهمداني ديار عاملة تحديداً دقيقاً في أثناء حديثه عن ديار كلب في حوارن فقال : « وإن تياسرت عن ذلك وقعت في ديار عاملة ، وهي مجاورة للأردن . وجبل عاملة مشرف على عكا من البحر يليها ويطلّ على الأردن والفلجة » [1].

ووصف المقدسي جبل عاملة من حيث الطبيعة فقال : «جبل عاملة ذو قرى نفسية وأعناب وأثمار وزيتون ، المطر يسقي زرعهم ، يطلّ على البحر ويتّصل بجبل لبنان » [2].

وقال القلقشندي : « أما بنو عاملة فهم أيضاً من القبائل اليمنية التي خرجت من اليمن عند سيل العرم ، ونزلت بالقرب من دمشق بجبال هناك تعرف بجبال عاملة » [3] ، وأضاف « وجبل عاملة هو جبل ممتد في شرقي ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور ، وعليه شقيف أرنون [4] ، نزله بنو عاملة من سبأ من عرب اليمن عند تفرّقهم بسيل العرم ، فعرف بهم» [5] . وقال ابن خلدون في حديثه عن قبيلة عاملة إن معظمهم ببرية الشام [6] ، وهي المنطقة المطلة على البحر.

واستناداً إلى ما نقله الجغرافيون والمؤرخون العرب نستطيع أن نحدّد ديار عاملة ، فهي تلك المنطقة الواقعة بين الحدود الشمالية لفلسطين والأردن والحدود الجنوبية لسوريا ولبنان حسب التقسيمات السياسية في عصرنا الحاضر ، وهي منطقة تشتهر بخصوبة تربتها ، وكثرة

١- صفة جزيرة العرب ص ٢٧٤.
٢- المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٢.
٣- قلائد الجمان ص ١٠٦.
٤- وهي معروفة الآن باسم قلعة الشقيف.
٥- صبح الأعشى ٤:٨٦.
٦- تاريخ ابن خلدون ٢ :٥٣٦.

خيراتها وغزارة مياهها . وشاركت عاملة في سكنى بلاد الشام بعض القبائل اليمانية التي هاجرت معها من اليمن كلخم وجذام وغسّان وكلب [1] ، وهي قبائل تجمعها صلة الأخوة والقرابة ، ويوحد بينها الدم.

١- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٤،ص٤٦١

جـ عاملة في الجاهلية:

خضعت القبائل العربية التي استقرت في بلاد الشام ومنها عاملة لسلطان الدولة الرومية، وتولى تصريف شؤونها الخارجية قياصرة القسطنطينية . فجنّدوا هذه القبائل واتخذوها ستاراً يقيهم غارات القبائل العربية على حدود الجزيرة العربية والعراق ، كما اتخذ الفرس المناذرة ستاراً يقيهم غارات القبائل العربية أيضاً.

لقد ساعدت القبائل العربية في الشام الروم في حروبهم مع المسلمين في بداية انتشار الدعوة الإسلامية ، فقد التقى عمرو بن العاص سنة ثمان للهجرة في عزوة ذات السلاسل مع قضاعة وعاملة وجذام ، وكانوا مجتمعين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة [1] ، ووقف قسم من أبناء هذه القبائل إلى جانب الروم في غزوة تبوك . قال الواقدى « إن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وعاملة ، وزحفوا وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها، وتخلف هرقل بحمص» [2]. وقال البلاذري : « كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع للهجرة وسببها أن هرقل ومن اجتمع إليه من لخم وجذام وعاملة وغيرهم أظهروا أنهم يريدون غزو الرسول عليه السلام ، فلمّا سارو إليه هابوا محاربته فلم يلق كيداً » [3] . وكان الأنباط قد نقلوا إلى المسلمين بالمدينة أخبار تجمّع الروم والقبائل العربية المناصرة لهم.

وفي معركة اليرموك سنة خمس عشرة للهجرة ، وقف قسم من أبناء هذه القبائل إلى جانب الروم ، وانضمّ قسم منهم إلى جانب المسلمين ، قال الطبري في حديثه عن هذه المعركة :«دخل أبو عبيدة في تلك السنة دمشق فشتّى بها ، فلمّا أصافت الروم ، سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة ، وتلك القبائل من قضاعة وغسان بشر كثير ، ومعه من أرمينية مثل ذلك بشر كثير ، ومعه من المستعربة من غسان

١- أنساب الأشراف ١:٣٨١.

٢- الواقدى: المغازي ٣:٩٩٠.

٣- أنساب الأشراف ١:٣٦٨

وتلك القبائل اثنا عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم الغسّاني »[1] . وكان قد انضمّ إلى المسلمين قسم من لخم وجذام ، فلما اشتدّ القتال فرّوا إلى القرى المجاورة لهم ، فقال أحد المسلمين : [2]

الْقَــــوْمُ لَخْـــمٌ وجـــذامٌ فـــي الهَـــرَبْ
ونحـــنُ والـــرّومُ بمــــرج نَضْـطَرِبْ
فـــإنْ يعــــودوا بَعْـــدَها لا نصطحِبْ

وكانت عاملة حليفة لكلب ، وأغارت معهم على قبيلة طي ، فأسر رجل من عاملة اسمه قعيسيس عدي بن حاتم الطائي ، فانتزعه منه شعيب بن الربيع بن مسعود العليمي من كلب وقال له : ما أنت وأسر الأشراف ، وأطلقه بغير فداء [3] . وأشار عدي بن الرقاع إلى هذه الحادثة في شعره فقال : [4]

نَسيتُمْ مساعينـــا الصّوابِـــحَ فيكُمْ ... ومـــا تذكرونَ الفضْلَ إلاّ تَوهُّمـا
فإنْ تَعدونّـــا الجاهليَّـــةُ إنَّنـــا ... لَنِحْـــدثُ في الأقوام بُؤْساً وأنعُما
فلا ذاكَ منّا ابنُ المعَـــدّلِ مُـــرَّةٌ ... وعمـــرو بنُ هندٍ عام اصعدَ موسِما
يقودُ إلينـــا ابنـــيْ نزارٍ مَـــن الملا ... وأهـــلُ العراق سامِيـــاً متعظّمـا
فلمـــاّ ظَنَنّا أنَّـــهُ نـــازِلٌ بنـا ... ضربنـــا وولّيناهُ جمعـــاً عَرَمْرَما
ونحنُ فككْنا عَـــنْ عديٍّ بنِ حاتمٍ ... أخي طَـــيِّءِ الأجيالِ قدْما مُحَرّمَـا

لقد عدّد عدي في هذه المقطوعة مآثر قومه وقوّة بأسهم في الجاهليّة ، وتعرّض لمرّة بن المعدّل وعمرو بن هند وعدي بن حاتم الطائي الذي أسره قعيسيس ، وإطلاق سراحه.

١- الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٣: ٥٧٠ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ٣: ٣٠٠، ابن عساكر : تاريخ دمشق ١: ٤١٣.
٢- تاريخ الأمم والملوك ٣: ٥٧٠.
٣- جمهرة أنساب العرب ص ٤١٩، العقد الفريد ٣: ٣١٦ ، الاشتقاق ص ٣٧٤، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ص ١٢٤.
٤- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة الملا.

د-ديانتها:

عبدت عاملة الأصنام في جاهليّتها ، قال ابن الكلبي [1]: « كان لقضاعة ولخم وعاملة وجذام وأهل الشام صنم يقال له الأقيصر ، فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده ، فكان كلّما حلق رجل منهم رأسه ألقى مع كل شعرة قرة من دقيق ، فكانت هوازن تنتابهم في ذلك الأبان ، فان أدركه قبل أن يلقي القرة على الشعر قال : أعطنيه فإنّي من هوزان ضارع ، وإن فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله » .

ويظهر أن عادة حلق الرؤوس عند الأصنام وإلقاء الدقيق مع الشعر كانت عادة متّبعة عند هذه القبائل .

وفي هذا الصنم يقول زهير بن أبي سلمى [2].

حَلَفْتُ بأنْصـــابِ الأُقَيْصرِ جاهدا ومـــا سُحِقَتْ فيه المقاديمُ والقَمْلُ

وأنشد ابن الأعرابي [3]:

وأنصابُ الأُقَيْصِرِ حيـــنَ أَضْحَتْ تسيـــلُ على مناكِبِهـا الدّمـــاءُ

وكان عند هذا الصنم أنصاب ينحر الناس عليها قرابينهم التي يتقربون بها إليه ، وكانت هذه الأنصاب ملطّخة بالدماء من كثرة ما ذبح عليها [4].

ودان قسم من أبنائها بالنصرانية قبل مجيء الإسلام ، وأشار الجاحظ إلى ذلك فقال[5]:« هذا مع ما كان في العرب من النصارى الذين يخالفون دين مشركي العرب كل الخلاف كتغلب وشيبان وعبد القيس وقضاعة وغسّان وسليم والعباد وتنوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خلطاء وأعداء».

١- ابن الكلبي : الأصنام ص ٤٨، معجم البلدان ، مادة أقيصر.

٢- الأصنام ص٣٨، معجم البلدان ، مادة أقيصر.

٣- لسان العرب ، مادة قصر.

٤- المفصل في تاريخ العرب ٦: ٢٧٥.

٥- الحيوان ٧: ٢١٦.

هـ- عاملة بعد الفتح الإسلامي:

لعبت القبائل اليمانيّة في بلاد الشّام ومنها قبيلة عاملة دوراً مهماً ، فقد ساندت بني أميّة وظاهرتهم على أعدائهم رعاية لمصالحها ، ويظهر أنها كانت تخشى انتقال الخلافة إلى غير بني أميّة ، فتفقد الشام موقعها السياسي والاقتصادي الذي اكتسبته منذ آل الحكم إلى بني أميّة ، وسارت هذه القبائل على خطّة تأييد الخلفاء الذين يرعون مصالحها ، فقد وقفت إلى جانب معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ، وناصرت البيت المرواني فأيّدت مروان بن الحكم وساعدته على ابن الزبير ، وساعدت عبدالملك بن مروان على أعدائه ، ووقفت مع الوليد بن عبدالملك. واذا لم ترض عن سياسة خليفة من خلفاء بني أميّة ثارت عليه ، ويتّضح ذلك في موقفها من الوليد بن يزيد ، فقد أثار الوليد سخط هذه القبائل بقتله خالد بن عبدالله القسري زعيمها ، وتقريبه للقبائل القيسيّة ، ونسب إليه اليمانيون قصيدة يهزأ فيها بالقحطانيين ويفخر عليهم بقومه ويتحدّاهم أن ينتصروا لخالد القسري [1] ، وذلك لإثارة حمية أبناء هذه القبائل واستفزاز مشاعرهم ضد الخليفة ومن هذه القصيدة [2]:

وهــــذا خالـــدٌ فينـــا قتيلاً   ألا منعـــــوهُ إن كانـــوا رجالا

فلـــو كـــانتْ قبائلَ ذاتَ عــزٍّ   لما ذهـــبتْ صنائِعُـــــهُ ضَلالا

فلما شاعت هذه الأبيات في الناس ازداد سخط القبائل اليمانية على الوليد ، فظاهرت يزيد بن الوليد بن عبدالملك عليه ، وساعدته في قتله . وقد فخر شعراء اليمانية بذلك ، فقال الأصبغ بن ذوالة الكلبي [3]:

فمنْ مبلَغٌ قَيْســـــا وخِنْدَفَ كُلَّها   وساداتِها مــــن عبدِ شَمْسٍ وهاشِمِ

١- د. حسين عطوان : الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص ٤٣٤ وما بعدها.

٢- الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٤٨، تاريخ الأمم والملوك ٢٣٤:٧ ، المسعودي : التنبيه والإشراف ص٢٨٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٨٢:٥

٣- التنبيه والإشراف ص٢٨١

قَتَلْنا أميـــــرَ المؤمنينَ بخالـــدٍ   وبِعْنَا وَلِيّ عَهْـــدِهِ بالدّراهِـــمِ

وقال خلف بن خليفة البجلي [1]:

تركنـــا أميـــرَ المؤمنينَ بخالـــدٍ   مكبّاً على خَيْشومِـــهِ غير ساجِـــدِ

أقرّي معـــــدٌّ بالهوانِ فإنّنـــا   قتلنـــا أميـــرَ المؤمنينَ بخالـــدِ

وثارت القبائل اليمانيّة على مروان بن محمد بعد وفاة يزيد بن الوليد ، فعمّ الاضطراب أرجاء الدولة الأموية ، وعجلت ثورتهم في القضاء على خلافة بني أميّة وانتقالها إلى بني العبّاس.

١- التنبيه والإشراف ص٢٨١.

ثانياً: سيرته

أ- اسمه ونسبه[1]:

هو عدي بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرّقاع بن عصر بن عدّة بن شعل بن معاوية بن الحارث بن مرّة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهْلان بن سبأ.

ونسب إلى الرّقاع جدّه الأبعد لشهرته وللتفريق بينه وبين عدي بن زيد العبادي الشاعر ، ولا تفيدنا المصادر شيئاً عن الرّقاع سوى أنه كان مشهوراً .

ونسبه ياقوت الحموي إلى قبيلة طيّ ، فقال في حديثه عن جاسم : « وقد نسب إليها عديّ بن الرّقاع العاملي الطائي»[2] . ونرجح أن يكون الوهم الواقع في معجم البلدان من عمل أحد الوراقين الذين نسخوا الكتاب ، إذ لم يؤثر عن أحد غيره ردّ نسب عديّ بن الرقاع إلى قبيلة طيّ ، ونسبته ثابتة في قبيلة عاملة .

١- أهم مصادر ترجمته :

ابن سلام الجمحي : طبقات الشعراء ص ٨٩ ، ص ١٤٣ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤١٥ ، الاشتقاق ص ٣٧٥، العقد الفريد : ٤٢:٢ ، الأغاني ٣٠٠:٩، الآمدي : المؤتلف والمختلف ص ١٦٦ ، معجم الشعراء ص ٨٧، الشريف المرتضى: الأمالي ١١:٢ ، ابن ماكولا : الإكمال ٣٣٦:٣ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ٢٥١:١١ ، النويري : نهاية الأرب ٢٥٢:٤ ، ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٠٥:٥، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١٠:٥، السيوطي : شرح شواهد المغني ٤٩٣:١ ، البغدادي : شرح أبيات مغني اللبيب ٩٧:٤.

٢- معجم البلدان ، مادة جاسم

ب– مولده:

ليس في استطاعتنا تحديد السنة التي ولد فيها عديّ بن الرقاع لعدم وجود دليل يعين على ذلك ، ولكن نستطيع القول إنه ولد في أواخر العقد الثالث وأوائل العقد الرابع من القرن الأول الهجري اعتمادا على بواكير شعره ، فأول ما وصل إلينا من شعره كان في عهد الخليفة يزيد بن معاوية الذي تولّى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ستين للهجرة ، وكانت وفاة يزيد سنة أربع وستين ، وقد ورد أن عديّاً قال شعراً في ردّ نسبة قضاعة إلى اليمن مؤيداً لناتل بن قيس الجذامي في عهد يزيد بن معاوية [1]، فإذا قدرنا أن عديّا كان في هذا الوقت شابّا ، وأنه جاوز العشرين من عمره ، نكون قريبين من الصّواب . ولا نظفر بشيء من أشعاره وأخباره قبل خلافة يزيد بن معاوية ، ممّا يدلّ على أنّ شاعريّته بدأت تظهر في عهد هذا الخليفة ، وبدأ نجمه يسطع ويتألق في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبدالملك.

١– الأغاني ٩:٣٠٨ ، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨، الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٣.

جـ-أسرته:

أغفلت المصادر أخبار أسرة عديّ كما أغفلت أخباره ، ولم تنقل لنا غير شذرات قليلة منها ، وإذا رجعنا إلى شعره وبعض أخباره نستطيع أن نكوّن فكرة بسيطة عن أسرته ، فقد كني عدي أبا دؤاد [1] ، ممّا يدلّ على أنه كان له ابن بهذا الاسم ، وكانت له بنت شاعرة اسمها سلمى ، قالت الشعر في سنّ مبكّرة ، نستشف ذلك من الخبر الذي رواه ابن قتيبة في ترجمته لعديّ ، إذ قال : « كانت له بنت تقول الشعر ، وأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه، وكان غائبا عن منزله ، فسمعت بنته وهي صغيرة لم تدرك ذرواً من وعيدهم ، فخرجت إليهم وهي تقول [2]:

تجَمَّعْتُمْ مِنْ كُـــــلِّ أوْبٍ وبلدةٍ   علـــى واحدٍ لا زِلْتمُ قِرْنَ واحدِ

فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . ولم يصل إلينا غير هذا الخبر عن ابنته سلمى.

أمّا زوج عديّ فهي سلّومة بنت حريث بن زيد الصنّي [3] ، وقد ورد ذكرها في مطلع إحدى قصائده ، حيث قال [4]:

غدا ولم يقـضِ مـــنْ سلّومَةَ الوَطَرا   ومـــا تلبَّث أنْ ولّى ومـــا انتَظَرا

وذكر الزبير بن بكار أنه كان لعديّ أخ اسمه يزيد ، وأورد بيتين من الشعر في مقتل

١- معجم الشعراء ص٨٣ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١٥٢:١، السيوطي : المزهر في علوم اللغة ٤٢٥:٢ ، الإكمال ٣٣٦:٣.

٢- طبقات الشعراء ص ٨٩ ، الحيوان ٦٤:٣ ، الشعر والشعراء ص ٤١٥ ، الأغاني ٣٠٤:٩ ، معجم الشعراء ص ٨٧ ، بهجة المجالس ١٠٥:١ ، الزمخشري : ربيع الأبرار: ١٨٤:٢ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٣١٣:١٩.

٣- ديوان عدي بن الرقاع ، ص١٨٦، الصغاني: التكملة والذيل والصلة ، مادة سلم ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، مادة سلم.

٤- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عدد ٣٣ سنة ١٩٥٨ (مطالع قصائد عديّ بن الرقاع / د. حسين محفوظ).

مصعب بن الزبير نسبهما إليه، قال[1] : « قال يزيد بن الرقاع العاملي وكان شاعر أهل الشام يذكر مصعبا وإبراهيم ومسلما:

ونحنُ قتلنا ابن الحواريّ مُصْعباً ... أخا أسدٍ والمذحجّيَ اليمانيا

ومرّت عُقابُ الموتِ منّا بمسلمٍ ... فأهوَت له ظفراً فأصبحَ ثاوِيا

قال أبو عبدالله الزبير : وهو يروى للبعيث اليشكرى، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهلي ».

وقد نسب البلاذري هذا الشعر إلى عديّ بن الرّقاع فقال[2] : قال عدي بن الرقاع ويقال البعيث اليشكرى:

ونحنُ قتلنا ابن الحواريّ مُصْعباً ... أخا أسدٍ والمذحجّيَ اليمانيا

ومرّتْ عقابُ الموتِ منّا بمسلمٍ ... فأهوتْ له ظفراً فأصبَح ثاوِيا

يعني مسلم بن عمرو الباهلي:

وفي موضع آخر نسب البلاذري أربعة أبيات للبعيث اليشكري قال : قال البعيث اليشكري[3].

ولّما رأينا الأمرَ نَكْساً صُدُورُهُ ... وَهمٌّ الهوادى أن تكونَ تَواليا

صَبَرْنا لأمرِ اللّهِ حتى يَقيمهُ ... ولمْ نرضَ إلاّ من أميّةَ واليا

ونحنُ قتلنا ابن الحواريّ مصعباً ... أخا أسدٍ والمذحجّيَ اليمانيا

سَقَيْنا ابْنَ سيدانٍ بكأسٍ رَويَّةٍ ... كَفَتْنا وَخيْرُ الأمر ما كان كافِيا

١- الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ص ٥٣٢.

٢- أنساب الأشراف ٥:٣٤٢.

٣- أنساب الأشراف ٥:٣٨٤.

وأرجح أن يكون هذا الشعر للبعيث اليشكري ، فإذا نظرنا في المقطوعتين السابقتين وجدنا تشابهاً في القافية والعروض وهما من وزن واحد ، كما يوجد تشابه كبير جداً بين البيت الأول من المقطوعة الأولى والبيت الثالث من المقطوعة الثانية ، وهذا يرجّح أن تكون المقطوعتان مقطوعة واحدة ، ثمّ إنه لم يؤثر عن يزيد بن الرقاع غير هذين البيتين اللذين لم تثبت نسبتهما إليه ، وبيتين آخرين لم تثبت نسبتهما إليه أيضاً ، ونسبا إلى صالح بن عبد القدوس كما سيأتي . ولم ينسبهما إلى عديّ بن الرقاع غير البلاذري ، وهناك مقطوعة لعديّ يذكر فيها مقتل مصعب بن الزبير تختلف اختلافاً كليّاً عن المقطوعة السابقة ، ولم يتعرض عديّ فيها لمسلم بن عمرو الباهلي ولا لإبراهيم بن الأشتر ، بل اكتفى بالتعرض لمصعب وحده.

وقد نسب أبو الفرج البيتين السابقين إلى يزيد بن الرقاع [1] ، واعتمد في روايته على الزبير بن بكار ، وأخذ ابن عساكر بهذه الرواية عن الزبير أيضاً [2] ، ونسب بيتين آخرين ليزيد فقال [3] : « قال يزيد بن الرقاع ويروى لصالح بن عبدالقدّوس:

متـــى تُزْدِ معروفاً إلى غير أهلـــهِ رُزِئْتَ فلــــمْ تظفرْ بأجرٍ ولا حَمْدِ
وكتمانُكَ المعروفَ أَوّلُ بعـــــدهِ وإظهارِهِ مِــــن شكرِهِ لأخي الرِّفْدِ

وهذا الشعر أقرب إلى شعر صالح بن عبدالقدوس الذي اشتهر بأشعار الحكمة .

وفي شعر عديّ إشارة تدلّ على وجود إخوة له ، لكنّه لم يحدّد عددهم ولا أسماءهم. قال في مدح عبدالملك وهجاء مصعب بن الزبير بعد مقتله [4]:

١- الأغاني ١٩:٥٨.

٢- تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١٨:١٤٤.

٣ - تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١٨:١٤٤.

٤- ديوان عدي بن الرقاع : ص٢٤٩، الأغاني ١٩:٢٩٩.

فِـداؤُكَ أمّـــي وأبناؤُهـــا   وإنْ شئـــتَ زدتُ عليهـــا أبي

ونستشف من هذا البيت أن والديّ عديّ كانا على قيد الحياة ، حين قال شعره هذا ، وذلك لقوله فداؤك أمي وأبي ، فلو لم يكونا على قيد الحياة لما فدى بهما الخليفة لأن الفداء لا يكون بشيء غير موجود . وغير هذه الإشارة لم نعثر على أي خبر عن والديه.

د- نشأته :

ولد عديّ في منطقة بيْسان من الأردن ، وبها نشأ ، ويلف الغموض المرحلة الأولى من حياته ، فلم يتحدّث أحد ممّن ترجم له أو نقل أخباره عن نشأته الأولى ، وعندما شبّ أخذ يتردّد إلى دمشق حاضرة الخلافة الأموية ، فقد أشار عبيد بن حصين الراعي إلى مجيئه إلى دمشق من منطقة بيْسان فقال (1) :

جاءتْ به مِن قُرى بَيْسانَ تَحَمِلُـــــــهُ　　　سَوأى مُخَضَّرَةَ الآبـــــاطِ والكَتَدِ

ووفد عديّ إلى دمشق في عهد يزيد بن معاوية ، وذكر ابن عبدربه أنه قدم دمشق ومدح الوليد بن عبدالملك ، وأنه لمّا أتت الخلافة سليمان بن عبدالملك كتب إلى عامله في الأردن أن يبعث إليه عديّ بن الرقاع في وثاق ، ثمّ أمر بردّه إلى أهله في الأردن (2) . وأشار ابن عساكر إلى هذا الخبر أيضاً (3) . أما ابو الفرج فذكر أن منزل عديّ كان بدمشق (4)، لكنّ الثابت أنه كان يقيم مع أهله في الأردن ، وكان يكثر من التردّد إلى دمشق لمدح الخلفاء ونيل رفدهم .

ونشأ عديّ في بيئة تأجّجت فيها نار العصبيّة القبليّة فخاض غمارها ووقف مدافعاً عن يمانيّة قبيلته ، ورد أقوال الذين نسبوها إلى مضر (5) ، وكانت مصالح القبائل اليمانية في مساندة خلفاء بني أميّة ، لذلك وقف عديّ منافحاً عن الخلافة الأموية ، مؤيداً لها تأييداً قوياً.

١- ديوان الراعي النميرى ص ٧٨.

٢- العقد الفريد ٢:٤٢.

٣- تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١:٢٥٢

٤- الأغاني : ٩:٣٠٠

٥- الاغاني ٩:٣٠٨ ، الإنباه على قبائل الرواه ص١٠٣.

هـ – ثقافته :

تأثّر عديّ بالثقافة التي سادت عصره ، فقد نشأ في الأردن ، وانتقل إلى دمشق حاضرة الخلافة ، وكانت مركزاً من مراكز النشاط الثقافي والعلمي في ذلك العصر ، فاستقطبت العلماء والشعراء والأدباء من أرجاء الدولة الإسلامية ، فوفد إليها العلماء لينالوا رفد الخلفاء ، وتردّد الشعراء عليها لمدح بني أمية طمعاً في جوائزهم وعطاياهم ، وكان لاهتمام خلفاء بني أمية وتشجيعهم أثر مهمّ في ازدهار الثقافة في ذلك العصر [1].

وحين ننظر في شعر عديّ نجد آثار هذه الثقافة واضحة جليّة ، فهو معتدّ بنفسه ، وعلمه، وقد تحدّث عن الأنواء والنجوم ، وتردّدت في شعره أدوات الحضارة المختلفة كالورق والقلم والدواة والكتاب وغيرها . قال يذكر الأنواء [2]:

وبـــــاتَ يجتلبُ الجـوزَاء درّتَهَا   بِنَوئِهـــــا حينَ هاجـــتْ مربعٌ نَعِقُ

وقال يذكر الشعرى [3]:

وأبصرَ النّاظِرُ الشّعْــري مُبيّـــنَةً   لمّا دَنا مـــــنْ صلاةِ الصُّبْحِ ينصرفُ
في حُمْرَةٍ لا بيـــاضُ الصُّبح أغْرَقَهَا   وقَد علا اللّيلُ عنهـــا فهوَ مُنْكَشِفُ
لا ييأسِ اللَّيلُ منهـــا حين تتبعُـــهُ   ولا النهارُ بهـــا لِلَيْـــلٍ يعترفُ

وقال : [4]

وَشَرِبْـــــنَ كـــلُّ بقيةٍ صادَفْنَها   في الأرضِ من مطر السِّماكِ الأعْزَلِ

١- أنظر : محمد كرد علي : خطط الشام ٤ : ١٧-٢٢.
٢- المرزوقي : الأمنة والأمكنة ٢:٢٤٤.
٣- ابن قتيبة : الأنواء ص١٣، البيروني : الآثار الباقية ص ٣٣٩.
٤- الأنواء ص ٦٣.

وورد ذكر أدوات الكتابة في مواضع كثيرة من شعره فذكر الكتاب في قوله:

لمنْ رســـمُ دارٍ كالكتاب المُنَمْنَـــمِ بمنعرج الوادي فويـــقَ المهزّم [1]
كـــأنَّ قرادى زوره طَبَعَتْهُمـــا بطينٍ من الجَوْلانِ كتّـابُ أعجمِ [2]

وقال يذكر القلم والدواة:

تُزجي أغنّ كـــأنَّ إبرةَ رَوْقِـــهِ قلم أصـــاب مـــن الدّواة مدادها[3]
يَخْرُجْنَ من فُرُجـــاتِ النّقْع دامِيَةً كأنَّ آذانهَـــا أطرافَ أقلام[4]

فهذه أدوات حضارية بدأت تنتشر في أمصار الدولة المختلفة في العصر الأموي بعد أن استقرّت أمور الدولة ، وبدأ الاتجاه نحو العلوم والثقافة يتّخذ أبعاداً كثيرة .

وحين نتحدّث عن عديّ يحسن ألاّ تفوتنا معرفته الواسعة بالعربيّة ودقائقها ، ومقدرته على صياغة الشعر ، فقد استشهد علماء اللغة بأشعاره ، كما حشد أسماء مدن وقرى كثيرة في شعره استفاد منها الجغرافيون ، فاستشهدوا بها ليعرّفوا بالمواقع التي كانوا يتحدّثون عنها.

وكان عديّ يحسن مخاطبة الخلفاء والأمراء ، ممّا يدلّ على حسن ثقافته وتأدبه ، واستطاع بلباقته ان يشدّ أنظارهم إليه ، ويستدر عطفهم ورعايتهم ، فأحتلّ مكانة مرموقة في عهد الوليد بن عبدالملك ، وعرف كيف ينفذ إلى قلبه ، فمدحه بالمعاني الإسلامية التي كان

١- ديوانه : ١٢٨ ،معجم البلدان ، مادة المهزّم.

٢- ديوانه :١٣٣، الحيوان ٥:٤٤٠ ، لسان العرب ، مادة بندك.

٣- ديوانه : ٨٥ ،عبدالعزيز الميمني : الطرائف الأدبية ص ٨٦ ، طبقات الشعراء ص ١٤٤ ، الشعر والشعراء ص ٤١٥، المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ١:٣٧٣ ، ابن المعتز : البديع ص ٧١ ، العقد الفريد ٧:٧٥ ، أبو هلال العسكري : ديوان المعاني ٢:١٣٢ ، زهر الاداب ١:٣٩٢ ، الزمخشري : أساس البلاغة ، باب الهمزة ، حماسة ابن الشجري ص ٩٢٥ ، لسان العرب ، مادة زجا ، نهاية الأرب ٧:١٦٤، المزهر في علوم اللغة ٢:٢٥٢ نزجي : تدفع ، الأغن: الصغير ، روقه : قرنه.

٤- ديوانه : ٢٦٧، العقد الفريد ١:١١١ ، ٤:٢٦٤ ، البكري : سمط اللالي ٤:٧٨٦.

يحبّ أن يمدح بها ، وقد وردت في شعره بعض المفردات غير العربية ، فذكر بعض شهور الروم فقال [1]:

شُباطـــــا وكانونَيْنِ حتّى تعذَّرتْ عليهنّ فـــــي نَيْسانَ باقِيةُ الشُّرْبِ

قال الدينوري : إن عديًا كان ينزل الشام ، فأخذ هذا عن أهله [2] . وذكر المرزوقي نقلاً عن أبي حنيفة أنّ من حلّ بالشام من العرب أعلم من غيرهم بالفصول وأوقات الأنواء والطلوع، وذلك لتأثرهم بالروم الذين يعدّهم من أحفظ الأمم لهذه الأمور [3].

١- الأنواء ص١٩، ص ١٠٣.
٢- الأنواء ص ١٠٣.
٣- الأزمنة والأمكنة ١:١٧١.

و- صفاته وأخلاقه:

وصف عبيد بن حصين الراعي عديّ بن الرّقاع بقصر القامة ، فقال في هجائه : (١)

جُنادِفٌ لاحـــــقٌ بالرأّسِ مَنْكِبُـــهُ ... كأنّــــهُ كَــوْدَنٌ يوشـّى بكُلاّبِ

من مَعْشَـــرٍ كُحِلَتْ باللّؤم أعينهُمْ ... قُفْدِ الأكفّ لِئــــامٍ غيرِ صُيّابِ

ورماه أبو القمقام بن بحر بن السقا بعشى العينين وعدم الرؤية في الليل فقال (٢):

إنّ عَدِيّا فاضِـــــحُ القَبيلـــــهْ ... أعْشى أُدَيْرُ فاسِدُ الحَليلـــــــهْ

وذكر ابن عساكر أنه كان أبرصاً (٣) ، وأشار الذهبي إلى اتصافه بالبرص كذلك (٤).

ونحن لا نستطيع قبول الصورة التي رسمها له عبيد الراعي وأبو القمقام في شعرهما، لأن هذا الشعر قيل في معرض الهجاء ، ومعروف أنّ الشّاعر عندما يهجو شخصاً آخر ، فإنه يحاول إلصاق جميع الصفات السيئة به ، سواء اتّصف بها أو كان خالياً منها ، وهو أمر معروف في شعر الهجاء .

وأهم من صفاته الجسمية صفاته النفسية وأخلاقه ، التي تكبره في أعين الذين بينه وبينهم محبة وإلفة ، ومما يحسن أن نذكره هنا ما يأتي:

١- ديوان الراعي ص ١٠، الجوهري : الصحاح : مادة جدف ، ووشى وكلب ، التكملة والذيل والصلة: مادة جدف ، لسان، العرب : مادة جندف وصيب وكلب ووشى ، تاج العروس : مادة صيب وكلب ، الجندف : القصير الملزّز ، الكودن: البرذون ، يوشّى : يستحثُ ، الأقفد الكف : المائلها، الصياب : السيد.

٢- الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان ص ٢٦٣.

٣- تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١:٢٥٢.

٤- سير أعلام النبلاء ٥:١١٠

١- الإخلاص والوفاء:

تغنّى عديّ بالصّفات العربية الحميدة ، كالشّجاعة والوفاء والإخلاص وغيرها ، ومن يمعن النظر في أشعاره وأخباره يجد هذه الظاهرة واضحة جليّة عنده ، فليس أدلّ على إخلاصه ووفائه لأصحابه من ذلك الموقف الشجاع الذي وقفه من صديقه عبيدة بن عبدالرحمن السلمي (١) ، فقد كان عبيدة والياً على الأردن في عهد الوليد بن عبدالملك، ولأمر ما عزله الوليد عن الولاية ، وضربه وحلقه وأقامه للناس ، وطلب إلى أعوانه أن يراقبوا من يأتيه متوجّعاً له أو مثنياً عليه ، وأن يحضروه إلى الخليفة ، وكان عبيدة محسناً إلى عديّ بن الرقاع، فلما علم عديّ بما أصابه خفّ إليه وأنشده قوله (٢):

فمـــا عَزَلوكَ مسبُوقـــاً ولكـــنْ إلـــى الخيراتِ سبّاقاً جـــوادا
وكُنْـــتَ أخي وما وَلَدَتْكَ أمّي وَصُـــولاً باذِلاً لـــي مُسْتَزاداً
وقـــدْ هِيضَتْ لنكبتِكَ القُدامى كَذاكَ اللّـــهُ يفعَلُ ما أرادا

لقد أبى عديّ أن يتخلف عن صديقه ، وأن يقف منه موقف المتفرّج ، بل صمّم على مواساته والوقوف بجانبه في وقت المحنة ، على الرغم من أن الخليفة هو الخصم ، وعلى الرغم من تهديده لمن يقف مثل هذا الموقف من عامله المعزول. فجازف عديّ وأتى عبيدة مادحاً ومثنياً ومواسياً . ويدلّ ذلك على تمسّك عديّ بهذه الصفة الحميدة التي تغنّى بها شعراء العربية على مر العصور. ومضى ابو الفرج في نقله هذا الخبر يقول :« فوثب المتوكلون به إليه ، وأخذوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى ،فتغيّظ الوليد منه وقال : أتمدح رجلاً فعلت به ما فعلت؟ ويأبى إخلاص عديّ ووفاؤه مرّة أخرى الاّ أن يدافع عن صديقه وعن نفسه فيقول : «يا أمير المؤمنين إنه كان إليّ محسناً ولي مؤثراً وبي برّاً ، ففي أيّ وقت كنت أكافئه غير هذا

١- الأغاني ٩:٣٠٦.
٢- ديوانه : ٢٥٢ ، شرح أبيات مغني اللبيب : ٤: ١٠١ الأغاني ٩:٣٠٧

اليوم ؟ فقال: صدقت وكرمت ، فقد عفوت عنك وعنه لك فخذه وانصرف ، فانصرف به إلى منزله »[1].

ومن المحتمل أن يكون عديّ قد اعتمد في موقفه هذا على إيثار الوليد الشديد له ومحبّته إيّاه ، فمدح عبيدة دون خوف من عقاب الخليفة ، إلاّ أن عدياً لم يكن يعلم أن الخليفة سيصفح عنه ، فمدح عبيدة وفاءً له وإخلاصاً.

١– الأغاني ٩:٣٠٧.

٢-الاعتداد بالنفس:

كان عديّ شديد الاعتداد بنفسه ، وكان يبالغ في ذلك ، ممّا جعل بعض العلماء والشعراء يطعنون عليه ، ويتهمونه بالجهل والغرور ، فقد قال في قصيدة مدح بها الوليد بن عبدالملك (١):

وَعَلِمْـــــتُ حتّي مـا أُسائِلُ واحداً   عـــــنْ عِلْمِ واحِدَةٍ لكيْ أزْدادَها

لقد ادّعى عديّ أنّه بلغ مرتبة من العلم لا يحتاج معها إلى سؤال أحد في أي مسألة وهذا اعتداد شديد بالنفس ، فهل كان عديّ يعرف ألوان المعرفة جميعها مما يجعله لا يحتاج إلى أن يسأل أحداً ؟ وهذا ما دعا كثير عزّة إلى اتّهامه بالكذب في مجلس الوليد ، فقال له :«كذبت وربّ البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك ، وما كنت أحمق منك الآن حين تظنّ هذا بنفسك ، فضحك الوليد والحضور» (٢) . وروي عن محمد بن المنجم أنه قال عندما سمع بيته هذا : « ما أحد ذكر لي فأحببت أن أراه ، وإذا رأيته أمرت بصفعه إلاّ عديّ بن الرقاع . قيل ولم ذلك ؟ قال : لقوله:

وعلمـــــتُ حتّي مـا أسائلُ واحداً   عـــــن علم واحدةٍ لكيْ أزْدادها

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم ، فكلّما مرّ به شيء ولم يحسنه أمرت بصفعه » (٣) . وقد التفت الأستاذ خليل مردم إلي هذا الموقف التفاتة لطيفة فقال : سامح الله محمد بن المنجم ، فإنه يدّعي أكثر مما يدّعيه عدّي بقوله هذا (٤).

١- ديوانه :٩١ وبقيت، الطرائف الأدبية ص ٨٦ ، الحيوان : ٣: ٦٤ ، الجاحظ : البيان والتبيين ص٤,٥، ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢:١٢٨ ، العقد الفريد ٢:٧٤ ، ٧:٧٥ ، الأغاني ٩:٣١١.

٢- الأغاني ٩:٣١١

٣- الأغاني ٩ : ٣٠٣.

٤- خليل مردم بك : شعراء شاميون ص ٢٣.

٣-الصبر والجلد:

كان عديّ جلداً شديد الصبر على الملمّات والمصائب ، يظهر ذلك في قوله[١]:

وَفِراقِ ذِي حَسَبٍ وَرَوْعَةِ فاجعٍ   داوَيْتُها بتجمُّلٍ وَعَزاءِ
ليرى الرّجالُ الكاشِحون صلابتي   وأُعينُ ذاكَ بِعِفَّةٍ وَحَياءِ

وفي قوله [٢]:

وَنَكْبَةٍ لورَمى الرّامي بها حَجَراً   أَصَمَّ منْ يابس الصَّوان لانْصَدَعا
أتتْ عليَّ فلَمْ أَنْزِعْ لها سَلَبي   ولا استَكَنْتُ لها شكْوى ولا جزعا

فالمصائب لا تزيده الاّ صلابة وقوّة ، ولا تثنيه ولا تؤثر فيه لأنه قويّ صبور، كما يقول:

أُسِرُّ هموماً لَوْ تَغَلْغَلَ بَعْضُها   إلى حَجَرٍ صَلْدٍ تركنَ به صَدْعاً [٣]

وفي شعره شواهد عديدة على هذه الصفة.

١- ديوانه : ١٦١، حماسة البحتري ص ١٩٣ ، البصري : الحماسة البصرية ٢:٤٥.

٢- ديوانه : ٢١٧ حماسة البحتري ص ١٩٥.

٣- ديوانه : ٢٢٢ معجم البلدان ، مادة مقد.

ز- وفاته:

يلف الغموض المرحلة الأخيرة من حياة عديّ بن الرقاع ، فلم يحدّد القدماء سنة وفاته إلاّ ابن شاكر الكتبي ، فإنه ذكر أن عديّا توفّي سنة خمس وتسعين للهجرة أو قبلها (١)، ولم يذكر الكتبي المصدر الذي استقى منه هذا التاريخ، وقد تبعه في ذلك بعض الدّارسين المحدثين ومنهم الزركلي الذي قال إنه توفي سنة خمس وتسعين للهجرة (٢) ، وأخذ عن الزركلي الدكتور ياسين الأيوبي (٣) ، وعبد العزيز بن محمد الزير (٤) دون تثبت من صحّة ذلك ، لكن عمر رضا كحالة يذكر أن عديّا كان حيّا سنة تسع وتسعين للهجرة (٥)، وإلى ذلك أشار الأستاذ خليل مردم فقال : لا يبعد أن يكون عديّ قد توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز (٦) . وقول الاستاذ مردم أقرب إلى الصواب ، لأن عديّا أدرك خلافة سليمان بن عبدالملك ، ذكر ذلك ابن عبدربه (٧) وابن عساكر (٨) ، واستناداً إلى ذلك يكون عديّ قد عاصر سليمان بن عبدالملك ، وفي شعره ما يرجّح أنه أدرك خلافة عمر بن عبدالعزيز الذي تولّى الخلافة سنة تسع وتسعين للهجرة بعد وفاة سليمان بن عبدالملك ، فقد مدح عمر بن العزيز بعد توليّه الخلافة، ونقل ابن منظور أبياتاً من مديحه له (٩) ، وتوفي عمر بن عبدالعزيز سنة إحدى ومائة للهجرة ، ولا يبعد أن يكون عديّ قد توفي في هذه السنة ، لأن أخباره تنقطع بعد وفاة عمر ابن عبدالعزيز.

١- عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥:٥٠١.

٢- الزركلي : الأعلام ٤:٢٢١.

٣- د. ياسين الأيوبي : معجم شعراء لسان العرب ص ٢٧٩.

٤- عبدالعزيز محمد الزير : شعراء الدعوة الاسلامية ص ١١٥.

٥- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٢٧٤.

٦- شعراء شاميون ص١٨.

٧- العقد الفريد ٢:٤٢.

٨- تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١:٢٥٢

٩- لسان العرب ، مادة عملس.

الفصل الثاني
علاقات عديّ ومواقفه

الموقف السياسي :

بدأ نفوذ بني أمية في الدولة الإسلامية منذ تسلم عثمان بن عفّان مقاليد الخلافة، وكان عثمان بمثابة رأس الأسرة الأموية ، فاختار بعض ولاته وعمّاله منها ، واحتلّوا مكانة مرموقة في خلافته [1] ، فولّى مروان بن الحكم على ديوانه وجعله كاتبه [2] ، وأقرّ معاوية على الشام [3] ، وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سرح على مصر [4] ، وولّى عبدالله بن عامر على البصرة [5] ، وولّى على الكوفة كلاً من سعد بن أبي وقّاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط [6] وسعيد بن العاص وكلهم أقاربه [7] ، وكان تعيينه بعض أقاربه في الولايات سبباً في الثورة عليه وقتله سنة خمس وثلاثين للهجرة [8].

وبعد مقتل عثمان بايع أهل المدينة عليّ بن أبي طالب بالخلافة ، فسارع علي إلى عزل ولاة عثمان ومنهم معاوية بن أبي سفيان ، فلم يستجب معاوية لأمر علي ، واتخذ من قتل عثمان والمطالبة بدمه وسيلة إلى الوصول إلى الخلافة ، وعلّق قميص عثمان على المنبر في دمشق ليثير أصحابه وأنصاره ، مدّعيا أن لعلي ضلعاً في قتله ، وكانت حجّته أن عليّا آوى القتلة ، وينبغي أن يسلّمهم إيّاه لأنه وليّه [9] ، وجرت معارك بين الطرفين كانت معركة صفّين

١- محمد ضياء الدين الريس : عبدالملك بن مروان والخلافة الأموية ص ١٣.
٢- ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥:٢٤ ، تاريخ خليفة بن خياط ١:١٥٧.
٣- تاريخ خليفة بن خياط ١:١٥٧.
٤- تاريخ خليفة بن خياط ١:١٥٧ ، الأخبار الطوال ص١٣٩.
٥- تاريخ خليفة بن خياط ١:١٥٦ ، الأخبار الطوال ص١٣٩.
٦- تاريخ خليفة بن خياط ١:١٣٢ ، الأخبار الطوال ص١٣٩.
٧- تاريخ خليفة بن خياط ١:١٥٧ ، د. نبيه عاقل : خلافة بني أمية ص ٤.
٨- د. نبيه عاقل : خلافة بني أمية ص. ٤.
٩- الأخبار الطوال ص ١٤١ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٦ ، يوسف العشي : الدولة الأموية ص٩٥.

أهمها [1] ، وتعتبر هذه المعركة بداية النهاية لخلافة علي ، وهي نقطة تحوّل مهمة ، حيث أسفرت عن ظهور ثلاثة أحزاب متصارعة هي حزب علي وحزب معاوية وحزب الخوارج . وانقلب ميزان القوى لمصلحة معاوية ، إذ انشقّ الخوارج على عليّ وأعلنوا الحرب عليه ، وتثاقل أهل البصرة والكوفة عن نصرته [2] ، وسقطت مصر بيد عمرو بن العاص وتبعت معاوية [3] ، وأهم نتيجة لهذه المعركة هي مقتل عليّ على يد عبدالرحمن بن ملجم المرادي الخارجي سنة إحدى وأربعين للهجرة [4] . فبويع معاوية في السنة نفسها بالخلافة ، وبعد أن تمّ الأمر له ، استطاع أن يوحّد أمصار الدولة تحت لوائه ، وبدأ عصر جديد هو عصر الدولة الأموية.

وحاول معاوية تعيين وليّ لعهده ، فاستدعى كبار رجال الحجاز والعراق ، وطلب منهم أن يبايعوا لابنه يزيد بولاية العهد [5] ، فرفض عبدالله بن الزبير والحسين بن علي تلك البيعة [6]، وبعد وفاة معاوية بدأ الصراع بين الأحزاب المختلفة على السلطة وشكّلت الزبيرية خطراً كبيراً على الخلافة الأموية ، وقد حذّر معاوية ابنه يزيد قبل وفاته من عبدالله بن الزبير قائلا: [7] « وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته فرصة وثب ، فذاك عبدالله بن الزبير، فإن فعل وظفرت به ، فقطّعه إرباً إرباً ، إلاّ أن يلتمس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل منه » . وأراد يزيد انتزاع البيعة من الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وعبدالله

٢- تاريخ خليفة بن خيّاط ١:١٧٣ ، الأخبار الطوال ١٥٥.

٣- تاريخ خليفة بن خياط ١:١٧٤ ، الأخبار الطوال ص١٠٢ ، ص ٢١٠ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٦٤.

٤- تاريخ الأمم والملوك ٥:٩٤.

٥- الأخبار الطوال ص ٣٠٢ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:١٤٣ ، الخلافة الأموية ص ٤٥.

٦- تاريخ الأمم والملوك ٥:٣١٠ ، مروج الذهب ٣:٢٧، الدولة الأموية ص ١٥٣.

٧- تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٢٢ ، أنساب الأشراف ج٤ ق٢ ص١٣ ، الأخبار الطوال ص٢٢٧ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٣٢٢.

٨- الأخبار الطوال ص ٢٢٦ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٣٢٣.

ابن عمر بعد وفاة والده ، فكتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عقبة يقول له : « أما بعد فخذ حسينا وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام » [١].

وأشار مروان بن الحكم على الوليد بن عقبة الإسراع في أخذ البيعة منهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، ولكنّ الوليد تأخر في ذلك ، فخرج الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير إلى مكة ولم يتمكن من أخذ البيعة منهما [٢] ، وخرج الحسين بعد ذلك إلى الكوفة فقتله عبيدالله ابن زياد سنة إحدى وستين بكربلاء [٣].

ونقض أهل المدينة بيعتهم ليزيد وخلعوه ، وحاصروا بني أمية فيها ، فبعثوا يطلبون النجدة من يزيد ، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّي في جيش من أهل الشام لإنقاذهم ، فوجد أن أهل المدينة أجلوهم عنها ، واستطاع مسلم احتلال المدينة سنة ثلاث وستين للهجرة بعد انتصاره على أهلها في موقعة الحرّة [٤] . وبعد وفاة مسلم تولى الحصين بن نمير السكوني قيادة الجيش وتوجّه إلى مكة لمحاربة ابن الزبير ، وفي أثناء محاصرته لها بلغه خبر وفاة يزيد ، فكرّ راجعاً الى الشام بعد أن أخفق في إقناع عبدالله بن الزبير بالخروج معه إلى الشام ومبايعته بالخلافة [٥] .

١- الأخبار الطوال ص ٢٢٧ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٣٣٨.

٢- تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٢٣ ، أنساب الأشراف ج٤ ق٢ ص١٣، الأخبار الطوال ص ٢٢٨، تاريخ الأمم والملوك ٥:٣٣٩ ، مروج الذهب ٣:٥٥.

٣- تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٢٤ ، الأخبار الطوال ص ٢٥٩ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٤٤٩، مروج الذهب ٣:٦١.

٤- الطبقات الكبرى ٥: ٢٦، تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٣٠ ، أنساب الأشراف ج٤ ق٢ ص ٣٦ ، الأخبار الطوال ص٢٦٥ ، مروج الذهب ٣:٦٩.

٥- تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٤٨ ، أنساب الأشراف ٤ ق٢ ص٥٥ ، الأخبار الطوال ص ٢٦٧ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٥٠١ ، مروج الذهب ٣:٨٢.

وبعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ، جاهر عبدالله بن الزبير بالدعوة لنفسه في الحجاز [1] ، وبعث رسله الى بقية الأمصار ، فبايعه أهل العراق والجزيرة واليمن ومصر ، وبايعه من الشام مركز الخلافة الأموية زفربن الحارث بقنسرين ، والنعمان بن بشير بحمص ، وناتل بن قيس بفلسطين ، والضحاك بن قيس بدمشق ، ولم يبق مواليا لبني أمية غير أهل الأردن بزعامة حسّان بن بحدل الكلبي [2] ، وهكذا اضطرب الأمر وتضاربت الأهواء ، وأوشكت السلطة الأموية على الانهيار ، وصوّر أزنم الفزاري الأوضاع بقوله[3]:

إنّـــي أرى فتِناً تَغَلْـي مراجِلُها والمُلْكُ بعْـــدَ أبي ليلى لِمنْ غَلبَـا

وقال عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان [4]:

وما النّاسُ إلا بَحْدَلِـــيٌ عنِ الهوى والاّ زُبَيْـــرِيٌّ عَصـــا فُتَزَبّـــرا

وفي وسط هذا الجو المتأزم ظهر مروان بن الحكم تسانده القبائل اليمانية ، والتفّ أهل الأردن حوله مبايعين له بالخلافة في مؤتمر الجابية ، واستطاع جمع ثمانية عشر ألفاً ، وفي بعض الروايات ثلاثة عشر ألفاً [5] أكثرهم من القبائل اليمنية لمحاربة الضحّاك بن قيس الفهري [6] فالتقوا في مرج راهط ، وهزمت الزبيرية ممثّلة بالضحاك الذي قتل في المعركة [7] ، وخلصت

١- تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٥٢ ، مروج الذهب ٣:٨٣.

٢- الطبقات الكبرى ٥:٢٧ ، أبو تمام : نقائض جرير والأخطل ص ٦ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢:٢٥٦ ، تاريخ الأمم والملوك ٤:٤٠٨.

٣- الطبقات الكبرى ٥:٢٧ ، تاريخ الأمم والملوك ٥:٥٥٠ (حان أولها ، دون نسبة) مروج الذهب ٢:٧٢ (هاجت مراجلها، دون نسبة).

٤- أنساب الأشراف ٥:١٢٣.

٥- الطبقات الكبرى ٥:٢٩.

٦- ابن أعثم : كتاب الفتوح ٥:٣١٢ ، د. حسين عطوان : شعراء الدولتين الأموية والعباسية ص٢٥.

٧- الطبقات الكبرى ٥:٢٩ ، تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٥٥ ، أنساب الأشراف ٥:١٣٦ تاريخ اليعقوبي ٢:٢٥٦، مروج الذهب ٣:٨٧.

الشام كلّها لمروان ، وبذلك انتقلت السلطة من البيت السفياني إلى البيت المرواني [1].

ولم يقف الشعراء بعيدين عن هذه الأحداث ، بل كانوا في طليعة الصراع السياسي والعسكري المحتدم ، وكان لكلّ جماعة من الجماعات المتصارعة شعراء ينافحون عنها ويتحدّثون باسمها ، فوقف عبيدالله بن قيس الرقيات إلى جانب ابن الزبير ، فقاتل معه بلسانه وسيفه ، وعرض ببني أمية وأنصارهم وحثّهم على القتال لإنقاذ الخلافة الإسلامية من أيدي الطامعين.

والتفّ حول بني أمية مجموعة من الشعراء على رأسهم الأخطل التغلبي وشعراء قبيلة كلب، ووقف عديّ بن الرقاع العاملي إلى جانبهم يناصرهم بلسانه ، ويدافع عنهم وعن موقفهم السياسي وحقّهم في الخلافة ، وظهر موقفه السياسي المؤيد لهم في حديثه عن معركةمرج راهط ، يقول :

لَوْلا الإلهُ وأهلُ الأردُنِ اقْتَسَمْتْ   نارُ الجَماعَةِ يَــــوْمَ المَرْجِ نيرانا [2]
كانوا زِواراً لأهلِ الشّام قدْ عِلِموا   لّما رأوْا فيهُمُ جَــــوراً وطُغْيانا

وتعصّب عديّ للأمويين ودافع عنهم ، وجاء موقفه هذا منسجماً مع موقف القبائل اليمانية التي ارتفعت مكانتها في الشام، واحتلت مواقع مرموقة فيها ، فقدّمها الأمويون على غيرها ، وأسندوا إلى رجالاتها الوظائف المهمة في الدولة ، وتمسك عبدالملك بن مروان بها ، فكانت تشكل صلب جيشه في الشام [4] ، ووقفت بجانبه في صراعه مع عبدالله بن الزبير وشيعة علي بن أبي طالب [5].

١- شعراء الدولتين الأموية والعباسية ص ٢٥، عبدالملك بن مروان والدولة الأموية ص٤٥.
٢- ديوان : ١٧٠ معجم البلدان : مادة أردن.
٣- التكملة والذيل والصلة : مادة زور ، لسان العرب ، مادة زور ، التاج ، مادة زور.
٤- أنساب الأشراف ٥:٢٨٦
٥- تاريخ خليفة بن خياط ١:٢٦٤ ، أنساب الأشراف ٥:٢٨٦.

علاقات عديّ بالخلفاء والأمراء الأمويين:

ارتبط عديّ بعلاقات طيّبة مع الخلفاء والأمراء الأمويين الذين عاصرهم ، فقد اتصل بعبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبدالملك ، واتصل بعمر بن الوليد بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز ، كما اتصل بعدد من رجالات عصره ، فكانت علاقته متينة مع عبيدة بن عبدالرحمن السلمي ، ومدح يزيد بن المهلب وعمربن هبيرة .

وأخلص عديّ في ولائه للأموين إخلاصاً أدى إلى ارتقائه سلّم الشهرة في بلاطهم فاحتّل مكانة عالية من أنفسهم ، وأصبح شاعر بني أمية الذي لا ينازع في عهد الوليد بن عبدالملك.

علاقة عديّ بعبد الملك بن مروان

لم يكن في يد عبدالملك بن مروان حين ولي الخلافة غير مصر والشام [1] ، وكانت الدولة بحاجة الى تثبيت سلطانها ، فقد أعلن الخوارج ثورتهم على بني أميّة ، وكان رجال الشيعة في العراق يتأهبون وينظمون صفوفهم استعداداً للقيام بثورتهم وتكوين دولة لهم ، وجلّ غضبهم منصب على بني أميّة الذين اغتصبوا الخلافة من آل البيت ، وأساءوا إليهم وقتلوا كبار أئمتهم [2] . واستولى مصعب بن الزبير على العراق ، ودانت الحجاز لأخيه عبدالله بن الزبير ، وانتهز الروم فرصة الانقسام التي كانت الدولة تعاني منها، وأخذوا يغيرون على الثغور الإسلامية ، فهادنهم عبدالملك بن مروان وصالحهم ودفع لهم الجزية ، لكي يتفرغ للقضاء على الفتن الداخلية ، ويتمكن من توطيد أركان حكمه [3].

١- الطبقات الكبرى ٥: ٣٠، ١٦٨ ، تاريخ خليفة بن خياط ١: ٢٥٧ ، الأخبار الطوال ص ٢٨٦.

٢- عبدالملك بن مروان والدولة الأموية ص١٦.

٣- البلاذري : فتوح البلدان ٢: ٢١٨.

فجهز عبدالملك جيوشه ، وتوجّه على رأسها إلى العراق لمحاربة مصعب بن الزبير، فالتقوا بدير الجاثليق سنة اثنتين وسبعين للهجرة [1] ، وقتل مصعب في هذه المعركة ، وتمكّن عبدالملك من إحراز النصر ، وضمّ العراق إلى ملكه ، فقال عديّ بن الرقاع يعرض بمصعب ابن الزبير ويمدح عبدالملك بن مروان بعد انجلاء الموقف [2]:

لَعمري لقـــدْ أصْحَـــرتْ خَيْلُنا ... بأكنافِ دِجلَـــةَ للمُصْعَـــبِ

إذا ما مُنافِقُ أهْـــلِ العِـــراقِ ... عوتِبَ ثمّـــتَ لَـــمْ يُعْتَـــبِ

دَلَفنا إليـــهِ بـــذي تُـــدْرأ ... قليـــلِ التَفَقُّـــدِ للغُيَّـــبِ

يَهُزّونَ كلَّ طويـــلِ القَنـــا ... ة مُلْتَئِـــمِ النَصّـــلِ والثَّعْلَـــبِ

كَأَنَّ رُغاهُمْ إذا مـــا غَـــدَوا ... ضَجيـــجُ قطا بلـــدٍ مُخْصِـــبِ

فقدّمَنـــا واضـــحٌ وَجْهُـــهُ ... كريمُ الضرائـــبِ والمنصِـــبِ

أعينَ بنـــا ونُصِرنـــا بِـــهِ ... ومن ينْصُرِ اللّـــهُ لا يُغْلَـــبِ

ويظهر من شعر عديّ أنه شهد المعركة ،وكان أحد فرسانها الذين واجهوا الأعداء بصلابة وشجاعة ، وقد نال من مصعب واتهمه بالنفاق ، وذكر فضل قومه في نصرة بني أمية واستماتتهم في الدفاع عن خلافتهم.

وعلى الرغم من أن عدياً أدرك خلافة عبدالملك كلّها ، فإن ما وصل إلينا من أخباره

١- الطبقات الكبرى ١٦٩:٥ ، تاريخ خليفة بن خياط ٢٦٤:١ ، أنساب الأشراف ٣٤٢:٥ ، الأخبار الطوال ص٣١١ ، مروج الذهب ١٠٨:٣.

٢- ديوانه : ٢٣٣، تاريخ الأمم والملوك ١٥١:٦ ، وقد وردت هذه المقطوعة بروايات مختلفة في كل من : أنساب الأشراف ٣٤٢:٥ ، الأخبار الطوال ص ٣١١، الأغاني ٢٩٨:٩، ٦٢:١٩ ، مروج الذهب ١٠٩:٣ (بدون نسبة) ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ٢٥٢:١١ ، النويري : نهاية الأرب ٢٠٤:٤.

وأشعاره لا يدلّ على وجود صلة مميّزة بينهما ، ولم نعثر في شعره على مدح لعبدالملك سوى الأبيات السابقة ، وهي تدل على موقف سياسي اتخذه عديٌّ من حركة ابن الزبير ، وهو موقف مستوحى من موقف قبيلته اليمانية التي ساندت بني أمية ، وهو ينوه بفضل قومه عليهم ، ولعلّ مدائحه في عبدالملك ضاعت ، ومن المحتمل أن يكون احتفاء عبدالملك بالأخطل التغلبي وايثاره له [1] ، قد صرفه عن الاحتفاء بعديّ بن الرقاع.

علاقة عديّ بالوليد بن عبدالملك وأبنائه:

ولي الوليد بن عبدالملك الخلافة سنة ست وثمانين للهجرة في اليوم الذي توفي فيه والده عبدالملك بن مروان [2] ، وكان عبدالملك قد قضى على الفتن الداخلية ، ووطّد أركان الحكم ، ونشر الأمن في ربوع الدولة ، فأتاحت هذه الظروف للوليد التفرغ للاصلاحات الداخلية ومقارعة أعداء الإسلام في الشرق والغرب، فوجّه عنايته إلى الفتوح والعمران ، وكان عهده عهد رخاء وازدهار ، وهو من أكثر خلفاء بني أمية اشتغالاً بالجهاد وحماية للثغور [3] ، ففي سنة ثمان وثمانين للهجرة غزا مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد الطوانة ، وهزم الروم في هذه المعركة [4] ، فقال عديّ بن الرقاع مبتهجاً بهذا الفتح ، مشيداً بالنصر الذي عزّز مكانة الأمة الإسلامية : [5]

وكانَ أمرُكَ مِنْ أهْلِ الطُّوانَةِ مِنْ   نصرِ الذي فَوْقَنا واللّهُ أعْطانا
أمراً شَدَدْتَ بإذْنِ اللّه عُقْـدَتَهُ   فزادَ في ديننا خَيْراً ودُنيانـــا

١- الأغاني ٨:٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧.

٢- تاريخ خليفة بن خياط ١:٣٠٢ ، تاريخ اليعقوبي ٢:٢٨٣ ، تاريخ الأمم والملوك ٦:٤٢٣ ، مروج الذهب ٣:١٥٦.

٣- تاريخ الخلفاء ص٢٢٤.

٤- تاريخ خليفة بن خياط ١:٣٠٥ ، تاريخ الأمم والملوك ٦:٤٣٤.

٥- ديوانه : ١٧٤، معجم البلدان : مادة طوانة.

وقرّب الوليد إليه القبائل القيسية ، وأسند إلى رجالاتها بعض المناصب المهمة في الدولة، وأبقى على علاقاته الطيبة مع القبائل اليمانية ، فبقيت هذه القبائل على ولائها له ، وأخلصت في مناصرته ، كما قرب الوليد إليه عديّ بن الرقاع ، واتخذه شاعراً لبني أمية ، وقويت الصلة بينهما، وعظمت مكانة عديّ عند الوليد ، فقدّمه وآثره على غيره من الشعراء ، وأغدق عليه الأموال والعطايا ، وأشار عديّ إلى ذلك فقال [1]:

قَـدْ حباني الوليـــدُ يَـــوْمَ أُسَيْسٍ   بِعِشَـــارٍ فيهـــا غِنىً وبهاءُ

وفسح الوليد لعديّ في مجلسه ، فأنشده عديّ أروع قصائده ونوّه بمكانته وخصاله ومآثره ، وكاد الوليد يبطش بجرير حين همّ بهجاء عديّ بن الرقاع لمكانة عديّ عنده [2] ، وليس عجيباً أن يستأثر عديّ بحب الوليد الذي لم يحتفل بالأخطل ، لأنه كان مختصّاً بوالده، ولم يكن الوليد متسامحاً مع النصارى ، إذ هدم بيعة لهم عندما سمع أجراسها [3] ، وبني الجامع الأموي مكان إحدى كنائسهم [4] ، فأبعد الأخطل عن البلاط وقرّب إليه عديّ ابن الرقاع.

وكان عديّ شديد الولاء لبني أمية ، فاتخذ سياستهم منهجاً له ودافع عنها ، ومدائحه في الوليد تعدّ من أجمل شعره وأحسنه ، فبيّن في مدائحه شجاعة الوليد وإصلاحاته وصفاته الإسلامية ، ودافع عن حقّه في الخلافة ، وبيّن أن الأمة ألقت إلى الوليد مقاليد أمرها فقادها وجمع شملها ونصر المظلومين . وذكر أبو الفرج أن الوليد بن عبدالملك كتب إلى عامله على مكة أن يشخص إليه ابن سريج ، فلمّا مثل بين يديه غنّاه ، بشعر الأحوص بن محمد

١- ديوانه : ١٥٧ معجم البلدان : مادة أسيس.

٢- طبقات الشعراء ص ٨٩، الأغاني ٩:٣٠٧ ، ٨:٨٠.

٣- مروج الذهب ٣:١٦٦.

٤- تاريخ الأمم والملوك ٦:٤٩٩.

الأنصاري في مدحه ، فأمر الوليد بإشخاص الأحوص، ثمّ غناه ابن سريج بشعر عديّ بن الرقاع في مدح الوليد:

عَرَفَ الدّيارَ تَوَهُّماً فاعْتادَهــــــا مِـــنْ بَعْــدِ ما شَمِلَ البلى أبْلادهَا

فأمر الوليد بإحضار عديّ بن الرقاع. وعندما وصل الشاعران إلى الوليد أمر بانزالهما إلى جنب ابن سريج ، فقالا لابن سريج : « والله لقرب أمير المؤمنين كان أحبّ إلينا من قربك يا مولى بني نوفل ، وأن في قربك لما يلذنا ويشغلنا عن كثير مما نريد ، فقال لهما ابن سريج : أوقلة شكرا ! فقال له عديّ: كأنك يا ابن اللّخناء تمنّ علينا ، عليّ وعليّ إن جمعنا وإيّاك سقف بيت أو صحن دار إلاّ عند أمير المؤمنين » وخرج عديّ من عندهما ، فبلغ الوليد ما جرى بينهم، فدعا ابن سريج وأدخله بيتاً ، وأرخى دونه ستراً ، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعديّ من كلمتيهما أن يغني ، فلما دخلا وأنشداه مدائحهما فيه ، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه ، وضرب بعوده ، فأعجب الحاضرون بصوته وحسن غنائه ، ودهش عديّ إذ عرف أن الصوت الذي سمعه هو صوت ابن سريج ، وقال : حقّ لهذا ان يحمل ثلاثاً ، ثمّ أمر الوليد للشاعرين وابن سريج بمال وارتحل القوم [1] . ويدل هذا الخبر على علاقة عديّ بن الرقاع الحميمة بالوليد بن عبدالملك.

وذكر ابن عبدربه أن عديّا كان يجالس سليمان بن عبدالملك ويسامره ، وأنه طلب منه أن ينشده قوله في الخمر : [2]

كُمَيْتٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأسِ وردةٌ لهـــا فـــي عِظامِ الشّاربينَ دَبيـبُ
تُريكَ القَذى من دَنّها وهـي دونَــهُ لِوَجْـــهِ أخيهـــا في الإِناءِ قُطوبُ

١- الأغاني ١:٢٨٢ ، ٩:٣٠٦ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١:٩ نهاية الأرب ٤:٢٥٨.
٢-ديوانه : ٢٧٥ ،العقد الفريد ٤:١٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢:٤٢٦ ، بهاء الدين العاملي : المخلاة ص ٣٣١.

فأنشده ، عديّ ذلك الشعر ، فقال سليمان : شربتها وربّ الكعبة ! فأجابه عديّ : والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها ، قد رابني معرفتك بها ، فتضاحكا وأخذا في الحديث.

والراجح أن الوليد بن عبدالملك هو الذي طلب من عدي إنشاده قوله في الخمر لما بينهما من صداقة قوية ، ويستبعد أن يكون قد أنشد شعره السابق في مجلس سليمان بن عبدالملك بسبب فتور العلاقة بينهما . وروي هذا الخبر على وجوه مختلفة في بعض المصادر ، فرواه أبو الفرج مع تغيير بسيط في مفرداته ، وذكر في روايته أن أبا الأقرع عبدالله بن حجاج الشاعر دخل على الوليد بن يزيد ، فسأله الوليد أن ينشده شعره في الخمر [1] ، وأبو الأقرع عبدالله بن حجاج لم يدرك خلافة الوليد بن يزيد فيما وصل إلينا من أخباره وأشعاره [2].

أما الشريف المرتضى فذكر في روايته أن الوليد بن يزيد طلب من عدي بن الرقاع أن ينشده قوله السابق في الخمر [3] ، وقد رجح أن عديًا توفي في عهد عمر بن عبدالعزيز ولم يدرك خلافة الوليد بن يزيد.

وأدار ابن عبدالبر هذا الخبر بين عديّ بن الرقاع ومعاوية بن أبي سفيان [4] ، وهو أمر مستبعد لأن عديًا لم يحضر مجالس معاوية ، ولم تظهر شاعريته في عهده ، وإنما بدأ قول الشعر في عهد يزيد بن معاوية .

ونسب علاء الدين الغزولي هذا الخبر إلى أعرابي لم يسمّه ، وغيّر اسم الخليفة فجعله عبدالملك بن مروان ، كما غيّر في بعض مفردات النص وألفاظ الشعر ، وحافظ على مضمون

١- الأغاني ٧:٥٤ ، بهاء الدين العاملي : الكشكول ٢:٧٤.

٢- أنظر : د. حسين عطوان : الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص٢٢٩.

٣- الشريف المرتضى : الأمالي ١:٢٧٧.

٤- بهجة المجالس ١:٩٤.

الرواية [1].

ولم تقتصر علاقة عدي على الوليد وحده ، بل اتصل بأبنائه ، وكانت له صلة طيبة بابنه عمر ، وكان يحضر مجالسه ، قال الصولي [2] : « قال عديّ بن الرقاع : ما أسمعت عمر بن الوليد بن عبدالملك مديحاً قط إلاّ كدت أسمع حديث نفسه بحبائي ، قال : فوالله إنّي بعد هذا الحديث لفي مجلس عمر ، إذ دخل عليه عديّ فأنشده شعراً فيه ، فدعا مولى له فقال : هات نقيضة هذه القصيدة ، فظننت أنه ينشده شعراً ، فأتى ببدرة فيها عشرة آلاف درهم ، فدفعهاإليه».

فهذه الرواية تشير إلى حفاوة عمربن الوليد بعديّ بن الرقاع وتشير أيضاً إلى إعجابه بشعره ، ولعديّ قصيدة في مدح عمر بن الوليد يقول فيها [3]:

وإذا نَظَرْتُ الـى أميـــري زادَني   ضنّاً بَــــهِ نَظَري إلـــــى الأمراءِ

ولعديّ أبيات في تهنئة عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك تدلّ على إيثار المروانيين له وعنايتهم به ، فحين تزوج عبدالعزيز أم حكيم في حياة جدّه عبدالملك بن مروان ، أمر عبدالملك بإدخال الشعراء إليه ليقولوا في زواجهما أشعاراً يرويها الناس ، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرقاع ، فدخلا عليه وبدأ عدي لموضعه فقال :

قَمَرُ السّماءِ وشَمْسُهــا اجْتمَـــعا   بالسّعْـــدِ مـــا غابا وما طَلَعـــا
مـــا وارَتِ الأسْتارُ مُثْلهَمُـــا   منْ ذا رأى هذا ومـــــــنْ سَمِعا
دامَ السُّرورُ لـــــهُ بِهـــا ولَهـــا   وتَهَنّيا طـــــولَ الحيـاةِ معَـــا

١- الغزولي : مطالع البدور في منازل السرور ص ١٣٩.
٢- الصولي : اخبار أبي تمام ص ٢٥١.
٣- ديوانه : ١٦٢، الشعر والشعراء ص ٥١٧، نهاية الأرب ٣:٥٧ ، ابن معصوم : أنوار الربيع ٢:٩٢.

وقال جرير أبياتاً منها:

جَمَعَ الأميرُ إليـــهِ أكْـــرَمَ حُرّةٍ فـــي كلِّ مـــا حالٍ من الأحوالِ

فأمر له عبدالملك بعشرة آلاف درهم ، ولعديّ بن الرقاع بمثلها [1].

١- عيون الأخبار ٣:٦٩ ، الأغاني ١٦:٢٠٩.

علاقة عديّ بسليمان بن عبدالملك:

لم يحظ عدي عند سليمان بن عبدالملك بمكانة مرموقة ،ولم يصل إلينا من أخباره معه إلاّ القليل ، وما وصل إلينا يدلّ على أن سليمان لم يحفل به كما حفل به أخوه الوليد . يقول ابن عبدربه : « لما ولي سليمان بن عبدالملك كتب إلى عامله بالأردن : اجمع يدي عديّ بن الرقاع إلى عنقه ، وابعث به إليّ على قتب بلا وطاء ، ووكل به من ينخس به ، ففعل ذلك ، فلمّا انتهى إلى سليمان بن عبدالملك ألقي بين يديه لا روح فيه فتركه حتى ارتدّت إليه روحه ثمّ قال له : أنت أهل لما نزل بك ، ألست القائل في الوليد:

مَعاذَ رَبِّيَ أن نَبْقى ونَفْقِدَهُ ... وأن نكونَ لراعٍ بعدَهُ تبَعا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما هكذا قلت ، وإنما قلت:

مَعاذَ ربّي أنْ نبقى ونَفْقِدَهُمْ ... وأن نكونَ لراعٍ بَعدهُمْ تَبَعا

فنظر إليه سليمان واستضحك ، وأمر له بصلة ، وخلّى سبيله »[1].

وهذا الخبر يدل دلالة واضحة على سخط سليمان بن عبدالملك علي عديّ بن الرقاع وترويعه له .

ونقل ابن عساكر الخبر السابق مع تغيير بسيط في مفرداته[2] ، ويظهر أنه استقاه من ابن عبدربه لتشابه الروايتين إلى حدّ بعيد . وروى أبو الفرج أن الفرزدق وجريراً وكثيراً وعديّ بن الرقاع اجتمعوا عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً ، فبدرهم الفرزدق فقال أبياتاً منها:

وما قَومٌ إذا العلماءُ عُدَّتِ ... عروقُ الأكرمينَ إلى التُّرابِ

١- العقد الفريد ٢:٤٢.

٢- تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١:٢٥٢.

فقال سليمان : لا تنطقوا ، فوالله ما ترك لكم مقالاً [1] . وهذه الرواية تدلّ أيضاً على رغبة سليمان بن عبدالملك عن الاستماع إلى شعر عديّ بن الرقاع.

١- الأغاني ٢١:٣٥٢

علاقة عديّ بعمر بن عبدالعزيز:

لم تكن علاقة عدي بعمر بن عبدالعزيز كعلاقته بالوليد بن عبدالملك ، فحين ولي عمر ابن عبدالعزيز الخلافة لم يكن يسمح للشعراء بالدخول عليه ، وإنما كان يسمح للقراء والفقهاء وأهل الدين فقط. وإذا دخل عليه أحد الشعراء كان يقول له: قل ولا تقل إلاّ حقّا ، فإن الله سائلك يوم القيامة عمّا قلت . إلاّ أن عدياً مدحه ونال جائزته . فقد روى الزمخشري أن عديّا وفد على عمر بن عبدالعزيز ، فلم يؤذن له ،فقال للآذن: أعلم أمير المؤمنين أنّي قلت شعراً أوله الحمد لله ، فأذن له ، فقال عديٌ: [1]

الحمدُ لِلّهِ أمّا بَعْـــــدُ يا عُمَـــــرُ ... فَقَدْ أتتكَ بنـــا الأحداثُ والغيَـــرُ
وأنتَ رأسُ قُرْيــشٍ وابــــنُ سَيّدّها ... والرأسُ يجعلُ فيها السَّمْعُ والبَصَرُ

فأمر له بحلية سيفه .

ومدحه بقصيدة قال فيها : [2]

لولا اختياري أبـا حَفْــــصٍ وطاعَتِهِ ... كـــادَ الهَوى مِنْ غداةِ اَلْبينِ يَعتَرِمُ

ونقل ابن منظور أبياتاً أخرى في مدحه [3]

١- ديوانه : ٢٥٤ ربيع الأبرار ٣:٢٤٣.

٢- معجم البلدان : مادة هدم.

٣- لسان العرب : مادة عملس.

علاقة عديّ بالشعراء المعاصرين

تميّزت العلاقة بين عديّ بن الرقاع وبين بعض الشعراء المعاصرين له بالتنافس والحسد ، ولعلّ علوّ المنزلة التي تمتّع بها عديّ في بلاط الوليد بن عبدالملك كان الدافع القوي إلى حسد الشعراء له ونيلهم منه، وسعيهم إلى إقصائه عن بلاط الوليد.

ونقلت بعض المصادر أخباره مع الشعراء مثل جرير وكثير عزّة وعبيد بن حصين الراعي ، وهي تشير إلى ما كان بينه وبينهم من خلاف في مجالس الوليد بن عبدالملك.

علاقة عديّ بجرير:

لم يكن عديّ على وفاق مع جرير ، فقد نفس عليه جرير الحفاوة التي كان يقابل بها في مجلس الوليد بن عبدالملك ، وليس أدلّ على ذلك من الأخبار التي وردت في بعض المصادر ، والتي تشير بوضوح إلى حسد جرير له ، ولا ندرى سبباً للخصومة بين الشاعرين غير هذا السبب ، فقد اجتمع الشاعران في أحد مجالس الوليد بن عبدالملك ، فسأل الوليد جريراً عن عديّ ، فأنكر معرفته به ، وحاول النيل منه في ذلك المجلس ، لولا تدخّل الوليد وانتصاره لعديّ وتهديده لجرير.

قال ابن سلام [1] : « دخل جرير على الوليد بن عبدالملك وهو خليفة وعنده ابن الرقاع العاملي ، فقال لجرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . قال: هذا رجل من عاملة . قال : الذين يقول الله جلّ ثناؤه ﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾ ، ثم قال:

يُقَصِّرُ باعُ العامِلِ العامليِّ عَن ولكنَّ.... العاملـــي طَويـــــلُ

١– طبقات الشعراء ص ٨٩ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ٢٥٢:١١ ، ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ : مخطوطة المكتبة الظاهرية ١٠٥:٥.

فقال العاملي:

أأُمُّكَ كانَتْ أخبَرَتْكَ بطولِـــــــهِ   أَمْ أَنْـــــتَ امرؤٌ لمْ تدر كيفَ تقولُ

فقال : لا بل لم أدر كيف أقول . فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبّلها وقال : أجرني منه ، فقال الوليد لجرير : لئن سميته لأسرجنّك ولألجمنّك وليركبنك فتعيّرك بذلك الشعراء . فكنى جرير عن اسمه فقال:

إنّي إذا الشاعـــرُ المغرورُ حُرّ بَنـــي   جارٌ لقبرٍ علـــى مرّانَ مرمـــوسِ
قد كانَ أشْـــوَسَ آباءً فأورَثَنـــا   شَغْباً على النّاس فـــي أبنائِنا الشّوسِ
أَقْصِرْ فإنَّ نزاراً لـــنْ يفاخِرهُـمْ   فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غـيرُ مَغْـــروسِ
وأبنا نِـــزار أحلاّني بمنزلـــةٍ   في رأسِ أرْعَنَ عاديٍّ القداميـــسِ
وابنُ اللّبونِ إذا ما لُزّ فـــي قَرَنٍ   لم يستطعْ صولـــةَ البزلِ القناعيـــسِ

ولخّص أبو الفرج في حديثه عن عديّ هذا الخبر بقوله : «وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبدالملك ، ثمّ لم تتم بينهما مهاجاة ، إلاّ أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته:

«حيِّ الهدملة من ذات المواعيس » (١).

ولم يصرّح لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره ، فلم يصرّح بهجائه».

وفي موضع آخر نقل أبو الفرج الخبر بنصّه عن ابن سلام، ونقله في مواضع أخرى

١- الأغاني ٩:٣٠١.

بروايات مختلفة [1] ، دون أن يعطي رأيه فيه ، وكان يذكر في مطلع كل رواية أن عدياً وجريراً اجتمعا في مجلس الوليد بن عبدالملك ، ثمّ يسرد بقية الرواية .

ولعلّ اتفاق الروايات التي نقلها أبو الفرج في المضمون ، وعدم وجود فروق كبيرة في تفاصيلها ، هو الذي جعله ينقلها إلينا على تلك الصور دون التعليق عليها . وهذا لا ينفي وقوع هذه المنافرة بين الشاعرين في مجلس الوليد ، ووقوف الوليد إلى جانب عديّ وتهديده لجرير.

وحاول بعض الرواة استغلال هذه الحادثة ليبني عليها أحكاماً تدل على تجاهل جرير لشخصية عدي ، والصحيح أن جريراً كان يعرف عدياً قبل خلافة الوليد بن عبدالملك ، إذ اجتمع الشاعران في مجلس عبدالملك بن مروان لتهنئته بتزوج عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك أم حكيم ، ونالا جائزته [2] . ولا يعقل أن يتهجّم جرير على شاعر لا يعرفه ، ولم ينخرط في صفوف أعدائه الذين هجوه ، ولمّا يعلم مكانته الشعرية ، وجرير بحاجة إلى من يقف بجانبه ضد أعدائه ، والصحيح أن جريراً حسد عدياً لتمتّعه بمكانة مرموقة عند الوليد ، فحاول هجاءه لإسقاطه وإغراء الخليفة بإبعاده عن بلاطه ، ولكنه فشل في ذلك بسبب انحياز الخليفة إلى عديّ ووقوفه إلى جانبه.

ونقل أبوالفرج رواية أخرى على لسان مخارق بن الأخضر القيسي تدور حول العداء بين جرير وعدي فقال [3] : « كان جرير يجيء إلى باب الوليد ، فلا يجالس أحداً من النزارية، ولا يجلس إلاّ إلى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس ابن الرقاع إلى أن يأذن الوليد للناس فيدخل ،فقلت له : يا أبا حزرة اختصصت عدوّك بمجلسك فقال : انّي والله ما أجلس إليه إلاّ لأنشده أشعاراً تخزيه وتخزي قومه . قال : ولم يكن ينشده شيئاً من شعره ، وإنما كان

١- الأغاني ٩:٣٠٢.٣٠٣

٢- عيون الأخبار ٣:٩٦ ، الأغاني ١٦:٢٠٩.

٣- الأغاني ٨:٩٧.

ينشده شعر غيره ليذله ويخوّفه نفسه ، فأذن الوليد للناس ذات عشيّة ، فدخلوا ودخلنا ، فأخذ الناس مجالسهم واطمأنوا فيها ، فبينما هم كذلك ، إذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرقاع المتفرقة أؤلف بعضها إلى بعض ، فقال الوليد : والله لهممت أن أخرجه على ظهرك إلى الناس . فقال جرير:

فـــإِنْ تَنْتَهي عنــهُ فَسَمْعاً وَطاعةً   وإلا فإنــي عُرْضـــةٌ للمراجِمِ

فالعداوة بين عديّ وجرير واضحة في هذه الرواية التي نقلها ابو الفرج ، ولكنّه لم يبيّن سببها ، وما كان بين الشاعرين من مشكلات حدت بجرير إلى التحامل على عديّ وعلى قبيلته في مجلس الخليفة ، ونستطيع أن نستخلص منها أن السبب الذي يقف وراء هذه العداوة هو الحسد.

ووقف جرير مرّة أخرى في مجلس الوليد بن عبدالملك ضدّ عدي بن الرقاع محاولاً النيل منه ، فقد ذكر كثير بن عبدالرحمن وعدي بن الرقاع في ذلك المجلس ، فامتروا فيهما أيهما أشعر ، فقال جرير :«لقد قال كثير بيتاً هو أشهر وأعرف في الناس من عديّ بن الرقاع نفسه » (1).

وهجاه جرير فقال :(2)

وَلَقدْ قَسَمْــــتُ لِذي الرِّقاعَ هديّةً   وتركتُ فيـــهِ وهيّةً لا تُرْقَـــعُ

إن محاولات جرير المتكررة للنيل من عديّ في مجلس الوليد لم تفلح في إبعاده عن بلاط الخليفة.

١- الأغاني ٩:٣٠٢ ، عيون التواريخ : مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥:١٠٦ .

٢- أبو عبيدة : نقائض جرير والفرزدق ص ٩٦٧.

علاقة عديّ بكثيّر بن عبدالرحمن:

لم تكن العلاقة بين عديّ وكثير علاقة مودة وصفاء، فقد انتابها شيء من المنافسة لما كان يبلغ كثيّراً من أن عديّاً يقدح في شعره ويحطّ من قيمته. فحاول كثّير الانتقام من عديّ في مجلس الوليد بن عبدالملك. قال ابو الفوج [1]: «أنشد عديّ بن الرقاع الوليد بن عبدالملك قصيدته التي أولها:

«عرف الدّيار توهّما فاعتادها».

وعنده كثير، وقد كان يبلغه عن عديّ أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازي مقرور إذا أصابه قر الشام جمد وهلك، فأنشده إياها حتى أتى على قوله:

وَقَصيدةٍ قد بِـــتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَـــا حَتّـــى أُقوّمَ مَيْلَهَـــا وسِنادهَا

فقال له كثير: لو كنت مطبوعاً لم تأت فيها بميل ولا سناد، فتحتاج إلى أن تقوّمها. ثم أنشد:

نَظَرَ الْمُثَقِّفِ فـــي كُعوبِ قَنَاتِهِ حتّى يُقيـــمَ ثِقافُهُ منآدَها

فقال كثير: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج الى ثقاف أجود لها. ثم أنشد:

وَعَلِمْتُ حتَىّ ما أسائِلُ واحـــداً عـــنْ عِلْـــم واحدَة لكي أزْدادَها

فقال كثير: كذبت وربّ البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك، وما كنت قط أحمق منك الآن حين تظنّ هذا بنفسك، فضحك الوليد ومن حضر، وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق».

١- الأغاني ٩: ٣١٠، عيون التواريخ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥: ١٠٦.

فإن صحّت هذه الرواية ، فما الذي يعيب عدي بن الرقاع ؟ هل تثقيفه لشعره وتنقيحه له يعدّ في رأي كُثَيِّر عيباً ؟

والمعروف أن كُثَيراً كان من أصحاب الحوليات الذين ينظمون القصيدة في حول ، فيسجّل الشاعر ما يتيسّر له من أبيات ، ويضمّ إليها غيرها ، ثمّ يحذف ما يراه غير مناسب، وينقحها وينسقها حتى تستوي في الجودة ، وبعدها يذيعها بين الناس [1].

وكان كثير راوية جميل بثينة ، وهو من مدرسة اشتهرت بهذا الأسلوب ، فكيف يعيب على عديّ ما كان يبيحه لنفسه ؟

علاقة عديّ بالراعي النميري وغيره:

لم تكن علاقة عديّ بالراعي النميري حسنة ، فقد وقعت بينهما مهاجاة لا ندري سببها، فهجاه الراعي النميري بقصيدتين [2] ، حاول في إحداهما النيل من نسبه [3] ، فردّ عديّ عليه [4].

وتعرّض لعديّ بالهجاء يحيى بن أبي حفصة الأموي [5] ، وأبو القمقـــام بـحر بن السقا [6]، كما حاول جماعة من الشعراء معارضته ومهاجاته ، فتصدّت لهم ابنته سلمى وأفحمتهم [7].

١- أنظر : الشعر والشعراء ص ٣٣ ، الأغاني ٨:٩٢.

٢- ديوان الراعي النميري ص١٠ ، ٧٨.

٣- ديوان الراعي النميري ص ٧٨ ، الحيوان ٤:٣٣٦ ، العمدة ٢:١٨٩ ، زهر الآداب ١:٤٧.

٤- الأغاني ٩:٣٠٨ ، ابن عبدالبر : الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٣.

٥- زهر الآداب ١:٤٧.

٦- البرصان والعرجان والعميان ص ٢٦٣.

٧- طبقات الشعراء ص ٨٩، الحيوان ٣:٦٤ ، الشعر والشعراء ٤١٥، الأغاني ٩:٣٠٤ ، معجم الشعراء ص٨٧ ، بهجة المجالس ١:١٠٥ ، ربيع الأبرار ٢:١٨٤ ، تاريخ دمشق مصورة الجامعة الأردنية ١٩:٣١٣.

الفصل الثالث
أغراض شعره

أولاً: المديح

عاصر عديّ ستة من خلفاء بني أمية ، فحصر مدائحه فيهم وفي غيرهم من أمرائهم وبعض عمالهم ، وتغنّى بعزهم ومجدهم وسجاياهم العربية الأصيلة ، من سؤدد ورأي وحزم وكرم وجود ونخوة وغيرها ، كما تغنّى بأخلاقهم الإسلامية الحميدة من طهر وورع وصلاح وتقوي ، وقد هيأتهم هذه الخصال لقيادة الأمة الإسلامية ، فحازوا الخلافة ، وساسوا الأمة أحسن سياسة ، وخصّ الوليد بن عبدالملك بأروع مدائحه ، فنوّه بنسبه العربي الناصع ومجده التليد ، وأسبغ عليه الصفات الإسلامية ، فجاءت مدائحه فيه نموذجاً يحتذى في مدح الخلفاء.

إن نشأة عديّ في بلاد الشام ، وانتماءه إلى القبائل اليمانية التي ساندت خلفاء بني أمية في حروبهم مع الزبيرية من القبائل القيسية ، وما حظيت به من اهتمام في ظل بني أمية ، كل ذلك أدى بعدي إلى مؤازرة بني أمية بلسانه وسيفه ، فكان فارساً محارباً من فرسان دولتهم.

ورأيت أن أتناول مدائحه في بني أمية مرتّبة ترتيباً زمنياً ، فأبدأ بمدحه لعبد الملك بن مروان، ثم أعرض لمدائحه في الوليد بن عبدالملك وابنه عمر، وأنتقل بعدها الى مدائحه في عمر بن عبدالعزيز ، وأما مدائحه في عمال بني أمية ، فرأيت أن أرجيء الحديث عنها إلى نهاية حديثي عن مدائحه في بني أمية لقلة ما وصل إلينا منها.

أ- مديحه في عبدالملك بن مروان:

أول ما وصل إلينا من مدائح عدي في بني أمية مقطوعة قالها في الوقعة التي كانت بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق سنة اثنتين وسبعين للهجرة ، إذ جهّز عبدالملك جيوشه وقادها بنفسه متوجّها إلى العراق لمحاربة مصعب ، فالتقوا بدير الجاثليق ، وهزم الزبيريون ، وقتل مصعب قرب باخمرا[1] ، وكان عدي أحد فرسان عبدالملك الذين شاركوا في هذه المعركة ، فأشاد بمنزلة عبدالملك وشجاعته وقيادته لجيوشه ، وبيّن موقف القبائل اليمانية المؤيدة لخلافته ، ونوّه بنصرتها له على أعدائه ،ووقوفها إلى جانبه في معاركه مع الزبيرية من القبائل القيسية ، ومساندتها له في معاركه مع الشيعة وثباتها على ولائها لبني أمية ، فاحتفظ عبدالملك لها بمنزلة مرموقة في دمشق ، وظلّ يتمسّك بها ويعتمد عليها ، فكانت تشكّل صلب جيشه في الشام[2] ، ممّا عزّز موقفه وعجّل له بالفوز ، يقول[3]:

فقدَّمَنـــــــا واضـــحٌ وجهُـــهُ   كريمُ الضرائِـــــب والمَنصِـــبِ[4]

أُعينَ بنــــا ونُصِـــرْنا بِـــهِ   ومـــنْ يَنْصُـــرِ اللّهُ لا يُغْلَـــبِ

فِداؤُكَ أُمـــــي وأبناؤُهـــــا   وإنْ شِئْـــتَ زِدْتُ عليهـــا أبي

ومـــا قُلتُها رَهْبَـــةً إنّمـــا   يَحِلُّ العِقابُ علـــى المذْنِـــبِ

فعديّ صدر في مدحه لعبد الملك عن طيب خاطر ، ولم يقل أبياته السابقة بدافع الخوف والرهبة ، لأن عقاب الخليفة لا يقع إلاّ على المذنبين ، وعديّ لم يكن واحداً منهم ، فخاطبه بلهجة صادقة نابعة من موقف سياسي مؤيد له ، وعبّر عمّا يعتمل في صدره من حبّ لبني أمية ، فقدّم أهله فداء للخليفة الذي أيّده الله بنصره.

١- الطبقات الكبرى ١٩٦:٥ ، تاريخ خليفة بن خياط ٢٦٤:١ ، أنساب الأشراف ٣٤٢:٥.

٢- الوليد بن يزيد : عرض ونقد ، ص٤١٢.

٣- ديوانه : ٢٣٣، أنساب الأشراف ٣٤٢:٥ ، الأخبار الطوال ص ٣١١ ، تاريخ الأمم والملوك ١٥١:٦ ، مروج الذهب ١٠٩:٣ ، الأغاني ٢٩٨:٩ ، ٦٢:١٩ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٢٥٢:١١ ، نهاية الأرب ٢٠٤:٢.

٤- الضرائب : السجايا ، المنصب : الأصل.

ب- مدائحه في الوليد بن عبدالملك وابنه عمر :

استأثر الوليد بن عبدالملك بأروع مدائح عديّ بن الرقاع ، فأضفى عليه أحسن الصفات، وتحدّث عن مقوّمات شخصيّته التي أعدته للفوز بالخلافة ، وأثنى عليه شاكراً له عطاياه ، حامداً نعمه التي نثرها على رعيّته ، .معظّماً صدقه في معاملته ووفاءه بوعوده، وأبرز صفات الكرم والعزّ والسلطان وحسن الصنيع وحميد الأخلاق ، ومجّد نسبه العربي الأصيل، فكان الوليد في نظره أكرم الناس على الإطلاق ، عمّ كرمه الرعية كلّها ، فلم يمنع أحداً ، ولم يبخل على أحد . يقول فيه [1]:

لا يَمْنَعُ النّاسَ ما أعطى الذين هُـــمُ   لَـــهُ عِبـــادٌ ولا يُعْطـونَ ما مَنَعا

وساد الوليد قبيلته ، فحمل الأعباء عنها بسبب الصفات التي تمتّع بها ، وجمع مكارم الأخلاق كلّها ، ولم يغادر مكرمة واحدة منها ، فهو أهل لهذه السيادة ، وهو حقيق بهذا المديح .

يقول : [2]

وإذَا نَشَرْتَ لَـــهُ الثّنـــاءَ وَجَدْتَهُ   جَمَعَ المكارِمَ طُرْفَهــا وتِلادَهـــا[3]

غَلَــبَ المساميـــــحَ الوليدُ سَمَاحةً   وكَفى قُرَيْـــشَ المُعْضِلاتِ وسادَها

ويقول : [4]

لِلْحَمْـــدِ فِيـــهِ مذاهبٌ لا تَنْتَهي   ومكـــارِمٌ يَعْلـــونَ كُلّ مكارِمِ

١- ديوانه : ٢٠٠، الأغاني ٢٨١:١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٨:١١ ، نهاية الأرب ٢٥٤:٤.

٢- ديوانه : ٩٢، الأغاني ٢٠٨:١ ، لسان العرب : مادة قرش ، نهاية الأرب ٢٥٧:٤ ، الطرائف الأدبية ص ٩٠.

٣- طرفها : جديدها ، تلادها : قديمها.

٤- ديوانه : ١٢٦، السيوطي : شرح شواهد المغني ٤٩٢:١ ، البغدادي : شرح أبيات مغني اللبيب ٩٧:٤.

والوليد ملجأ الشاعر وملاذه : (١)

وَلَقَدْ لجَأْتُ مِـــنَ الوليدِ إلــى امريءٍ   حَسْبِيَ ولَيْـــــسَ من اصْطفاهُ بنادمِ

وشبهه بالغيث الذي يحيي الأرض بعد مواتها ، فقال : (٢)

نَزَلَ الوَليـــدُ بِها فكـــانَ لأهْلِها   غَيْثاً أغاثَ أنيسهَـــــــا وبِلادَها

ونجد في مدائح عديّ في الوليد إضافة إلى نمط المديح التقليدي من وصف بالشجاعة والكرم ومحاسن الأخلاق والنخوة وغيرها ، نجد نمطاً جديداً تمثّل في تمجيده للصفات الإسلامية التي تحلّى بها ، فصوّره مجاهداً في سبيل الله ، يتقدّم جيوشه ، ويوقع بأعداء الإسلام الهزائم المتلاحقة ، وأشاد ببسالته وشدة بأسه في حروبه ، وصدق نضاله ، ونكايته بأعدائه ،ومجالدته لهم وانتصاره عليهم ، فهو دائم اليقظة والتشمير لمقارعتهم والايقاع بهم ، يقول : (٣)

تَأْتيهِ أَسْلابُ الأعِـــزَّةِ عَنْـــوَةً   قَسْراً وَيَجْمَـــــعُ للحروبِ عَتادَهـا

وإذا رأى نارَ العَـــدُوِّ تَضَرَّمَـــتْ   سامى جماعـــةَ أهلِها فاقتادَهـــا

بَعَرَمْرَمٍ تبدو الرّوابـــي ذي وعىً   كالحَّرة احتمــلَ الضُّحى أطوادَها(٤)

أَطْفَأْتَ ناراً للحُـــروب وأوقِـدَتْ   نارٌ قَدَحَـــتْ براحَتَيْكَ زِنادهَـــا

فَبَدَتْ بَصيرَتُها لمن يبغي الهُـــدى   وأصابَ حَـــرُّ شديدها حسّادهـا

١- ديوانه : ١٢٥، شرح شواهد مغني اللبيب ٤٩٢:١ ، شرح أبيات مغني اللبيب ٩٧:٤.

٢- ديوانه : ٩١ ، البصري : الحماسة البصرية ١٤٠:١ ، البكري : معجم ما استعجم ٥١١:٢، الطرائف الأدبية ص ٩٠.

٣- ديوانه : ٩٤، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٩:١١ ، نهاية الأرب ٢٥٧:٤، الطرائف الأدبية ص ٩٠.

٤- الوعي : الجلبة ، أطواد : جبال عالية.

وإذا غدا يومـــاً بنفحَـــةِ نائــلٍ عَرَضْتَ لَهُ الغَـــدَ مثْلها فأعادَهــا [1]

وإذا عَدَتْ خَيْـــلٌ تبـــادرُ غايةً فالسّابـــقُ الجالي يقـــودُ جيادَها

وأشار إلى انتصاره في حروبه مع أعدائه ، وبيّن أن أحداً من الخلفاء السابقين لم يحقق ما حققّه من فتوحات وانتصارات في خلافته ،يقول : [2]

وأصَبْتَ في بَلَـــدِ العَدوّ مُصيبةً بَلَغَــتْ أقاصي غَوْرَها ونجادَها

ظفراً ونصراً مـــاَ تناوَلَ مِثْلَـــهُ أحَـــدٌ من الخلفاءِ كانَ أرادَها

أما الهدف الذي حدا بالوليد إلى قيادة جيوشه فهو الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمة الحق ، وتحقيق الخير والمنفعة للمسلمين . وقد وفّق عديّ في رسم صورة زاهية الألوان للوليد ابن عبدالملك في أبياته السابقة ، وكان صادقاً فيما ذهب إليه ، فهو الخليفة الذي فتح في عهده من البلدان ما لم يفتح في عهد غيره من الخلفاء ، فوصلت الدولة الإسلامية في أيامه إلى أوج عزّها وقوّتها ، وبسطت نفوذها على مساحات واسعة من العالم ، إذ فتحت جيوشه بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد بلاد الأندلس غرباً ، وفتحت كثيراً من القلاع والحصون والمدن في المشرق ، وواصلت معاركها مع الروم في الثغور ، وحاصرت القسطنطينية [3].

واعتمد بنو أمية علي مبدأ الجبر في دعوتهم السياسية ، وهو مبدأ يتلخص في أن حكم بني أمية قدر محتوم من الله تعالى ، فكل شيء يسير بقضاء الله وقدره ، ولا سبيل إلى تغييره ، ولا داعي للخروج على خلافتهم ، وكان الغرض من إذاعة هذا المبدأ بين الناس هو صرف خصوم بني أمية عن معارضتهم والعمل للتخلص من خلافتهم . فالله تعالى هو الذي شاء أن

١- نفحة : اعطية .

٢- ديوانه : ٩١ الأغاني ٢٨٢:١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٩:١١ ، نهاية الأرب ٢٦٥:٤، الطرائف الأدبية ص٩٠.

٣- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٤.

يكونوا خلفاء ه في الأرض ، وأوصياءه على العباد ، ولا رادّ لمشيئته ، ونلاحظ أن معظم شعراء بني أمية تبنّوا هذا المبدأ ونادوا به من أجل إرضائهم ، ونيل جوائزهم [١] ، فهذا جرير يقول إن الله اصطفاهم خلفاء للأمة : [٢]

اللّهُ أعْطاكُمُ مِنْ عِلْمِــــهِ بِكُـــمُ ... حُكْمـــاً وما بَعْدَ حُكْمِ اللّهِ تَعقيبُ

وكثير عزة في مديحه لهم يسند خلافتهم إلى الحق الإلهي فيقول في مدح عبدالملك ابن مروان : [٣]

إمام هُدىً قدْ سَدّد اللّــهُ رأيَــهُ ... وَقَدْ أحْكَمَـــتهُ ماضياتُ التّجاربُ

ويقرر أن عبدالملك استحق الخلافة لأنه ملأ الأرض عدلاً وخيراً ، يقول : [٤]

بلوْهُ فأعْطَوْهُ المقادةَ بعدَمـــا ... أدَبّ البلاد سَهْلَهـــا وجبالهـا

ويقول الأحوص في الوليد بن عبدالملك :[٥]

إمامٌ أتاهُ الملـــكُ عفواً ولــمْ يُثبْ ... على مُلْكِهِ مالاً حراماً ولا دَما

تَخَيّـــرَهُ رَبُّ العِـباد لِخَلْقِهِ ... وليّا وكان اللّـــهُ بالناسِ أعْلَمـــا

ينالُ الغنيٍ والعِزّ مِـــنْ نال ودّهُ ... وَيَرْهَبُ مَوْتاً عاجِـــلاً من تَشأما

فالوليد إمام لا يسفك الدماء ولا يُظلم أحد في ملكه ، وقد اختاره الله تعالى ليكون خليفة، وأجمعت الأمة بمختلف فئاتها على بيعته والاستجابة لإمامته ، والأمثلة كثيرة على

١- شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ٧٧.

٢- ديوان جرير ١:٣٤٨.

٣- ديوان كثير عزة ص ٣٤٢.

٤- ديوان كثير عزّة ص ٨١.

٥- شعر الأحوص ص ١٩٣.

انتشار مذهب الجبر في شعر شعراء بني أمية ، ولا مجال لاستقصائها في هذه الدراسة.

ونجد هذا المبدأ منتشراً في مدائح عديّ للوليد بن عبدالملك ، فالله هو الذي اختاره للخلافة ، ولا تبديل لإرادة الله ، والوليد خليفة يتّصف بالتقوى والورع والصلاح ، وهو لا يسفك الدماء ، ولا يُظلم أحد في ملكه ، ولم يغتصب الخلافة اغتصاباً ، وانّما بويع بها مبايعةً بسبب الصفات الإسلامية التي تحلّى بها ، فاختصّه الله من سائر الناس وفضّله على غيره ، وأجمعت الأمة على بيعته والاستجابة لخلافته ، يقول : [(١)]

وَلَقَدْ أَرَادَ اللّـــهُ إذْ ولاّ كَهـــا ... مـــن أُمَّـــةٍ إصْلاحَها ورَشادَهـا

وَعَمْـــرتَ أَرْضَ المسلمينَ فأَقْبَلَتْ ... وَنَفَيْـــتَ عَنْهـــا من يُريدُ فَسادَها

أوَ مـــا تَرى أنَّ البَرِيَّةَ كُلَّهـا ... أَلْقَـــتْ خزائِمَهـــا إلَيْه فقادَهـا

فالخلافة جاءت الوليد من عند الله ، فأجمع الناس عليه ، ووحّد الله الأمة الإسلامية على يديه بعد أن كانت أحزاباً متفرقة متناحرة ، يقاتل بعضها بعضاً ، يقول : [(٢)]

صَلّى الذّي الصّلواتُ الطيّباتُ لهُ ... والمؤمنونَ إذا مـــا جَمّعوا الجَمْعا

على الذي سَبَقَ الأقوامَ ضاحَيــةً ... بالأجرِ والحمدِ حتّي صاحَبـــاُه معا

هوَ الذيّ جمَع الرّحْمنُ أمتَـــهُ ... على يديهِ وكانـــوا قبلَـــهُ شيَعـا

إنَّ الوليدَ أميـرُ المؤمنيـــنَ لَـــهُ ... مُلْكٌ عليه أعـــان اللـــهُ فارتَفعـا

وأما سيرة الوليد في الناس وإدارة شؤونهم ، فقد رسمها عديّ رسماً حسناً ، وبيّن أنها سياسة أب رحيم بأبنائه ، حازم في أحكامه ، مهيب الجانب ، عادل لا يحابي قريباً ، ولا يظلم

١- ديوانه : ٩١ ،الأغاني ١:٢٨٢ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١:٩ ، نهاية الأرب ٤:٢٥٦ ، الطرائف الأدبية ص ٩٠.

٢- ديوانه : ٢١٩، الأغاني ١:٢٨٢ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١:٨ ، نهاية الأرب ٤:٢٥٤.

بعيداً ، مجانب للهوى ، منصف في حكمه، يعاقب الظالم ، ويردعه عن الظلم ، يقول : [1].

وَمَهابَةُ المَلِـــكِ العَزيزِ ونائِــلٌ   يُنْضي الجوادَ وأنتَ نِكْــلُ الظّالِمِ
وإذا نَظَرْتُ بِحُــرٌ وجهِكَ كُلّــهِ   نَحوَ أمريءٍ فيعـــوُد كــلُّ الغانِمِ
واذا قضى فَصْلَ القضـــاءِ فِلمْ تَمُلِ   قُربى عليــهِ ولا مَلامَـــةُ لائِـمِ
وإذا وددتَ فـــإنَّ ودَكَ نافـــعٌ   ومن انتحَطْتَ فليسَ منـــكَ بسالِمِ

وبلغ حبّ عديّ للوليد مبلغاً عظيماً ، فطلب من الله أن يميته في أيامه حتى لا يكون تابعاً لخليفة بعده [2] ، وأراد عديّ أن يقطع الطريق على الشعراء المعاصرين الذين حاولوا إبعاده عن بلاط الخليفة ، فقدّم مدائحه في الوليد في أروع صورها حتى لا يسمو على مديحه مديح ، واستصفى كل المعاني الحسنة ونعته بها ، وكان بارعاً في هذا المضمار براعة لفتت الأنظار إلى تلك المدائح ، فتناقلها الناس ، وحملها الرواة ، فذاعت شهرته ، ونصّبه الوليد شاعراً لبني أميّة [3].

ونلاحظ أنه استطاع أن يلائم بين العناصر الجاهلية القديمة في المديح من كرم وشجاعة ووفاء وصبر ومروءة وحلم ، وبين العناصر الإسلامية الحديثة المتمثلة في إقامة العدل بين الناس، وعصيان داعي الهوي والجهاد في سبيل الله ، واتباع أحكام القرآن والسنّة ، ونلاحظ أن مدائحه تحولت إلى دفاع حار عن الخلافة الأموية ، ويتبين لنا أن حظوته في بلاط الوليد لم تكن بسبب مديحه له فقط ، بل ساعده على بلوغها موقف القبائل اليمانية السياسي الذي وقفته من الخلافة ، واستماتتها في الدفاع عنها ، وكأن الوليد يرمز بتقديمه لعديّ إلى رضاه عن هذه القبائل .

١- ديوانه: ١٢٦، شرح شواهد مغني اللبيب ١:٤٩٢ ، شرح أبيات مغني اللبيب ٤:٩٧.
٢- خليل مردم بك : شعراء شاميون ص ١٨.
٣- الأغاني : ٣٠٢٩٩

ومدح عديّ عمر بن الوليد بقصيدة شبّهه فيها بالبدر الذي يبدّد الظلام ، وهي صورة تقليدية سبقه إليها الشعراء ، وذكر أن الخصال الحميدة التي يتمتع بها تحدّرت إليه من أبيه ، يقول: [1]

وإذا نَظَرْتُ إلـــى أميري زادَني ضناً بـــه نظري إلـــى الأُمراء

تَسْمو العيونُ إليـــهِ حينَ يَرَوْنَـــهُ كالبدرِ فَرَّجَ بُهْمَـــةَ الظَّلْماءِ

لقد أثبت عديّ حسن تأتيه ولباقته في مديحه لهذا الأمير [2] ، فأورد مجموعة من الحكم في قصيدته ، ليثبت أن عمر ورث المجد والعز عن والده ، ونلاحظ أنه لم يدخل السياسة في مديحه له ، بل اكتفى بالإشارة الى جمال ممدوحه وحسن منظره وعراقة أصله ونسبه ، فاختلف مديحه له عن مديحه لأبيه.

١- ديوانه : ١٦٢، الشعر والشعراء ص ٤١٦ ، وقد وردت أبيات هذه القصيدة ، متفرقة في كل من : البيان والتبيين ص ٣٤٤ ، عيون الأخبار ٢٣٣:١ ، ربيع الأبرار ٤٨١:٣، الحماسة البصرية ص ٦٥٩ ، لسان العرب ، مادة نتل ،فرق ، نهاية الأرب ٥٧:٣ الصفدي : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ص ٣٤٠، أنوار الربيع ٩٢:٢ مؤلف مجهول : مجموعة المعاني ص ١٧٠.

٢- شعراء شاميون ص٣٣

جـ- مدائحه في عمر بن عبدالعزيز:

لم يصل إلينا من شعر عديّ في عمر بن عبدالعزيز غير مقطوعة واحدة، وبضعة أبيات متفرقة، نوّه فيها بالصفات الإسلامية التي اتصف بها، وأثنى على سيرته الحسنة وسياسته الحكيمة، وأبرز فيها برّه برعيته، ومحاسبته للظالم، وإنصافه للمظلوم، ومساعدته للضعفاء، وأشاد بتقواه، فقد اصطفاه الله تعالى لينشر العدل بين الناس، وهو حليم حاز كل المكارم التي يحمد المرء عليها يقول: [1]

جَمَعْتَ اللّواتي يَحْمَدُ اللـــهَ عَبْدُهُ ... عَلَيْهِنَّ فليهنأْ لَكَ الخيــرُ واسْلَـم
فأُولُهُــنَّ البِــرُّ والبرُّ غالِــبٌ ... وما بِكَ مِــنْ غَيب السَّرائِرِ يُعْلَـمِ
وثانيةٌ كانتْ مِــنَ اللّــه نِعْمــةً ... على المسلمين إذ ولــي خَيْرُ مُنْعِـمِ
وثالثةٌ أن لَيْــسَ فيــك هــوادةٌ ... لمنْ رامَ ظلماً أو سَعى سَعي مُجْـرم
ورابعــــةٌ أن لا تزالَ مع التُّقـــى ... تَخُبُّ بميمونٍ من الأمــرِ مــبرمِ
وخامسةٌ في الحكـــم أنَّكَ تَنْصِفُ ... الضَّعيفَ، وما منْ علّم اللّهُ كالعَمي
وسادســـةٌ أن الذّي هوَ ربُّنـــا ... اصطفاكَ فمــنْ يتبعك لا يتنـــدَّم
وسابعــــةٌ أن المكـــارَم كلّهـــا ... سَبَقْتَ إليها كــلّ ساعٍ ومُلْجــمِ
وثامنةٌ في منصـــب النّاس أنّــه ... سما بِكَ منهــمْ مُعَظَّمٌ فوقَ معظَّــمِ
وتاسعـــةٌ أن البرّيـةَ كُلّهــا ... يُعَدّونَ سيبــاً من إمــام متمّــم
وعاشـــرةٌ أن الحلــوم توابــعٌ ... لِحِلْمِــكَ في فصلٍ من القولِ محكمِ

فقد عدّد عديّ الخصال التي تمتع عمر بن عبدالعزيز بها تعداداً، وبيّن اتباعه للحق،

١-ديوانه: ١٣٠، لسان العرب: مادة عملس.

وتطبيقه لقواعد الإسلام ، فقد اتبع منهج جدّه عمر بن الخطاب ، وسار في الناس سيرة حسنة ، فعمّ العدل الرعية ، وشمل الرخاء أرجاء الدولة الإسلامية ، والاختلاف واضح بين أسلوب المقطوعة السابقة وأسلوب مدحه للوليد بن عبدالملك ، فأكثر المعاني التي ضمنها هذه المقطوعة معان إسلامية ، وهي تصوّر شخصية عمر وسياسته العادلة ، وما ينبغي أن يتّصف به الخليفة الكامل الفاضل عند المسلمين.

ولم يكن عمر بن عبدالعزيز يسمح للشعراء بقول غير الحقّ في مجلسه ، فإذا دخل عليه أحدهم كان يقول له : قل ولا تقل إلاّ حقاً ، فإنّ الله سائلك يوم القيامة عمّا قلت.

ولعديّ مقطوعة أخرى في عمر ، فخمّ فيها كرمه وعدله ، وسعة حلمه ، يقول : [1]

فإنْ يَـــكُ فـــي مناسِمِها رجاءٌ ... فقـــدْ لَقِيْتْ مَناسِمُهـــا العِدالا

أَتَتْ عُمْـــــرًا فلاقَتْ من نَداهُ ... سِجـــــال الخير إنَّ له سِجـــالا

أَبَتْ لَكُـــمُ مَواطِـــــنُ طَيِّباتٌ ... وأحلامٌ لكـــــمْ تَزِنُ الجِبـــالا

وعظّم في ثالثة نسبه في قريش [2].

ويظهر لنا من استعراضنا لمدائح عديّ في بني أمية أنه ثبت على حبّه وولائه وإخلاصه لهم ، فكان أموياً مسرفاً في أمويته ، وفيّا لهم ، بل كان من شعرائهم المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيع لهم ، فجاء تبجيله لخلفائهم ، وإعجابه بسياستهم لرعيتهم وتمجيده لمواقفهم الصارمة من أعدائهم وانتصاره لهم ، ودفاعه عن حقّهم في الخلافة، مطابقاً لرأيه فيهم : وتأييده لهم ، فهو يعتقد أنهم جديرون بالخلافة ، وأن أحداً غيرهم لا يصلح لها ، وهو يزعم أن الله اختارهم لولاية المسلمين ، وأن الناس انقادوا لهم راضين بهم ، لأنهم ساسوا الأمة

١- ديوانه : ١١٢ الأمدي : الموازنة ١:١٠٢ ، الجوهري : الصحاح ، مادة عدل ، لسان العرب مادة عدل.

٢- ربيع الأبرار ٣:٢٤٣.

أحسن سياسة ، وقادوها أحسن قيادة ، فعمّ الخير الناس ، وانتشر الرخاء والأمن في ربوع الدولة الإسلامية ، إنهم سادة أقوياء يثبتون في أرض المعركة حين يشتد القتال ، وهم ساسة أذكياء يحرصون على وحدة الأمة الإسلامية ، فهم أحق من غيرهم بالخلافة.

د- مديحه لرجالات عصره:

مدح عديّ عمر بن هبيرة الفزاري أحد رجالات عصره المشهورين بمقطوعة نوّه فيها بشجاعته وصلابته، وأشاد بكرمه ونبل أخلاقه، وتغنّى بنسبه العربي الأصيل، وبيّن أن شهرته طبقت الآفاق، وأنه ابتعد عن الفواحش، فلم يقترف شيئاً منها، يقول: [1]

إذا شئتَ أن تَلقى فَتى البأس والنّدى   وذا الحسب الزّاكي التليدِ المقدّمِ
فكُنْ عُمَراً تأتـي ولا تعدونَّـهُ   إلى غيره واستخبر النّاسَ وأعلَـمِ
فتىً عُزِلَتْ عنهُ الفواحشُ كُلُّهـا   فلمْ تَختَلِطِ مِنهُ بلحَـمٍ ولا دم

وهو يحذو حذو الشعراء القدماء في مقطوعته السابقة، ويستعين ببعض الصور التقليدية الجاهلية لتصوير شخصية الممدوح، إذ وصفه بالبأس والكرم وعدم اقتراف المعاصي.

ومدح يزيد بن المهلب بن أبي صفرة بمقطوعة نقلها إلينا ابن قتيبة، إذ ذكر أن سعيد بن عمرو الحرشي كان مؤاخياً ليزيد بن المهلب، فلمّا حبس عمر بن عبدالعزيز ابن المهلب ومنع الدخول عليه، أتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين لي على يزيد خمسون ألف درهم، وقد حلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه؟ فأذن له، فدخل عليه، فسرّ به يزيد وقال: كيف وصلت إليّ؟ فأخبره، فقال يزيد: والله لا تخرج إلاّ وهي معك، فامتنع سعيد، فحلف يزيد ليقبضنها، فقال عديّ بن الرقاع: [2]

ولمْ أرَ مَحَبوسـاً من النّاس واحداً   حَبَا زائراً فـي السِّجْن غَيْرَ يزيد
سعيدُ بنُ عمـروٍ إذْ أتاهُ أجـازهُ   بخمسينَ ألـفٍ عُجِّلَتْ لسعيدِ

فمجّد عديّ كرم يزيد الذي لا يضاهى، ونوّه بعطائه الذي يعدّ سابقة في الكرم لم تؤثر عن أحد غيره.

١- ديوانه: ١٣٤، شعراء شاميون ص ٧٢، ونسبت بعض أبيات هذه المقطوعة إلى ملحمة الجرمي في ديوان الحماسة ٢٨٤:٢.

٢- ديوانه: ٢٥٣، عيون الأخبار ٢٤٤:١.

ثانياً: الغزل

تغزّل عدي بالمرأة، وأظهر أحاسيسه نحوها، فوصفها وصفاً جميلاً، وتغنّى بحسنها متأملاً مفاتنها، شاكياً لوعة الحبّ، وحرقة الشوق للقائها، وتحدّث عن ألم الفراق والبعاد وما تركه في نفسه من قروح وجروح، وتعدّدت أسماء النسوة اللواتي تغزّل بهنّ، فذكر حسينة وأم القاسم وسعدى وصفراء وأخت بني لؤي وسعاد وسلّومة، ونرجح أن تعدّد أسماء النسوة في شعره ليس غير رموز افتتح بها أبياته الغزلية، ونلاحظ أنه لم يفرد للغزل قصائد كاملة، وإنما جاء حديثه عن المرأة في سياق قصائده، فأخذ نفسه بالحديث عنها يصف جمالها، ويوضح علاقته بها، يقول: [1]

وَلَرُبَّ واضِحَـــةِ الجبين فريـــدةٍ بيضـــاءَ قـــدْ ضَرَبَتْ بها أوْتادَها
تَصْطادُ بَهْجتهـــا المُعَلّلَ بالصِّبا عَرَضاً فَتُقصِـــدُهُ ولَنْ يَصْطادَها

فهي أمرأة بيضاء، فريدة في حسنها، لها تأثير في العاشق، لكنها لا تمكنه من استمالتها واجتذاب قلبها، وشبّهها بالظبية: [2]

كالظَّبيةَ البِكْـــر الفَرِيدَة تَرتَعـــي مِـــنْ أرضِها قفاتّها وعِهادَهـــا[3]
خَضَبَتْ بها عُقَـــدُ البِراقِ جبينَهـــا مِـــنْ عركِها علجانها وعرادها [4]
كالزَّين في وجـــهِ العروس تَبذّلت بَعـــدَ الحيَاءِ فلا عَبَـــتْ أرآدهـــا

١- ديوانه: ٨٣، الطرائف الأدبية ص ٨٧.
٢- ديوانه: ٨٤، الطرائف الأدبية ص ٨٧.
٣- القفات: جمع قفة وهي الشجرة المستديرة أو العشب اليابس، العهاد: جمع عهدة، وهي الأمطار المتوالية.
٤- العقد: ما ثبت أصله من الشجر، العلجان: نوع من الشجر الأخضر، العراد: حشيش طيّب الريح وقيل شجرة صلبة

وتحدث عن ابتعاد سعاد عنه وهجرها له ، فقال : [1]

بانَتْ سعـــــــادُ وأخْلَفَتْ ميعادَها وتباعَـــــدَتْ عنّا لِتمنَعَ زادَهـــا
إنّي إذا ما لَـــــمْ تَصِلْني خُلّتـــي وَتباعَــدَتْ عنّي اغتفرتُ بعادَها [2]
وإذا القرينَةُ لَـــمْ تَزَلْ في نَجْـدَةٍ مِنْ ضِغْنِهــــا سَئِمَ القَرينُ قيادَهـا
إما تري شيبي تَفَشَّـــــغَ لِمّتـــى حتىّ علا وضـــحٌ يلوحُ سَوادَها[3]
فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الفتـــاةِ وســادَةً لي جاعِلاً يسُـــرى يديَّ وِسادَها

وواضح أن عدياً متأثر بمطلع بردة كعب بن زهير : [4]

بانَـــتْ سُعاد فقلبي اليومَ متبولُ مُتيــــم إثرها لَمْ يُجْزَ مكبُـــولُ

فكعب يرمز بسعاد إلى أيام الجاهلية ، ويتحسّر على انقضائها بسبب بزوغ فجر الإسلام ، وأرجح أن عدياً يرمز بسعاد إلى عهد الشباب الذي زال ، ولا أمل في رجوعه ، فحين انتشر الشيب في رأسه ، فارقه عهد الشباب ، وابتعدت المرأة عنه ، فهي لا تقبل على الشيوخ ، ولكنه يتذكر ماضيه الزاخر بالحبّ مع فتاته ، فيتحدّث عن علاقاته السابقة بها ، ليدلل على أن هذا الشيب طارئ.

وتحدّث في قصيدة ثانية عن أخت بني لؤي التي أسرت فؤاده وسلبت عقله ، فعندما علق بشباكها ،ووقع في حبّها وبذل لها كل المودة ، آثرت غيره، ولم تبادله حبّا بحب ، يقول:[5]

١- ديوانه : ٨٦ ،الطرائف الأدبية ص ٨٨.

٢- اغتفرت : احتملت

٣- تفشغ : كثر وانتشر

٤- السكري : شرح ديوان كعب ص ٦.

٥- ديوانه :٩٦،الطرائف الأدبية ص ٩٢ ، معجم البلدان ، مادة مويقع .

صَادتْكَ أُخْتُ بنـــي لُؤَيّ إذْ رَمَتْ   وأصابَ سَهْمَـكَ إذ رميتَ سِواهـا
وأعارَها الحدثانُ منــكَ مــودّةً   وأُعيرَ غَيْرُكَ ودّهــا وهواهَــا
تِلْكَ الظّلامةُ قَــدْ عَلِمْتَ فَلَيْتَهــا   إذْ كُنْـتَ مُكْتَهلا تُلِـمُّ نَواهـا

ووردت هذه الصورة عند الأعشى الذي يقول : [1]

عُلّقتهُــا عَرَضاً ، وعُلّقَـتْ رَجُلاً   غَيْري وعُلّــقَ أُخرى غَيرَها الرّجُل

وتحدّث عديّ عن صفاتها التي لا تفارق مخيّلته ، فهي بيضاء تستلب عقول الرجال لفرط حسنها ، أردافها عظيمة ، وخصرها دقيق ، تفوح من فمها ريح المسك ، يقول : [2]

بَيْضَاءُ تَستَلبُ الرّجــال عُقُولَهُمْ   عَظُمَـتْ رَوادِفُها وَدَقّ حَشاهـا
وَكَأنّ طَعْمَ الزّنجَبيــل وَلَــذّةً   صَبْهاءَ ساكَ بهــا الُمسحّرُ فاهــا

فهذه الصفات هي أحسن صفات الجمال الحسيّة والمعنوية في المرأة ، وقد تغنّى بها شعراء الجاهلية كثيراً في شعرهم . ومن الصفات التي أعجب بها عديّ في المرأة ، لمعان أسنانها وحلاوة ريقها ، يقول :[3]

برّاقةُ الثّغرِ تَشْفي القلــبَ لَذّتُها   إذا مُقّبلُهــا في ريقِها كَرَعا

وشبّهها بالغزال في لطافتها ورقّتها ، عيناها حوراوان ، خلقت في أحسن صورة ، حديثها عذب جميل ، ولا تشوبها شائبة ، يقول : [4]

وفي الخُدورِ مهــا حورٌ مصورةٌ   خُلِقْــنَ أَحْسَنَ ممّا قالَ من يَصِفُ

١- ديوان الأعشى ص ١٠٧.
٢- الطرائف الأدبية ص ٩٢ ، لسان العرب ، مادة سوك.
٣- ابن سيدة : المحكم ١:١٧٣ ، لسان العرب ، مادة كرع.
٤-ديوانه : ٢٣٦ ، الخالديان : المختار من شعر بشار ص ٣٨.

إذا كَرَرْنَ حديثاً قُلن أحْسَنَــــــــهُ وهُنّ مِـــــنْ غَيْرِ سوء يُتَّقى صُدُفُ

وصوّر علاقته الصريحة بالمرأة ، فأشار الى حياة النعيم التي كان يعيشها مع صاحبته ، وشبّه نفسه بشارب الخمر لا يكفّ عن شربها مهما يتناول منها :[1]

ألهْو بواضحـــــــةِ الخدّيْن طيّبـــةٍ بَعْــــــدَ المنام إِذا ماسِرُّها ابْتذَلاَ

ليستْ تزالُ إليها نفـــــسُ صاحِبِها ظَمْأى فَلُوٌّ رأى مـــــنْ قلبه الغَلَلا[2]

كشاربِ الخمر لا تَشفـــــى لذاذَتُهُ ولَوْ يطالــــــعُ حتّى يكثر العِلَــلا

فهذا الغزل غزل صريح ، والعلاقة التي أشار عديّ إليها لا تكون إلاّ بين الرجل وزوجته ، ولعلّ المغزى الذي رمى إليه هو نظرته إلى هذه الحياة ، فقد تجلّت فلسفته التي اكتسبها على مرّ السنين في هذه الأبيات ، وفي غيرها من الأبيات المشابهة ، فأيام الشباب انحسرت وولّت وانقضت معها اللّذة والصبوة ، وحلّت مكانها أيام الشيخوخة التي تنذر بالذبول واقتراب الأجل المحتوم ، فالشيخوخة ألغت المفاهيم التي كان عديّ يحملها وأحلت مكانها مفاهيم مغايرة ، فبدأ يعيش حياة أخرى تختلف اختلافاً واضحاً عن حياته السابقة ، وزماناً آخر يختلف عن الزمن الماضي ، وألح عديّ على هذه الفلسفة في شعره عندما كان يتحدث عن المرأة والشباب والشيب .

ووصف ألم الفراق والبعاد والهجران ، وبكى بكاء حاراً على صاحبته التي أسرت فؤاده ، واستولت على مشاعره ، يقول [3]:

١- ديوانه : ٧٣، الطرائف الأدبية ص ٨١ .

٣- حين قال « فلو رأيت لا يصح المعنى ولا يستقيم الوزن ، وأرجح أن تكون (فلو نقعت) حيث يصح المعنى ويستقيم الوزن . كما ورد في الطرائف الأدبية ص ٨١.

٣- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ٢:٩٢ ، المرصفي : رغبة الآمل ٧:٥٠ .

وَكَـأنَّ سُعْـدى إذْ تُودّعُنـا وقـدْ اشرأبّ الدّمْعُ أن يكفا
رَشَـأٌ تواصَيْنَ القيـانُ بِـه حتّـى عَقَـدْنَ بأذنِهِ شنَفـا
خبّـرْ فؤادَكَ أوْ ستُخْـبِرهُ قَسَمـاً لَتَنتَهَيـنّ أوْ حَلفَـا
الحُبُّ ظَهَـرُ أنـتَ راكِبُـهُ فإذا صَرَفْـتَ عِنانَـهُ انْصَرفـا

فلحظة الوداع لحظة حرجة ، تنبئ بانقضاء عهد وحلول عهد جديد.

أما هديل الحمام فإنه يبعث في نفسه الذكرى والشوق والحنين ، فتنهمر دموعه حسرة وألماً عندما يسمعه ، لأنه يتذكر صاحبته سعدى ، يقول : [1]

ومّما شَجاني أنّنـي كُنْتُ نائِمـاً أُعلَّلُ من بَرْدِ الكَـرى بالتّنسّمُ
إلى انْ بكتْ ورقاءَ في غصن أيكةٍ تُرَدّد مَبكاهـا بحُسن الترنُّـمِ
فلوْ قبلَ مبكاها بكيـتُ صبابَـةً بِسُعدى شَفَيْـتُ النّفسَ قبلَ التّندّمِ
ولكنْ بكتْ قبلي فهيّجَ لي البُكـا بُكاها فقلتُ الفضـل للمتقـدّمِ

فهذه صورة رائعة من صور الذكرى والشوق ، رسمها عديّ عندما سمع بكاء الحمام.

ومن المعروف أن المسلمين اهتموا بثغورهم على حدود بلاد الروم ، وكانوا ينطلقون منها لتوسيع الفتوح الإسلامية ، ولدفع الأذى عن المدن والثغور في بلاد الشام ، وكانت تلك الثغور تعرف باسم الثغور الشامية [2] ، وهي تمتد من نهر اللاّمس في سهل سلوقية إلى طرطوس إلى أذنة على نهر سيحان إلى المصيصة على نهر جيحان إلى عين زربة . [3]

١- ديوانه : ٢٦٦، الكامل في اللغة والأدب ٨٦:٢ ، ابو بكر الأصفهاني : الزهرة ٣٣٣:١ (مع اختلاف في الرواية) ، الشريشي:شرح مقامات الحريري ٣٣:١، رغبة الآمل ٢٩:٧.

٢- قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ص ٣٠٧.

٣- د. نصرت عبدالرحمن : شعر الصراع مع الروم ص ١٢.

وقد جرت العادة عند خلفاء بني أمية بالقيام بحملتين على بلاد الروم في كل عام ، حملة كبرى في الصيف تسمى (الصائفة) ، وحملة ثانية في الشتاء تسمى (الشاتية) ، ونشطت تلك الحملات في عهد الوليد بن عبدالملك الذي عرف عنه اشتغاله بالجهاد وحماية الثغور ، وتوج غزواته في بلاد الروم بفتح الطوانة سنة ثمان وثمانين للهجرة ، وهي من أعظم حصونهم ، وبفتحها أصبحت الطريق مفتوحة أمام جيوش المسلمين إلى القسطنطينية [١].

ونلمس من شعر عديّ أنه كان يرابط في تلك الثغور ، إذ وصف زيارة طيف صاحبته له ليلاً في تلك المناطق على طريقة الشعراء السابقين ، فذكر أنها زارته آخر الليل ، وتحدّث عن طبيعة تلك المناطق ، وكثرة الأعداء الذين يحيطون بها ، ويقطعون الطريق إليها ، فلا يكاد يصل إليها شخص إلاّ بعد مشقّة وعناء ، مع تعرّضه لكثير من الأهوال ، ولكن طيف صاحبته تمكن من الوصول إليه على الرغم من كل تلك المصاعب ، ثمّ عرج على محاسنها فوصفها وصفاً جميلاً ، وشكا من الشيب الذي يزجره عن التصابي، وسأل صاحبته كيف وصلت إليه واهتدت إلى مكانه على بعد المسافة ومخاطر الطريق . يقول : [٢]

أهمّ سَرى أم غارَ للغيث غائـــرُ ... أم انتابَنا مـــــــنْ آخر الليل زائِرُ
ونحنُ بأرضٍ قلّما يَجَّشّم السُّرى ... بها العربــــــيات الحسَانُ الحَرائرُ
كثيرٌ بها الأعداءُ يُحسرُ دونَهـــا ... بَريدُ الإمامِ المستَحَــــــثُّ المثابِرُ
فبتُّ ألهىّ في المنام بمــــــا أرى ... وفي الشيب عن بعض البطالة زاجَرُ
بساجيه العينين خـــــود تلذّهـــــا ... إذا طرقَ اللّيلُ الضّجيعُ المباشِـــرُ [٣]

١- فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢:٧٠.

٢- ديوانه:١٩٧، معجم البلدان : مادة حزم خزازي ، دلوك ، جيحان ، ابن الأثير : المرصع ص ٢٠٧، الأصفهاني : الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ٢:٥٠٢ ، الأزهري : تهذيب اللغة : مادة حزم ، لسان العرب ، مادة حزم ، معجم ما استعجم ،مادة حزم.

٣- ساجية العينين: فاترة الطرف ، خود : الفتاة الحسنة الناعة .

كَأَنَّ ثناياها بنـــاتُ سحابَـــةٍ سَقاهُنَّ شؤ بـــوبٌ من اللّيل باكِرُ [1]
فهنّ معاً أو أقحـــــوانٌ بروضةٍ تَعاوَرَهُ صوبـــــانِ طَلٌ وماطرٌ
فقلتُ لها كيـــف اهتديتِ ودونَنا دَلوكٌ وأشرافُ الجبـــالِ القواهِرُ [2]
وَجَيْحانُ جيحـــانُ الجيوشِ وآلِسٌ وَحَزْنُ خزازى والشّعُوبُ القواسِرُ

ونلاحظ أن عديّا حشد أسماء تلك الأماكن[3] التي تفصل بينه وبين ديار صاحبته ، ليدلل على صعوبة الطريق التي سلكها طيفها من أجل الوصول إليه.

ومن استعراضنا لغزل عديّ نجد أنه استفاد من غزل الشعراء الجاهليين ، فَعُنِي بالجانب الحسي من صاحبته ووصف جسدها وخصرها وثغرها ، وتحدّث عن لمعان أسنانها وحلاوة ريقها وبياض بشرتها، واحورار عينيها ، وشبّهها بالظبية في جمالها ورشاقتها ، إلى غير ذلك من عناصر الغزل المعروفة ، ولسنا نشك في أن غزله بغير واحدة لا يعني أنه كان من طبقة شعراء الغزل الصريح الذين تنقلوا من امرأة إلى أخرى طلباً للعبث واللهو والمجون ، لقد فتن بالمرأة ، وعبّر عن حبّه لها ، وإعجابه بها في غزل رقيق وصف فيه مشاعره وعواطفه نحوها دون إسراف ، وأحبّها معجباً بصفاتها ، فرسم صورتها بعيداً عن الفحش ، وتورع عن ذكر ما يخدش الحياء والعفة.

١- ثناياها : أسنانها التي في مقدمة فمها.

٢- دلوك : بلدة في نواحي حلب ، كانت بها وقعة لأبي فراس الحمداني مع الروم.

٣- جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامي ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصبّ ببلدة كفربيا في خليج الإسكندرونة ، يقول الدكتور نصرت عبدالرحمن : هو نهر بيراموس عند الروم ويبلغ طوله (٣٢٠) ميلاً (شعر الصراع مع الروم ص١٢).

آلس: اسم نهر في بلاد الروم قريب من البحر ، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم ، وعليه كان الفداء بين المسلمين والروم.

ثالثاً: الوصف

أ- وصف الطبيعة الساكنة:

«ظل الشعراء الأمويون يمهدون بين أيدي قصائدهم بالألوان الجاهلية من المقدمات ، يدفعهم الى ذلك أنهم لم يجدوا أمامهم مثلاً فنيةً مستويةً إلاّ المثل الجاهلية. فإن فترة صدر الإسلام كانت قصيرة بحيث لم يتمكن المخضرمون من اختراع تقاليد فنية فيها فضلاً عن أن ملكاتهم كانت قد تفتحت في الجاهلية ، كما استوت أساليبهم وتماثلت خصائص فنهم فيها ، وكان العلماء والأدباء والممدوحون يفضّلون النماذج القديمة ويعلون من شأنها ويدعون الشعراء الى تقليدها ومحاكاتها ، ممّا هيأ لازدهار المقدمات القديمة ، ومما حمل الشعراء على المحافظة عليها والتمسّك بها ، ومراعاة طولها وقصرها وتقاليدها وصفاتها لأنهم إن حادوا عنها كان الضياع مصيرهم والخمول جزاءهم »[1].

وعديّ بن الرقاع واحد من هؤلاء الشعراء الذين شاعت المقدمات التقليدية في صدور قصائدهم ، وقد تمسّك بها وحرص عليها ، ووقف على ديار محبوبته الدارسة المهجورة يسترجع ذكرياته فيها ، فبكى بكاء شديداً لما أصابها ، ووصف تلك الديار والمنازل وما ألمّ بها، واستعرض طيف صاحبته ، وسكب العبرات الغزيرة حسرةعلى هجرتها ورحيلها وخراب ديارها ، وكان منظر تلك الآثار الدارسة والمعالم المطموسة يثير في نفسه الحزن والأسى ، فتحسّر على شبابه السالف ، وذكرياته الغابرة ، يقول :[2]

لِمَـــــن المنازلُ أقفرتْ بغبـــــاءِ ... لـــو شئتُ هيَّجَتِ الغَداةَ بكائي [3]

١- د. حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ص ٢٥.

٢- ديوانه : ١٦١ ،معجم البلدان : مادة غمر ،اسامة بن منقذ : المنازل والديار ٣٨:١.

٣- غباء : موضع بالشام.

فَالْغَمْرُ غَمْرُ بني جُذيمة قَدْ ترى ... مَأْهولَةً فَخَلَتْ من الأحياءِ [1]

لولا التَّجلُّد والتعزي أنّهُ ... لا قوم إلا عقرهم لفناء

ناديتُ أصحابي الّذين تَوَجّهوا ... وَدَعَوْتُ أَخْرَسَ لا يُجيبُ ندائي

فبعد أن كانت تلك الديار عامرة باصحابها ، تعجّ بالحياة ، أصبحت مقفرة لا أنيس بها، هجرها الأحباب والأصحاب ، وغادروها إلى جهات أخرى ، والعزاء الوحيد الذي يخفّف من وطأة هذه الحقيقة المرّة المؤلمة ، هو إيمانه بأن كلّ مخلوق لا بدّ أن يزول ، وكل منزل سيصير إلى الخراب ، فالإنسان لا يخلد في هذه الحياة الفانية . وعديّ شاعر مسلم يؤمن بالحياة الأخرى، فعقيدته تعينه على تقبّل هذه الحقيقة ، وتقوّي عزيمته وإيمانه ، فيتجمّل بالصبر.

وفي مقدمة أخرى يذكر أنه لم يتمكّن من التعرّف على الديار إلاّ بعد جهد كبير ، وأن الذي هداه إلى معرفتها ، بقايا الرماد والأحجار التي اسودّ لونها لكثرة تعرّضها للنار ، يقول:[2]

عَرَفْتُ بعفرى أو برجلَتها ربْعاً ... رَماداً وأحجاراً بقينَ بها سفْعا [3]

فما رُمتها حتّى غدا اليوم نِصْفَهُ ... وحتّى سَرَتْ عيناي كَلْتاهُما دمْعاً

فلم يستطع الوصول إلى تلك الديار إلاّ بعد مرور وقت طويل على سيره نحوها ، إذْ بلغها بعد نصف يوم ، ولم يكد يتبينها حتى ذرفت عيناه الدمع لذلك المنظر المؤلم . ويقول [4]

أتَعرفُ الدّارَ أم لا تعرِفُ الطّللا ... أجلْ فَهيّجتِ الأحْزانَ والوَجَلا

١- غمر بني جذيمة : موضع بالشام بينه وبين تيماء منزلان من ناحية الشام.

٢- ديوانه : ٢٢٢، معجم البلدان ، مادة عفرى ، مقد ، لسان العرب ، عفر ، التاج، مادة عفر.

٣-عفرى: ماء بناحية فلسطين ، الرجلة : مسايل الماء من الروضة إلى الوادي .

٤- ديوانه : ٧٣ ، الطرائف الأدبية ص ٨١.

فهو يتساءل عن تلك الديار وأطلالها ، ويتحدث عمّا تثيره من أحزان ومخاوف في نفسه ، وهذه عناصر تقليدية استمدها عدي من الشعر الجاهلي.

ويتساءل عن المنازل وتغيّرها بعد أن خلت من ساكنيها لعلّه يجد أي خبر عن أهلها الذين تركوها وابتعدوا عنها ، فيقول : [1]

هَلْ عِنـدَ مَنْزِلةٍ قـــدْ أَقْفَرَتْ خَبَرُ   مَجْهولَـــةٌ غيّرتها بعـدكَ الغِيَرُ

بَين الأَقاعِصِ والسّكرانِ قَدْ دَرَسَتْ   منها المعارف طرّاً ما بِهـــا أثرُ [2]

فلم يبق من هذه الديار أي أثر ، إذْ انمحت معالمها ، ودرست آثارها ، فغدت قاعاً صفصفاً ، وتغيّرت فأصبحت خراباً بعد أن كانت عامرة مأهولة ، وأصبحت مجهولة بعد أن كانت معروفة.

ورسم في داليته صورة لتلك الديار التي أبلاها الدهر ، ضمّنها مجموعة من عناصر المقدمة الطللية الجاهلية ، إذ قام بزيارتها ، ولم يستطع التعرف عليها إلاّ بعد جهد كبير ، لأن معالمها زالت ، ولم يبق من آثارها غير بعض الحجارة التي علاها السواد من كثرة ما كان يوقد فيها من نيران ، وقد حدّد موقع تلك الديار تحديداً دقيقاً ، يقول: [3]

عَرَفَ الدّيـــارَ توهُّمـــا فاعْتادَها   مِنْ بعـــد ما شَمِلَ البلى أبْلادَها

إلاّ رواسيَ كلهنّ قــــدْ اصْطَلى   جَمراً وأشْعـــلَ أهلُهـــا إيقادَها

بشبيكةِ الحـــــور التّي غَرْبِيُّها   فقدتْ رســـوم حَياضِها ورّادها

كانتْ رواحِـــلَ للقدورِ فَعُرِّيَتْ   منهنّ واستلـــبَ الزّمانُ رمَادَها

١- ديوانه : ٢٥٤ ،معجم البلدان ، مادة أقاعص.

٢- أقاعص: اسم موضع.

٣- ديوانه : ٨٢، الطرائف الأدبية ص ٨٧ ، الأغاني ١ :٢٨١ ، معجم البلدان : مادة شبيكة ،نهاية الأرب ٤:٢٥٤.

وتَنَكّرَتْ كُــــلَّ التّنكرِ بَعْدَنــــا والأرضُ تعــــرِفُ بعلَها وجمادَها

وتتكرر هذه الصورة عنده في قوله : [١]

أَلِمْ على طَلَلٍ عفـــا مُتقادِمِ بينَ الرُّكَيكِ وبينَ غَيْــبِ النّاعِمِ

بمجرِّ غزلان الكنـــاسِ تَلَفّعتْ بَعدي بمنكــرِ تُربِها المتراكِمِ

ويقول : [٢]

توهّم إبــلاد المنازل عَنْ حِقَــبِ فراجعَ شوقاً ثمّتَ ارتدّ فــي نصبِ

بزهمـــانَ لو كانتْ تكلّمُ أخبرَتْ بما لقيتْ بعد الأنيسِ مــن العَجَبِ

ومنظر الدمن والمنازل البالية يثير في نفسه الشوق إلى صاحبته التي كان يذوب شوقاً للقائها ، فصورتها لا تفارق مخيّلته ، وهو دائم التذكر لها ، وقلبه مشغول أبداً بها، يقول :[٣]

ما هاجَ شَوْقُــكَ من مغانــي دِمْنة ومنازِلٍ شغــــفَ الفؤادُ بلاها

دارٌ لصفراءَ التيّ لــمْ تَنْتَهي عنْ ذِكْرِهـــا أبداً ولا تَنْساها

ويتساءل مرّة أخرى عن أصحاب الديار التي لم يبق منها سوى رسومها الدّارسة ، ويشبهها بالكتاب المزخرف ، يقول: [٤]

لمنْ رسُم دار كالكتـــابِ المُنَمنَمِ [٥] بمنعرجِ الوادي فُوَيْـــقَ المُهزّمِ

وينقل إلينا صورة طريفة لبكاء الديار الخالية ، فقد تركها أهلها وأتت عليها عوادي

١– ديوانه : ١٢١، نهاية الأرب ٤ : ٢٤٠ ، شرح شواهد المغني ١ : ٤٩٢ ، شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧.

٢– ديوانه : ٢٥١ ،معجم البلدان ، مادة زهمان.

٣–ديوانه : ٩٦ ،الطرائف الأدبية ص ٩٢.

٤–ديوانه : ١٢٨، عجم البلدان ، مادة المهزم.

٥– المنمنم : المزخرف والمنقش.

الزمن ، فذاب عديّ حسرة وألماً لما أصابها ، إذ لم يبق منها إلاّ آثاراً بالية بعد أن كانت آهلة بالسكان ، عامرة بالحياة ، فغمرتها الأتربة ، وهو يصف تلك الديار وما حلّ بها وصفاً دقيقاً ، ويدعو لها بالسقيا لأنها عزيزة على قلبه ، ويبثّها صبابته ويناجيها باكيا ، فيقول : (١)

هَلْ أنْتَ مُنْصَرِفٌ فَتَنظُرَ ما ترى ... أبقـــى الحوادث من رسومِ المنزلِ
دارٌ بإحــــدى الرِّجْلَتَيْنِ كأنَّها ... قد عُفِّيتْ حِجَجـــاً ولمّا تحلل
وكأنَّ سُهْـــكَ المُعْصِراتِ كَسَوْنَهَا ... تُرْبَ الفَدافِـــدِ واليَفـاعِ بِمُنْخُلِ
فَسُقيتِ مِـــنْ دارٍ وإنْ لم تَسْمعي ... أصواتَنا قَطْـــرَ الرّبيـــعِ المُسبِلِ
ورُعيتِ مِـــنْ دارٍ وإن لم تَنْطِقي ... بجوابِ حاجتِـــنا وإنْ لَمْ تَعْقِلي
قد كانَ أهلُكِ مرّةً لـــكِ زينةً ... فاستبدلوا بَدَلاً ولَـــمْ تَستَبدِلي
فابكي إذا بكـــتِ المنازلُ أهلَها ... معذورةً وظلمـــت إن لم تَفْعَلي
أهلاً كراماً لـــن يحلّكِ مثْلُهمْ ... في ذا الزّمانِ ولا الزّمـــانِ المُقبِلِ

فعديّ يصف ما قاسى من الوجد وما داخل نفسه من الألم والحسرة حين رأى تلك الديار خالية بالية ، وحاول استنطاقها وهو يعلم أنها لن تحير جوابا ، وكانت قبل ذلك مزدانة بسكانها الذين آثروا عليها مكاناً ثانياً ، فتركوها وتوجهوا إليه ، وطلب من الديار أن تبكي على أهلها وتنعاهم ، لأنه لن ينزل بها ناس أفضل منهم .

ونلمس من مقدماته الطّللية إحساسه بالزمن ومأساة انقضائه إحساساً قوياً عظيم المرارة، وتجلى هذا الإحساس في وصفه لتلك الديار والأطلال ، ووصفه لرحيل أصحابها ، وانفصام عرى المحبة والصداقة ، وتبدد الشمل ، وخراب الديار التي كانت آهلة عامرة ، تنبعث الحياة

١- المنازل والديار ٣٧:١، الحماسة البصرية ٢٥٥:١ ، الشمشاطي: الأنوار ومحاسن الأشعار ٤٢:١ ، ربيع الأبرار ٣٤٥:١.

في أرجائها ، ثمّ أصبحت خالية لا حياة فيها ، لأن الزمن بدّلها وعفى عليها.

إن الأطلال تذكّره دائماً بساكنيها ، وتذكره بمحبوبته التي ابتعدت عنه ، وهي تنبيء بالنهاية الحتمية لحياة الإنسان وانقضاء عمره وزواله ، فيزداد أرقه ، وتنساب الدموع من عينيه أسفاً على ذلك ، وارتبطت الأطلال عنده في أغلب الأحيان بالمرأة ، وهذا الأمر نجده عند الشعراء الجاهليين إذ كانوا يتذكرون محبوباتهم عندما يقفون على الأطلال ، وجاء حديث عدي عن المرأة وارتباطه بالطلل نتيجة علاقة معينة كانت تربطه بها ، فهي تذكره بالحياة والعطاء والشباب الذي تولى عنه ، فأخذ نفسه بالحديث عنها ووصف جمالها وكأنه يصف جمال الأيام الخوالي التي عاشها.

ب- وصف بيئة الشام:

تأثر عديّ تأثّراً واضحاً ببيئة الشام الفاتنة المليئة من المناظر الطبيعية الجميلة ، فقد ولد وترعرع فيها ، استنشق هواءها ، وشاهد جبالها وسهولها وأنهارها ورياضها وأشجارها وطيرها وحيوانها ومطرها وبرقها ، وتحدّث عن مظاهرها بإسهاب ، وتردّدت أسماء مدنها وقراها ومنازلها وبواديها وأنهارها في شعره ، وقلّما نجد له مقطوعة أو قصيدة تخلو من ذكر تلك المواضع والبلدان التي رآها وعاش في رحابها وأحسّ بجمالها ، ففي حديثه عن الأطلال مثلاً لم يتحدث عن منازل الجزيرة العربية كما فعل شعراء الجاهلية ، بل تحدّث عن منازل الشام التي مرّ بها وشاهدها ، فاصطبغت أطلاله بصبغة شامية خالصة.

ومن الأسماء التي وردت في شعره أُثيدة [١] والأحِص [٢] والمرج [٣] وأُسَيس [٤] والأزارق [٥] والإلاهة [٦] وجاسِم [٧] وحُدَيْجاء [٨] وخُناصِرَةَ [٩] وشابِك [١٠] والسّماوة [١١] ومُقد [١٢] وبيت رأس [١٣] وغيرها.

١- أثيدة : اسم موضع في بلاد قضاعة بالشام .

٢- الأحص : كورة كبيرة ذات قرى ومزارع قرب حلب ، وكانت من ديار تغلب .

٣- المرج : هو مرج راهط قرب غوطة دمشق ، وهو أكثر المروج ورودا في الشعر.

٤- أسيس : اسم ماء يقع في شرقي دمشق.

٥- الأزراق : جمع أزرق وهو ماء مشهور في شرقي الأردن.

٦- الإلاهة : قارة بالسماوة من ديار كلب ، تقع بين ديار تغلب والشام.

٧- جاسم : قرية شامية من أعمال الجولان تقع على طريق دمشق طبريا ، ولد بها أبو تمام.

٨- حديجاء : قرية شامية .

٩- خناصرة : بلدة من أعمال حلب تحاذى فنسرين نحو البادية .

١٠- شابك : موضع في منازل قضاعة بالشام.

١١- السماوة: بادية بين الكوفة والشام وهي من أراض كلب.

١٢- مقد : قرية بالشام تنسب إليها الخمر ، ومنها كانت ملوك غسّان تصطفي الخمر ،وهي تشرف على الغور.

١٣- بيت رأس : قرية في الأردن ، سميت بذلك لأنها تقع في رأس جبل وقرية في منطقة بيت المقدس أيضاً.

وورد في شعره ذكر بعض الثغور الشامية والمدن والأنهار الرومية مثل دلوك وجيحان وآلس (١) والطوانة (٢) وغيرها.

ومن مراجعة هذه الأسماء يتبين لنا مدى تأثره بتلك البيئة التي لا يمكن لشاعر غير شامي ان يلمّ بأسماء مواضعها وثغورها ، ولا يتيسّر له أن يستعملها بكثرة ودقّة في شعره كما استعملها عديّ لأنه خبرها ورابط فيها.

ونلاحظ أن صور هذه البيئة غير مقصورة على غرض من أغراض شعره ، بل امتزجت بأكثر الأغراض التي طرقها ، إلاّ أنها تكثر في وصفه كثرة مفرطة ، واستعان مصنّفو معجمات البلدان ومعجمات اللغة بمقطوعاته وأبياته الشعرية مستدلين بها على تلك المواضع ، فنقل البكري وياقوت الحموي وابن منظور وغيرهم كثيراً من أسماء تلك المواضع ووصفوها معتمدين على ما جاء منها في شعر عديّ.

لقد ملكت بيئة الشام وجمالها الأخّاذ نفس عديّ ، فتركت آثاراً في شعره ، واستطاع ان يصوّرها تصويراً بارعاً اعتمد على دقّة الملاحظة وقوة الخيال ، فجميع ما شاهده ، وانطبع في نفسه من تنقلاته في ربوعها انعكس على شعره ، فقال يذكر البرق والمطر والغيم والريح الشامية :(٣)

فَقُمْتُ أُخبِرُهُ بالغيثِ لَـــــــمْ يَرَهُ ... والبرق إذ أنا محـــــــزونٌ لَه أَرِقُ

مزنٌ تسبّحُ في ريـــــــحٍ شآميةٍ ... مُكَلّلٌ بعمـــــاءِ الماءِ مُنْتَطِقُ

١- مرّ التعريف بهذه المواقع في الحديث عن موضوع الغزل.

٢- الطوانة : مدينة تقع ببلاد الروم مما يلي طرسوس.

٣- ديوانه : ١٤٦ ،العسكري: التصحيف والتحريف ص ١١١، الأزمنة والأمكنة ٢: ٢٤٤ ، البكري : سمط اللالي ١: ٤٤٥ ، ابن الشجري : الحماسة الشجرية ٢: ٧٨٣.

وقال يصف لمعان البرق ويذكر الرعد : [1]

قَذَرْ ذا ولكن هل تـــرى ضوءَ بارقٍ   وميضاً ، تَـــرى منهُ على بعدهِ لمعْا
تصعّد في ذاتِ الأرانِـــبِ مَوْهِنا   إذا هَزّ رعْداً خلـــت في ودْقه شَفَعا

وعديّ ليس أول شاعر يصف البرق والمطر والغيم والريح ، فقد وصف هذه الظواهر الطبيعية غيره من الشعراء الأمويين والشعراء الجاهليين ، ولكن الفرق بينه وبينهم أنه يصف ظواهر طبيعية مصبوغة بصبغة شامية ، يقول : [2]

يا مــــــنْ رأى برقاً أرقتُ لضوئِه   أمســــــى تلألأ في حوارِكِهِ العُلا
فأصـــــــابَ أَيّمَنَهُ المزاهِرِ كُلّها   وأقتمّ أيســـــــــرَهُ أثيدة فالحثا

وذكر أنواء الشام بقوله : [3]

وإذا الرّبيــــــعُ تتابعتْ أنواؤُه   فسقـــى خُناصرة الأحصّ وزادها

وشبّه عيني صاحبته بعيني جؤذر جاسم في قوله : [4]

وكأنّها بـــــين النّساء أعارها   عينيه أحـــــوُر من جآذر جاسِمِ

وزعم القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني أن ذكر جاسم من حشو الكلام فقال : « وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلاّ كغيرها من الظباء ، وقد تختلف خلق الظباء وألوانها

١– ديوانه : ٢٢٣ ، معجم البلدان ، مادة أرانب.

٢– معجم البلدان ، مادة حثا ، عظام ، غريفة ، المزاهر ، وهي مواضع شامية.

٣– ديوانه : ٩١ ، معجم ما استعجم ٢:٥١١ ، معجم البلدان : مادة خناصر ، الحماسة البصرية ١:١٤٠ ، وفيات الأعيان ٦:٣١٢.

٤–ديوانه : ١٢٢ ،الكامل في اللغة والأدب ١:٨٦ ، سمط اللالي ١:٥٢١ ، الحماسة الشجرية ٢:٦٨١ ، معجم البلدان: مادة جاسم ، نهاية الأرب ٤:٢٤٠.

باختلاف المنشأ والمرتع ، وأما العيون فقلّ أن تختلف لذلك » [1].

وعلّق الاستاذ خليل مردم على ذلك بقوله : « وقد فاته أن عديًا شامي ، وجاسم من قرى الشام ، فلجآذرها منزلة في قلبه وحسن في نظره فوق غيرها من الظباء » [2].

١- الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣١.

٢- شعراء شاميون ص ٤١.

جـ- وصف الظعن:

وصف الشعراء الجاهليون الظعن بعد فراغهم من الوقوف على الأطلال [1]. ورسموا مشاهد مفصلة لرحلتها ، فوصفوا استعداد القوم للرحيل ، وأسبابه ، ووصفوا الهوادج ، والطريق التي تسلكها القافلة وحداتها.[2]

وتحدث عديّ بن الرقاع عن ارتحال ظعن صاحبته عن ديارها ، وبيّن شوقه إليها ، وما تركه رحيلها في نفسه من حسرة وألم وحنين ، ووصف مسيرها ورحلتها الطويلة ، من ذلك قوله : [3]

يا شَوْقُ ما بكَ يَـــومَ بانَ حُدوجُهُمْ ... من ذي المُوَيْقِـــــع غدوةً فرآها

وكأنّ نخلاً فـــــي مطيطَةَ ثاوِيا ... بالكمْع بين قرارِهــــا وحجاها [4]

وعلى الجِمـــــال إذا ونَيْنَ لسائقٍ ... أنزلن آخرَ رائحـــــاً فَحَداها

من بين مُخْتضـــــع وآخرَ مَشْيُهُ ... رَفْلٌ إذا رُفِعَتْ عليـــــه عصاها [5]

من بين بكرٍ كالمهـــــاةِ وكاعبٍ ... شَفَعَ النَّعيـــــمُ شَبَابَها فَعَراها [6]

لا مُكْثِرٌ غُسٌّ ولا ابنُ وليـــــدةٍ ... بادي المرؤَةِ يستبيـــــحُ حِماها [7]

لقد هاجه الشوق حين رأى الظعن ترتحل ، وتألم لهذا المنظر المحزن ، فشبّه الظعن بنخل

١- د. نصرت عبدالرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ١٣١.

٢- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ص ٧٦.

٣- ديوانه : ٩٧، الطرائف الأدبية ص٩٢.

٤- مطيطة : اسم موضع ، الكمع : المطمئن من الأرض ، حجاها : حرفها أو المشرف منها.

٥- المختضع: الذي يسير مطأطيء الرأس ، الرفل : الركض الخفيف.

٦- شفع : أتى ، فعراها : أصابها.

٧- الغُسّ : الضّعيف اللّين ، وقد وردت في الطرائف الأدبية ص ٩٢ «عيش».

مطيطة الذي لا يبدو مستوياً ، فهي في مسيرها تعلو وتهبط ، فتبدو متعرجة لأنها سلكت طريقاً وعراً ، أما الجمال التي تحمل الظعن فقد أضناها السير ، فأخذت ترفع رؤوسها وتخفضها من شدّة التعب ، واستعان عديّ بحاد يحدوها ليشجّعها على مواصلة الرحلة ، ويستأنف حديثه عن تلك الظعن فيقول :[1]

وَجَعَلْنَ مَحْمَلَ ذي السّلاح تحيّةً   عن ذي اليتيمة وافترشْنَ لواها [2]

أصعدنَ في وادي أُثَيْدَةَ بَعْدَما   عَسَفَ الخميلة واحزَألَّ صُواها [3]

قريةٌ حبكَ المقيظُ وأهلُها   بحشى مآب ترى قُصورَ قُراها

وأحتَلِ أهلُكَ ذا القتودَ وغُرّبا   فالصّحْصَحان فأين منك نواها [4]

فإذا تحيَّر في الفؤادِ خيالُها   شَرِقَ الشؤون بِعَبْرةٍ فبكاها

فعدّد الأماكن التي اجتازتها ، وتتبعها وهي تنتقل من مكان إلى آخر، وسمّى المواضع التي مرّت بها أو استراحت فيها ، فازدحمت الأسماء في لوحته هذه ، فذكر ذا اليتيمة ووادي أثيدة ، وحشي مآب ، وذا القتود ، وغربا ، والصحصحان ، وهي أسماء مواضع منتشرة في بلاد الشام.

وما يلبث عديّ أن يتذكّر صاحبة الظعن ورحلتها التي ستجعلها بعيدة المنال فتذوب نفسه ألماً وحسرة ويبكيها بكاءً مراً ، وتشرق عيناه بالدموع ، لقد ترك رحيلها في قلبه جرحاً عميقاً ، ولم يجد ما يسري عنه هذا الألم غير ناقته ، فهي ملاذه الوحيد في أوقات الشدّة ،

١- ديوانه : ٩٩ ،الطرائف الأدبية ص ٩٢.

٢- ذى اليتيمة : اسم موضع.

٣- أصعدن : ارتقين ، ووادي اثيدة : واد يقع في بلاد قضاعة بالشام ، عسف الخميلة : قطع الأرض السهلة ، احزأل : انقبض واجتمع، الصوى : ما ارتفع وغلظ من الأرض.

٤- القتود : جمع قتد ، اسم جبل ، غرّب والصحصحان : موضعان.

فشدّ كورها ورحلها ليتسلّى عن الهموم.

لقد ودّع عديّ عهد الشباب ، فاتّخذ من رحلة الظعن رمزاً ووسيلة ليعبّر عمّا يختلج في صدره من مخاوف وأحزان ، إنه يبكي شبابه الذي ولّى وانقضى ، فولّت معه أيامه الحلوة التي كان يعيشها في صباه ، وهو الآن ينتظر نهايته الحتمية بعد أن غزا الشّيب رأسه ، وما حياة الإنسان في هذه الدنيا الاّ كرحلة الظعن ، فهو يبدأ طفلاً وينتهي كهلاً ، ويمرّ بين هاتين المرحلتين بمراحل وتجارب كثيرة ، كذلك هذه الظعن ، تبدأ رحلتها من تلك الديار ، ولا بدّ لها ان تنتهي إلى ديار أخرى ، وتمرّ أثناء رحلتها بمواضع كثيرة ، وتواجه مخاطر متعددة ، فهي تشاكل حياة الإنسان .

ونلاحظ أن عدياً حافظ في وصفه لرحلة الظعن على العناصر الرئيسية التي أرساها الجاهليون ، فخاطب نفسه ، وشبّه الظعن بالنخل ، وتحدّث عن الحادي، وعدّد الأماكن التي مرت بها تلك الظعن ، وأخيراً بكى لفراق صاحبته.

د- وصف حيوان الصحراء :

١- وصف الناقة:

الناقة من أبرز الحيوانات التي عني بها الشعراء العرب ، فهي مصدر الخير والرزق ، وهي رفيقة السفر الصبور على تحمّل المصاعب، منها يأكلون ، وعليها يرتحلون ، تقطع الصحارى دون ملل او كلال ، فوقفوا يتأملونها ، ويصفون قوّتها وصبرها ، ويتحدّثون عن أعضائها وهم يحسّون إحساساً عجيباً بالرغبة في تصويرها وإثبات خصائصها [١]. واهتمّ شعراء الجاهلية اهتماماً خاصاً بها ، فوصفوها وصفاً دقيقاً ، وأصبح وصفها عندهم من العناصر المهمّة في قصائدهم ، يقول الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن القصيدة العربية : « نراها تبتديء عادة بوصف الأُطلال وبكاء الدمن ، ثم تنتقل الى وصف رحلات الشاعر في الصحراء، وحينئذ يصف ناقته التي تملأ حسّه ونفسه وصفاً دقيقاً فيه حذق ومهارة » [٢].

وقد احصى الدكتور نصرت عبدالرحمن عناصر وصف الناقة التي وردت عند الشعراء الجاهليين ، فذكر منها : التوقّف الطويل عندها بوصف ضخامتها وإقدامها وسرعة حركتها وحدّة طبعها وسنّها [٣] ، وتشبيهها بالثور الوحشي وبالحمار الوحشي، ووصف وحشة الطريق ومخاطرها وأهوالها ، وتصوير سيرها في الليل والنوم في الصحراء [٤]. وهي عناصر تتردّد عند كثير من شعراء الجاهلية.

والتفت عديّ إلى الناقة ، فوصفها وصفاً دقيقاً في مختلف أحوالها وطباعها ، ورسم لها صورة خارجية واضحة المعالم ، وصور رحلتها في الصحراء ، وشبّهها بالحمار الوحشي

١- د. نوري القيسي : الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ٩٧ ، د. يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي : خصائصة وفنونه ص ٢٥٠.

٢- د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الطبعة السابعة ص٨١.

٣- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨١.

٤- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ١٣٧.

تارة ، وبالقطاة تارة أخرى ، ليدلل على قوتها وصلابتها وشدّة سرعتها ، وهو يستذكر ناقته عندما تشتدّ عليه الهموم ، ليسري عن نفسه بالارتحال عليها، ونلاحظ أنه حافظ على العناصر الجاهلية في وصف الناقة محافظة شديدة ، فقال بعد أن وقف على الأطلال وذكر صاحبته وعزوفها عنه بسبب ظهور الشيب في رأسه (١):

فَصَرِّمِ الهَـــــمَّ إذْ ولّى بناجيةٍ عَيْرَانة لا تَشكّى الأُصْـرَ والعَمَلا (٢)

منَ اللواتي إذا استقبلْـــنَ مهمَهةً نَجّينَ مِنْ هَوْلِها الرُّكبـانَ والقَفَلا (٣)

من فَرّها يَرَها مـــن جانبٍ سَدَساً وجانبٍ نابُها لم يعـد أن بزلا (٤)

حرفٌ تشذَّرَ عَـــنْ ريّان منغمسٍ مُسْتَحْقَبٍ رزأته رحمُها الجملا (٥)

أوْكَتْ عليـــهِ مضيقاً من عَواهِنِها كما تَضَمَّنَ كَشْحُ الحُرَّةِ الحَبَلا (٦)

وهو يستحضر ناقته ليتخلّص من همومه المتمثلة في خوفه من المستقبل بعد أن غزا الشيب رأسه وشعر بدنو أجله ، وناقته سريعة نشيطة لا يتعرّض صاحبها للأخطار ، إنها في الثامنة من عمرها ، ترفع ذنبها في أثناء سيرها دلالة على أنها حامل.

وكان الشعراء الجاهليون يسلون همومهم بالناقة التي تذهب عن نفوسهم بواعث الألم والضيق ، فالنابغة الذبياني يسلي همه بناقته الشديدة الصلبة ، يقول : (٧)

١- ديوانه : ٧٦ ،الطرائف الأدبية ص ٨٣.

٢- الأُصر : الحبس .

٣- المهمهة: الأرض بعيدة الأطراف المقفرة.

٤- فرّها : نظر الى سنّها ، سدسا : دخلت في الثامنة من عمرها : بزل نابها : انشقّ.

٥- حرف تشذّر : ترفع ذنبها لأنها لقّحت ، ريان منغمس مستحقب : يعني ولدها الذي حملته ، رزأ: أصاب ، أخذ.

٦- أوكت : عقدت ، عواهنها : ما حول رحمها.

٧- ديوان النابغة الذبياني ص ٨٧.

فَسَلَّيتُ ما عنـــدي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ   تَخُـــبّ بِرَحْلــي تارةً وتُناقِلُ

وطرفة بن العبد يسلّي همومه بناقته فيقول : (١)

وأنيّ لأمضي الهمّ عنـــد احتضاره   بعَوْجاءَ مِرْقال تروحُ وتُغتَـــدي

فتسلية الهمّ بالناقة عنصر من العناصر التي تكررت عند الجاهليين وحافظ عليها عديّ في شعره .

وأظهر في هائيته الصفات العظيمة التي تتحلّى بها ناقته ، فهي قوية لا تثنيها الأهوال عن بلوغ غايتها، وهي ملجؤه ووسيلته الوحيدة لتناسي همومه التي تقض مضجعه ، فبعد أن شاهد ارتحال ظعن صاحبته ، لم يجد وسيلة تنسيه ذلك المنظر إلا ناقته ، يقول :(٢)

أفلا تناساهـــا بـــذات بُرايةٍ   عَنْـــسٍ تجلُّ إذا السِّفارُ براها (٣)

تَطوي الفَلاةَ إذا الإكـــامُ توقّدتْ   طيّ الخنيفِ بوشْكِ رجع خُطاها (٤)

وتشول خشيـــة ذي اليمين بمسبل   وحفٍ إذا صحِبَ الذّئابَ حماها (٥)

متذيّلٌ لـــون المفاصـــل فوقَه   عَجبٌ أصمّ يَسُلّ خُـورَ صلاها (٦)

نَخَسَتْ به عجـــز كأن محالها   دَرَجٌ سليمـانُ القديمُ بناها(٧)

١- ديوان طرفة بن العبد ص ١٢.

٢- ديوانه : ١٠٠، الطرائف الأدبية ص ٩٣.

٣- ذات براية : مكتنزة ذات لحم وشحم ، عنس : البازل الصلبة من النوق، السفار : السفر ، براها : أتعبها.

٤- الإكام : الروابي ، الخنيف : ضرب من الكتان .

٥- تشول : ترفع ، مسبل : ذنبها ، وحف : غزير الشعر.

٦- متذيل : متحرّك ، عجب : (العصعص) ، أصم : مكتنز صلب شديد ، يسل : ينتزع
خور : ضعف ، صلاها : وسط ظهرها

٧- نخست : غرزت ، محالها : فقرات ظهرها .

بُنيتْ علــــى كرشٍ كأنَّ حرُودَها	مقُـــــــطٌ مطواةٌ أُمرّ قُواها [1]
فـــــي مجفرٍ حابي الضّلوعِ كأنهُ	بئرٌ يجيبُ الناطقينَ رَجاهـــــا [2]
ويقوُد ناهضها مجامِـــعَ صُلْبها	قوداً وتبتدُر النّجـــــاء يَداها [3]
وتسوقُ رجْلاها توالــــي خَلْفَها	طَرْداً وتَلْتَطِسُ الحَصـــى بِعَجاها [4]
وبها مناخٌ قلّما نزلـــــــتْ به	ومُصَمّعات مـــنْ بناتِ معِاها [5]
سودٌ توائمُ مــــن بقيّةِ حَسْوِها	قَذفتْ بِهـــنّ الأرضَ غبَ سُراها

لقد وصف عديّ في الأبيات السابقة ناقته وصفاً دقيقاً مفصّلاً ، فشبّه ذنبها بالسوط في حركته ، وهي حركة تخيف الذئاب إذا حاولت الاقتراب منها ، فهي حريصة كل الحرص على الحياة ، تحاول ما أمكنها إبعاد المخاطر عنها ، أما لونه فإنه يشبه لون مفاصل الناقة نفسها ، والجزء العلوي منه مكتنز ، وانتقل بعد ذلك إلى وصف فقرات ظهرها ، فقال إنها تشبه الدرج الذي بناه سليمان عليه السلام ، كناية عن عظمها ، وشبّه ضلوعها بالبناء الصخم ، وذكر أن بطنها يحتوي على أمعاء عظيمة تشبه الحبل المفتول كناية عن شدتها وقوّتها ، وشبّه بطنها ببئر واسعة يتردد فيها الصدى ، أما رأس منكبها فيقود مجامع ظهرها قيادة محكمة ، وإذا مشت هذه الناقة فإن يديها أول الأجزاء حركة ، وحين تمشي يتطاير الحصى تحت قدميها فيضرب مؤخرتها ، وهذا دليل على سرعة عدوها . ونلاحظ أن عديًا أبدى براعة فائقة في وصفه الدقيق لأجزاء الناقة ، فلم يترك عضواً منها دون أن يقف عنده ويبرزه ، فأنتج لوحة فنية جميلة

١- الكرش : البطن ، حرودها : أمعاءها ، مقط مطوّاة : حبال مفتولة.
٢- مجفر : منتفخ وواسع ، حابي : مشرف.
٣- ناهضها : رأس منكبها.
٤- تلتطس: تدق وتضرب ، عجاها : مؤخر الوظيف
٥- مناخ : موضع تنوخ الجمل ، مصمعات : بعرات.
٦- حسوها : شربها ، غب سراها : تشرب يوما وتترك يوما.

واضحة القسمات ، تنبض بالحياة والحركة .

وانتقل بعد وصف أجزاء الناقة إلى وصف المكان الذي نزلت به ، وما خلفته في هذا المكان ، حيث تركت بعرات متلاصقات ، تكونت من بقية الماء الموجود في جوفها ، فقذفتها على الأرض بعد غب شربها ، لأنها تشرب يوماً وتترك يوماً.

وذكر أنه نام نوماً عميقاً قرير العين ، لأنه يعلم أن ناقته تستطيع حمايته وتخليصه من المواقف الحرجة، ثمّ استيقظ من نومه بعد أن نال قسطاً من الراحة ، فقام وعصب رأسه بعمامته السوداء ، وأمسك زمام ناقته واسعة الجوف ، وشدّ رحله عليها ليعاود رحلته ، يقول:[1]

وكأنَّ مضطجَع امرىء أَغْفـى بِهِ   لقـرارِ عينٍ بعدَ طولِ كراها [2]

حتّى إذا انقشعتْ ضبابـةُ نومِهِ   عنهُ وكانَـت حاجةً فقضاها

أهوى فعصَّبَ رأسَـهُ بعمامةٍ   دسماء لم يكُ حيـنَ نام طَواها [3]

ثمّ اتلأبّ إلى زِمـامُ مناخةٍ   كبداء شدّ بنسعتيـه حشاها [4]

إنّ ناقة عدي تقطع الصحاري المقفرة المرعبة ، تصل الليل بالنهار من غير تعب ، وتصبر على ما تقاسيه من عناء ، وما تواجهه من أخطار في سبيل إيصاله إلى غايته ، فناقته تمثّل الصورة المثلى التي يرنو إليها ، وهو يأمل أن تكون مشابهة له ، تجابه المخاطر والأهوال بجسارة وإقدام ، وتخترق هذه الصحراء بعزيمة وقوة ، فأظهرها في حالة صراع مع الطبيعة التي حاول التغلب على قساوتها واجتيازها على ناقته ، يقول الدكتور محمد محمد حسين : « كان اقتحام الصحراء والصبر على مكارهها والجرأة على مخاطرها ضرباً من المغامرة التي يطيب للشاعر

١- ديوانه : ١٠٤ ، معجم البلدان : مادة مناظر ، الطرائف الأدبية ص ٩٥.

٢- كراها : نومها .

٣- دسماء : سوداء.

٤- اتلأب : استقام ، كبداء : عظيمة الوسط.

أن يفتخر بها في شعره »[1].

ونلاحظ أن عديًّا استعان بصور وتشبيهات شاركه فيها غيره من الشعراء الجاهليين والإسلاميين الذين تحدّثوا عن الناقة .

١- د. محمد محمد حسين : أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار ص ٥٢.

٢- وصف حمار الوحش:

وصف الشعراء الجاهليون حمار الوحش وأتانه [١] في معرض حديثهم عن الناقة ، فشبّهوها في صلابتها وقوّتها وشدّة عدوها به ، وتبدأ قصته عندهم بمنظره يرعى منفرداً أو معه أتانه [٢] التي تعاسره حينا فيطاردها ويدفعها أمامه ويخلو بها ، حتى تتمرد عليه تارة وتستجيب له أخرى [٣] ، وهما في عدوهما يثيران غباراً كأنه غلالة رقيقة بتجاذبانها [٤] ، ويمرّ فصل الشتاء وهما في أحسن حال ، ثمّ يأتي فصل الصيف ، فتنضب المياه ، ويضطر الحمار للبحث عن مصدر آخر للماء ، وتناط هذه المهمة به لأنها من واجباته ، ويغلب أن يدع الشعراء الحمر الوحشية تنعم بالماء فلا يفزعونها، ويختمون قصتّها ختاماً مفرحاً على نئيم الضفادع [٥] ، وقد يدخل الشعراء عنصراً آخر في قصة حمار الوحش ، فيضعون صائداً بجانب الماء يترصّد له فيرميه بسهمه دون أن يؤذيه [٦] ، هذه هي أهم عناصر قصة حمار الوحش التي ترددت في شعر كثير من شعراء الجاهلية كامرىء القيس والنابغة الذبياني ولبيد بن ربيعة وزهير بن أبي سلمى والاعشى وغيرهم.

وشبّه عدي ناقته بحمار الوحش وأتانه ، ولكنه نسب عنصراً من عناصر قصة البقرة الوحشية إلى الأتان ، عندما تحدّث عن فقدها لولدها وأكل السّباع له ، يقول [٧]:

وَغَدَتْ تُنازِعُهُ الجَديـــلَ كأنّهـــا ... بيدانةٌ أَكَلَ السِّبَـــاعُ طَلاها [٨]

١- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٢.

٢- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٢.

٣- الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ٢٦٦ .

٤- الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ٢٦٦ ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١٣٨.

٥- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٣.

٦- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٣.

٧- ديوانه : ١٠٤، الطرائف الأدبية ص ٩٥ ، معجم البلدان ، مادة مناظر.

٨- الجديل : الزمام المجدول من الأدم ، طلاها : ولدها.

حتّى إذا يَئِسَتْ وأَسْحَـــقَ حالِقٌ   وَرأت بقيّة شِلْوِهِ فَشَجاهــــــا [1]

فهذه صفة لازمة في الشعر العربي للبقرة الوحشية التي كثيراً ما تفقد وليدها ، وبعد أن تيأس من العثور عليه ويجف لبن ضرعها ، تكتشف أن السّباع أكلته ، وتعثر على أشلائه ودمائه متناثرة فوق الرمال ، فتبات ليلتها حزينة ثكلى [2] ، وأبرز لبيد هذه الصورة فقال : [3]

عَلِهــــتْ تُرَدِّدُ في نِهاءِ صَعائِــدٍ   سَبْعــــاً تُؤامــــاً كامِلاً أيّامُها

حتّى إذا يَئِسَـــتْ وأَسْحَقَ حالِقٌ   لَــــمْ يُبْلِـــهِ إرْضاعُها وفِطامُها

وتناول هذه الصورة غير شاعر كزهير بن أبي سلمى والأعشى وغيرهم ، وجميعهم نسبوها إلى البقرة الوحشية . ويتابع عدي سرد قصة الحمار الوحشي وأتانه فيقول :

قَلِقتْ وعارَضَهـــا حِصانٌ نحائصٌ   صَحِلَ الصّهيلِ وَأَدْبَرَتْ فتلاها

يَتَعاورانِ مِـــنَ الغُبـــارِ ملاءَة   بيضاء مخَملةً هما نسجاها[5]

تُطوى إذا عَلَوا مكاناً جاسيــاً   وإذا السّنابكُ أسهلت نشراها[6]

فألحّ واعتزمتْ عليــــهِ بشأوِهـا   شرفين ثمت ردّها فثناها

بِسرارة خَفَـــشَ الرّبيعُ غُثاءَهـــا   حوّاءُ يَزْدرِعُ الغميرُ ثَراها [7]

١- أسحق حالق : ذهب ما في ضرعها من اللبن ، شلوه : جلده ، شجاها : أحزنها.

٢- الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ٢٦٢ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٢، الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١٣٣.

٣- شرح ديوان لبيد بن ربيعة ص ٣١٠.

٤- حصان حائص : يعني حمار الوحش ، صحل الصهيل : حدّة في الصوت مع بحّة.

٥- يتعاوران : يتجاذبان ، ملاءة ، عباءة.

٦- جاسيا: مرتفعا

٧- سرارة : أكرم الوادي وأفضله ، خفش : أسال ، غثاء : كثيرة العشب ، يزدرع الغمير ثراها : يصيبها المطر حتى يغمرها.

فَتَصيّفاها يَصْحبـــانِ كلاهُما لثرى الجحافل من وكيف يداها (١)
حتّى اصْطلى وهـــجَ المقيظِ وخانهُ أبقى مشاربـــــه وشاب عُثاهـا(٢)
ونوى القيام علـــى الصّوى فتذكّرا ماء المناظر قلبهـــــــا فأضاها (٣)
فأرَنَّ تارتها إذا عرضَتْ لـــــهُ بيداءُ ذاتُ مخــــــارمِ عسفاها (٤)
حتّى تَأوّبَ مـــاء عينٍ زَغْـــــربِ يغي الصّفــادِعَ في نقيع صراها (٥)

لقد عرض الحمار لهذه الأتان القلقة المضطربة ، وهو يمتاز بصوته الحاد ، فلّما رأته أدبرت وهربت ، فلحق بها وتعاركا طويلاً ، فنسجا دائرة من الغبار حولهما ، تخالها غطاءً نسجاه ليغطيا أنفسهما به . وألح الحمار عليها لكنها تمنّعت ، وفي النهاية تمكّن منها ، وعاشا في وادي سرارة الخصيب فصل الربيع ، حيث نبت العشب وانبعثت الحياة، ومكثا في ذلك الوادي فصل الصيف يشربان من مائه ويأكلان من عشبه ، ولكن هذا النعيم لم يدم طويلاً ، إذ جفّ العشب ، ونضبت المياه ، وأصبح لا بدّ للحمار من البحث عن الماء ، فتذكّر ماء المناظر الذي تحول دونه مخاطر كثيرة ، ولكنهما عدلا عن الرحيل إليه تحاشياً لتلك المخاطر ، وصبرا على شظف العيش ، ومصاعب الحياة حتى عاد الماء إلى تلك العين بكثرة ، بعد أن كانت الضفادع تعيش فيها لطول استنقاع مياهها. فهذا الحمار حريص كل الحرص على الحياة ، فعلى الرغم من قسوة الظروف المحيطة به ، فإنه قاومها وانتصر عليها ، ونلاحظ أن عديًا اكتفى بهذه العناصر من قصة حمار الوحش ، فلم يعرض لصورة الصائد الماهر الذي يحمل قوسه وسهامه

١- ثرى الجحافل : الندى .
٢- وهج المقيظ : وقت القيظ ، شاب عثاها : يبس عشبها.
٣- الصوى : الحجارة ، ماء المناظر : موضع في ديار عاملة .
٤- مخارم عسفاها: سارا بغير هداية .
٥- تأوب : وصل ، زغرب : كثير ، غزير ، الصرا : الماء الذي طال استنقاعه.

ذوات النصال المحددة ، كما أنه لم يعرض لصفات الحمار نفسه ، فلم يحدثنا عن قوته وقسوته وضموره كما فعل الشعراء الذين تعرضوا له ، وقد نفث في قصته كل ما يضطرب في نفسه من قلق وخوف ووساوس إزاء فكرة الحياة والموت التي أرقّته طويلاً .

٣- وصف القطا:

شبّه الشعراء الجاهليون خيلهم بالقطا ، ليدلّلوا على سرعتها وقوة احتمالها ونشاطها ، وكانوا يصوّرون القطاة وهي تسرع في طيرانها نحو الماء [١] ، وهم يديرون معركة بينها وبين العقاب الذي ينقضّ عليها ، وتكون نتيجة المعركة نجاة القطاة وهلاك العقاب الذي يصطدم رأسه بمرقبة ،وتعود القطاة إلى أفراخها تمج في أشداقها الماء [٢].

ويرى الدكتور وهب رومية أن الشعراء الجاهليين لم يشبهوا الناقة بالقطاة إلاّ تشبيهاً قصيراً [٣] ، وأن الأخطل هو أول شاعر يحكي قصة طائر القطا في معرض تشبيه الإبل به في الرحلة [٤].

وتحدّث عديّ بن الرقاع عن القطاة مشبهاً ناقته بها ، وهذه القطاة تمتاز بصفات كثيرة جعلتها من أقوى الطيور وأصبرها على تحمّل مشاق الحياة ومتاعبها ، يقول : [٥]

كَأنّها وهي تحتَ الرّحْـــــل لاهيةً ... إذا المطيّ على أنقائِـهِ ذمــلاً [٦]
جونيّةٌ من قطا الصّـــوان مِسْكِنُهــا ... جَفاجِفٌ تُنْبِتُ القَفْعــاءَ والَبقلا [٧]
باضَتْ بِحَزْم سُبُيعٍ او بمرفِضِــــهِ ... ذي الشيّح حيثُ تلاقى التّلعُ فانْسَحلا [٨]

١- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٦ ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١٩٨.
٢- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٦ ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ٢٠٠.
٣- وهب رومية : قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي ص ٤٠٥.
٤- قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي ص ٤٠٧.
٥- ديوانه : ٧٨، الطرائف الأدبية ص ٨٤ ، معجم البلدان ، مادة سبيع.
٦- أنقاء : أول السمنة ، الذمل : السير اللين السريع :
٧- جفاجف : ما استوى من الأرض في غلظ ، القفعاء والبقل : نبات.
٨- الحزم : ما غلظ من الأرض وارتفع ، سبيع : موضع ، التلع : جمع تلعة وهي تسفل من الإتفاع إلى بطن الوادي ، انسحلا: انصب

تروي لأزْغَبَ صيفــــيٍّ بمهْلَكَـــةٍ إذا تَكَمّـَشَ أولادُ القطـــا خَذَلا [1]

تنوشُ مـــــنْ صوّة الأنهار تُطْعِمُــــهُ مــن التهاويل والزُّبـــاد مــا أكَلا [2]

تضـــمهّ لجناحَيْهــــا وجُؤْجُئِهـــا ضَمّ الفتاةِ الصّبيَ المغيلَ الصَّغِـلا [3]

فهذه القطاة تعيش في أرض صلبة غليظة ، يكثر فيها نبات القفعاء والبقل ، الأمر الذي أكسبها صلابة وقوة ، وقد باضت في أرض سبيع الخشنة المليئة من نبات الشيح ، وهي أرض وعرة صعبة ،لا يستطيع أن يعيش فيها غير هذا الطير ، وقد اختارتها بهذه الصفات لتحمي صغارها ، وأخذت تنقل الطعام من أماكن بعيدة لتطعم صغارها ، ويستطرد عديّ في وصفها ، فيشبّهها في حنانها بالفتاة التي تضمّ طفلها إلى صدرها حين ترضعه ، وهذا شأن هذه القطاة التي تضم فراخها تحت جناحيها وصدرها لشدّة حبّها لهم ، إنه طير أصيل يكابد العناء والمشقة ليربي فراخه ، وناقة عدي شبيهة به تتجشّم المصاعب والمكاره وتقطع الفلوات المقفرة الموحشة لتوصل صاحبها إلى غايته مع محافظتها على سلامته ، وحرصها الشديد على إبعاد الخطر عنه.

ونلاحظ أن عديّا استخدم الصور التي استخدمها الشعراء الجاهليون في تشبيه خيلهم بالقطا ، ولكنه استبدل النقابة بالخيل ، فشبّه ناقته بها، وذكر أنها تذهب بعيداً لجلب الماء لفراخها العطاش ، وتقاسي الأهوال وهي تسعى لتوفير الطعام والماء لها ، وأضفى عليها صورة إنسانية رائعة من صور الحنان حين شبهها بالفتاة التي تضم رضيعها إلى صدرها ،فهي تبذل كل ما في وسعها من أجل تأمين الحياة الجيدة لفراخها.

١- تروى : تكون لها رواية لحمل الماء في حوصلتها ، أزغب صيفي : فرخها الذي خرج من البيضة في فصل الصيف ، مهلكة : مفازة لا ماء فيها ، تكمش أولاد القطا خذلا: تأخر عنها في الطيران لصغر سنّه.

٢- تنوش : تناول ، صوة الأنهار : حجارة تجمع لتصبح علماً يستدل به ، التهاويل والزباد : نوعان من النبات.

٣- جؤجئها : صدرها ، المغيل : الذي يسقي اللبن ، الصغل : سيء الغذاء.

٤- وصف الخيل:

حظيت الخيل بمكانة عظيمة في نفوس العرب ، واعتنوا بها عناية خاصة [(١)] ، فهي عدّتهم للقتال وأداتهم التي يستطيعون بها ملاحقة صيدهم ، وصوّر الشعراء الجاهليون الفرس عضواً عضواً ، ذاكرين ما فيه من العتق [(٢)] ، وكانوا يشبّهونه بالعقاب والباز والصقر والنعامة والقطاة [(٣)] ، فمثلاً عندما كانوا يشبهونه بالعقاب تنتصر العقاب على فريستها ، وعندما يشبهونه بالقطاة يقتلون العقاب وتنجو القطاة [(٤)].

ووصف عديّ الفرس وصفاً دقيقاً ، ورسم له لوحة جميلة أودعها تفصيلات لأعضاء جسمه وحركته ونشاطه وسرعته ، ولم يهمل عضواً منه ، فحين نقرأ شعره في وصف الخيل نرى أمامنا لوحة فنية واضحة المعالم ، أبدعتها يد فنان بارع ، يقول في وصف الفرس : [(٥)]

ولقد أغتـــــدي بأجْـرَدَ نَهْـــدِ لاحَـــــهُ بعد صُنعِـــهِ المضْمارُ
أيدُ القُصْرَيينَ ما قِيـــــدَ يومــــاً فَيُعَنّى بِصَرْعِـــــهِ يَبْطـــارُ [(٦)]
حَوْشَبُ الخلقِ أُفْرِعَـــــتْ كتِفاهُ عنْ محانـــي ضُلوعِهِ إجْـــفارُ [(٧)]
وإذا اهتزّ مُقْبِلاً زان منـــــــــه أتلعٌ ما يُنـــالُ مِنهُ العـــذار [(٨)]

١- الأسود الغندجاني : أسماء خيل العرب وفرسانها ص ٥.

٢- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٥.

٣- الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١١٤.

٤- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٦.

٥- ديوانه : ١٧٩، ابو عبيدة : كتاب الخيل ص ١٤٤.

٦- القصريان : ضلعان تليان الترقوتين.

٧- حوشب : عظيم البطن ، الأفرع : الارتفاع والانحدار ، الإجفار : انتفاخ الجنبين .

٨- أتلع : طويل .

وَيُرى مُجْفِـــــراً إذا هُوَ وَلّـــى في حماتيـــــهِ شِدّةٌ وانبتــــارُ (١)
وَنسورٌ لهــــا حوافــــرُ منـــهُ لا يرى فـــــي أرساغِهِنّ انتشارُ (٢)
كالجلاميـــــد بالمسيـــــل علا هُنّ مـــــن الماءِ خضرةٌ واصفرارُ
مُشِقِ اللّحْمُ عـــــنْ حماتيه مشْقاً فتعالــــــى واشتدّتِ الأوْتارُ (٣)
وعلى الزّور منبضُ القلـــبِ منـــهُ بحيازيم بينهـــا أسيــــارُ (٤)
فهو طافٍ أقبُّ كالمســد الأملس عارى الشّوّى ممر مغـُـــارُ (٥)
شاخِصُ الحرّتّينِ ينفـــخُ منـــــهُ قِطَـــعُ الرّبْوِ منخر نثـــّارُ (٦)
وهو شاحٍ كأنّ لحيْيـــهِ حنــــوا قتب لاح منهمـــــا النّجـــار

إنه فرس مكتمل الصفات ، سليم البدن ، لم يقدم يوماً للمعالجة ، قوى الضلوع ، خفيف الحركة ، نشيط ، كتفاه مرتفعتان واسع الجوف ، في ضلوعه انحناءة من أعلى أصولها مما يدل على عتقه وكرمه ،وهو طويل تزينه رقبة طويلة ، عظيم الجنبين ، شديد العدو ، سريع لا تكاد حوافره تلامس الأرض كأنه يطير طيراناً ، ويستمر عديّ فيرسم لوحة فنية لذلك

١- مجفر : عظيم الجنبين ، الحماتان : لحمتان في عرض الساق ، الانبتار : الانقطاع .
٢- نسور : شواخص في باطن الحافر ، انتشار : انتفاخ.
٢- مشق : جذب ليمتد ويطول.
٤- الزور : الصدر ، أسيار : قدود في الجلد .
٥- طاف : يطفو على الرمال من شدة العدو ، أقب : دقيق الخصر ضامر البطن ،
المسد الأملس : الحبل المشدود ، عاري الشوى : اطرافه خالية من الشعر .
ممر : مشدود ، مغار : شديد المفاصل.
٦- الحرتين : الأذنين ، قطع الربو : النفس العالي ، نثار : واسع.
٧- شاح: فتح فمه ، لحييه : حائطا فمه ، حنوا قتب : جانبا الإكاف، لاح منهما النجار : ظهر منهما نسبه الأصيل.

الفرس فيخرج ألوانها بمهارة وحذق ، حتى ليخيّل لنا أننا أمام نحّات مبدع ، أفرغ كل موهبته ومهارته في نحت تمثاله الذي يعتزّ به ، فيصوّر اشتداد أوتاره وعضلاته ولحم ساقيه ،ثم ينتقل إلى حزامه الذي ترك آثاراً على صدره تشبه القدود ، كناية عن شدّها استعداداً للجولة التي سيقوم بها ، وعندما يعدو تخاله يطفو على سطح الرمال ، إنه فرس دقيق الخصر ، ضامر البطن، أملس الظهر، خلت أطرافه من الشعر ، أذناه صاغيتان دائماً لسماع ما يدور حوله ، فهو يتميز بحدّة عظيمة وذكاء مفرط ، وإحساس بالغ لنجابة أصله وعتقه.

ولم يراع عديّ في وصف الفرس اي ترتيب لأعضائه ، فبدأ بوصف ضلوعه ثمّ كتفيه، ثم انتقل إلى جوفه وضلوعه مرة أخرى ، وعاد إلى وصف رقبته وبطنه وظهره وأذنيه وأنفه دون ترتيب . ويرى الدكتور كامل الدقس « أن انتقال الشاعر المفاجيء من عضو إلى عضو يدل على أنه لم يكن يصف فرساً رآها أمامه وعرفها بالذات ، بل يصف فرساً مثالية ينقل أوصافها مما يدركه من الخصائص العامة للخيل ». [1]

وشبّه فرسه في مقطوعة ثانية بتيس الفلاة أو جؤذر الحلب السمين النشيط بسبب طيب مرعاه ، يقول :[2]

على كلِّ سَلْهَبَـــــــــةٍ لاحَهـــا   طِرادُ المسالح أو سَلْهَـــــــبِ [3]

أشَقَّ شُخَيْـــــص كتَيْـــس الفَلا   ةِ يَستّن أو جُؤْذَرَ الحُلَّــــــــبِ [4]

إذا ما تَصْعَلَـــــــكَ من حَشْـــوَةٍ   فأصبحَ كالفَرَدِ الأشْعَـــــــبِ [5]

١- د. كامل سلامة الدقس : وصف الخيل ص ٨٩.

٢- ديوانه : ٢٥٠،كتاب الخيل ص ١٤٥.

٣- السلهبة : الطويلة من الخيل ، لاحها : غيرها وأضمرها ، المسالح : المراقب .

٤- الأشق : الطويل ، يستّن : ينشط ، الحلبّ : نبات ترعاه الظبأ والشياه .

٥- تصعلك : طار شعره (وبره) ، الحشوة : السمنة ، الفرد الأشعب : الثور ذو القرنين .

أُمِـــــرَّتْ حَوامِــــلُ أَوْصالِــهِ كما تَسْتَمِــــــرُّ قـــوى القِنّبِ

وَأَشْرَفَ حارِكَـــــهُ والقَطــــا ةُ منه عُلــــــى طاءَةِ المركِـبِ [1]

على أنّ مجتمَع القُصْرَيَــــــنِ ليسَ بغوطٍ ولا أحـــــــدَبِ [2]

كُمَيْتٌ كأنَ علــــــى متنِــهِ سبائكُ من قِطَع المذْهَــــــبِ [3]

ويظهر لنا أن عديّا أخذ بعض صوره من شعر أبي دواد الأيادي ، فنسج مقطوعته الأولى على غرار مقطوعة أبي دواد في الخيل ، وهي مشابهة لها في الوزن والقافية ، وربما وقع خلط بين شعر الشاعرين ، أما قول عدي : [4]

أَيّدُ القُصْرَيَنِ ما قيدَ يَوْمــــــاً فَيُعنّى بِصرَعِــــــهِ بيطـــــارُ

فورد بنصّه في مقطوعة أبي دواد [5] ، وأما قوله :

« في محاني ضلوعه إجفار » ورد في شعر أبي دواد بنصّه [6] أيضاً ، هذا إضافة إلى بعض الصور والألفاظ التي ضمّنها عدي شعره ، وأخذها من شعر أبي دواد كقوله : [7]

وهو شاحٍ كأنّ لِحَيَيه حِنْـــــوا قَتَب لاحَ منهما النّجـــــــارُ

وقول أبي دواد : [8]

١- حاركه : كاهله ، القطاة : ما بين الوركين : طاءة المركب : سهولته .

٢- الغوط : المطمئن.

٣- المذهب : المموّه بالذهب.

٤- كتاب الخيل ص ١٤٤.

٥- كتاب الخيل ص ١٤٣.

٦- كتاب الخيل ص ١٤٣.

٧- كتاب الخيل ص ١٤٥.

٨- كتاب الخيل ص ١٤٤.

وهو شاحٍ كَفكَّةِ القَتَب الُمجلَّـــــبِ ‏ ‏ شَدَّ القَرا علَيْـــــهِ الإِطـــــارُ

واشتركا في كثير من الالفاظ التي وردت في مقطوعتيهما ، مثل :

«أفرعت كتفاه ، ولقد أغتدي ، ونهد ، وغيرها » .

ومهما يكن من الأمر فقد أبدع عديّ في رسم صورة فرسه إبداعاً حسناً ، وبيّنه فيها في أحسن حال ، فامتاز بالقوة والصلابة وسرعة الحركة والنشاط واكتمال الخلق ، فهو فرس أصيل كريم.

هـ- وصف الشباب والشيب:

تحدث عدي عن الشباب والشيب في قصائده ، فبيّن تفجّعه على شبابه وجزعه من مشيبه ، فالشيب عنده ينبيء بقرب نهايته وذبوله وعزوف النساء عنه، ولم يفرد قصائد مستقلة للحديث عن هذه القضية ، وإنما تحدث عنها في تضاعيف قصائده ، وجاء حديثه عن الشيب والشباب في معظم الأحيان بعد حديثه عن الأطلال والمرأة ، ممّا يؤكد ضجره من الشيب الذي يؤذن بقرب أجله .

وشبّه الشّباب في إحدى قصائده بالضّيف الزائر الذي يلمّ به ولا يلبث أن يرتحل ، وذكر كذلك فزع النساء وعزوفهن عنه بسبب انتشار الشيب في رأسه مردداً أن مرحلة الشباب مرحلة قصيرة الأوان ، يقول : (١)

وراعَهُــــنَّ بِوَجْهِـــــي بعدَ جِدَّتِهِ   شَيْبٌ تَفَشّغَ في الصُّدْغَيْنِ فاشْتَعلا (٢)

وسارَ غَرْبُ شَبَابي بَعْـدَ جدّتِــــهِ   كأنَّما كانَ ضَيْفاً خَـــفَّ فارْتَحَلا

وهو شبيه بقول زهير بن أبي سلمى : (٣)

وقالَ العَذارى إنّمــا أنــتَ عَمُّنا   وكَـــانَ الشّبابُ كالخليط نُزايِلُهْ

فَأَصبَحْنَ لا يَعْرِفْنَ إلاّ خَليقَتِـــي   وإلاّ سوادَ الرأسِ والشَّيْبُ شامِلُــهْ

فزهير يتحدث عن نفور الغواني منه ودعوتهن له عمّهن بسبب شيبه .

وهو شبيه بقول كعب بن زهير الذي يتمنى عودة الشباب ثانية وعدم مفارقته :(٤)

١- ديوانه : ٧٣، الطرائف الأدبية ص ٨١.

٢- تفشغ : كثر وانتشر.

٣- ديوان زهير بن أبي سلمى ص٦٤.

٤- السكري : شرح ديوان كعب ص ٧٠.

لَيْتَ الشّـــــباب حليفٌ لا يزايُلنا   بلْ لَيْتَهُ أرتدّ مِنْهُ بعضُ ما سلَفـــــا

وتتكرر المعاني نفسها في شعر عديّ ، فالنساء ينفرن منه لكبره ،هو يعترف بهذه الحقيقة المرّة على نفسه ، يقول : [1]

يَذْعَرْن مَن صَلَعِ الرِّجـــــال وشَيْبِهِمْ   ويَمْقُنَ شيمةَ كلِّ أهيـــــفَ عـــارِمِ

أعْرَضَنَ حين فقدنَ غربَ بطالتـــــي   ونسينَ حسنَ خلائقي وتمائمـــــي

ونلمس الحسرة والألم الذي يكابده عديّ من انتشار الشيب في رأسه ، وصدود النساء عنه.

وأحس عديّ بقصر الأيام التي قضاها مع النساء ، وذكرى أيام الشباب تثير في نفسه قلقاً واضطراباً ، لأنها فارقته إلى غير رجعة ، يقول :[2]

كانَ الشّبابُ قناعاً أستكـــــنُّ بــهِ   وأستظلُّ زماناً ثمّـــــتَ انْقشَعَـــــا

فاستبدَل الرأسُ شيباً بعـــــدَ داجيةٍ   فينانةٍ ما ترى في صَدْغِهـــا نَزَعا [3]

فإنْ تكن ميعةٌ من باطـــــلٍ ذهبتْ   وأعقبَ اللهُ بَعـد الصبوةِ الوَرَعـــــا

فقد أبيتُ أراعي الخـــــوَد راقــدةً   على الوسائـــــدِ مسروراً بها وَلِعـا

إن هذه القضية تثير قلق عدي وضجره وخوفه من المستقبل ، فبعد بلوغه مرحلة متقدمة من العمر، وانتشار الشيب في رأسه ، بدأت الحياة تظهر له على حقيقتها ، ولم يجد أمامه من وسيلة غير الابتعاد عن التصابي واللهو ، واتباع طريق التقوى الذي ينجيه في الآخرة

١–ديوانه : ١٢٣ ، شرح أبيات مغني اللبيب ٤:٩٧.
٢– ديوانه ٢١٦ ، الأغاني ١:٢٨٠ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١:٨ ، نهاية الأرب ٤:٢٥٣.
٣– فينانة : حسنة الشعر طويلته ، النزع : انحسار مقدمة شعر الرأس عن جانبي الجبهة.

من جرائر أعماله أيام شبابه ، فالشيب آذن بنهايته ، وما عليه الاّ أن يتورّع ، فلا يليق به أن يستمر في طريق الباطل والتصابي في مثل هذه السن ، يقول : [1]

ومن الضّلالَةِ بَعْدَمَا ذَهَبَ الصِّبا   نَظري إلى حورِ العيونِ نواعِمِ

وهو يعترف بأن بعض أعماله أيام شبابه كانت باطلاً ، «فإن تكن ميعة من باطل ذهبت» وأن الله سبحانه قد هداه إلى طريق التقوى والورع ، فابتعد عن التصابي « وأعقب الله بعد الصبوة الورعا».

ونلاحظ ابتعاد عدي عن ذكر الخمر ومعاقرتها في حديثه عن الشيب والشباب شأنه في ذلك شأن الشعراء المخضرمين والإسلاميين ، والخمر معنىً من المعاني الجاهلية التي ذكرت في سياق الحديث عن الشيب والشباب ، كما نلاحظ ظهور الأثر الإسلامي في شعره [2].

وألحّ عدي على ذكر انتشار الشيب في رأسه في ثنايا قصائده ، فأحزنه هذا المنظر كثيراً ، يقول :[3]

لولا الحياءُ وأنّ رأسي قدَ عثا   فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسِمِ [4]

فظهور الشيب في رأسه هو الذي منعه من زيارة أم القاسم.

ويقول : [5]

١- ديوانه : ١٢٣ ، شرح أبيات مغني اللبيب ٤:‏٩٧.

٢-مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ص ٩١.

٣-ديوانه : ١٢٢ ، أبو تمام : الوحشيات ص ١٩٤ ، الشعر والشعراء ص ٥١٦ ، الكامل في اللغة والأدب : ١:‏٨٦ ، الأغاني ٣:‏٢٧٤ ، أمالي القالي ١:‏٥١١ ، الحماسة الشجرية ٢:‏٦٨١ ، معجم البلدان : مادة جاسم ، لسان العرب : مادة جسم ، نهاية الأرب ٤:‏٢٤٠ ، المرزباني : نور القبس ص ١٤٨، شرح شواهد مغني اللبيب ١:‏٤٩٢ ، شرح أبيات مغني اللبيب : ٤:‏٩٧.

٤- عثا : أفسد.

٥- ديوانه : ١٠٨، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : العدد ٣٣ ص ٥٢١.

عَلاني الشّيْـــــبُ واشْتَعَلَ اشْتِعالاً وقدْ غَشِيَ المفـــــارِقَ والقِذالا

ويقول : (١)

إمّا تـــــرَي شيبي تَفَشَّغَ لّمتـــي حتّى علا وضحٌ يلـــوحُ سوادَها
فلقدْ ثنيتُ يـــدَ الفتاة وِســـادةً لي جاعِلاً يسرى يديّ وِسادَهـــا

ويقول : (٢)

فبتُّ أُلهّى فـــي المنام بِمـــا أرى وفي الشّيبِ عَنْ بَعْضِ البَطالةِ زاجِـرُ

فالشيب زاجر عن التصابي وملاحقة النساء ، وهو يعني الحرمان من اللهو والملذات ، ويثير في نفسه الحزن والخوف ، وفي الوقت نفسه يعتبره ثوب الحياء الذي يستره من اقتراف المعاصي التي لا تليق به ، وهو الحافز الذي يدفعه إلى الاتزان في أعماله.

١- ديوانه : ٨٧ ، الطرائف الأدبية ص ٨٩، أساس البلاغة : مادة تفشغ.

٢- ديوانه : ١٩٧ ، معجم البلدان : مادة جيحان.

و– وصف الخمر :

عاقر الجاهليون الخمر وفخروا بشربها كما فخروا بالشجاعة والصبر والكرم وغيرها ، وتحدّثوا عنها في بيت أو أبيات من قصائدهم ، ولم تجمع معانيها وصورها في قصيدة واحدة ، وإنما جاءت متفرقة في قصائد الشعر الجاهلي (١) . وكانت تلك المعاني والصور هي المصدر الذي اعتمد عليه الشعراء الإسلاميون في وصفهم لها (٢) ، والأعشى رائد الشعر الخمري في العصر الجاهلي (٣) لم يكن يتصدّى للخمريات بقصائد مستقلة منفردة على الرغم من إدمانه لها وشهرته بها (٤).

ولما جاء الإسلام نهي عن شرب الخمر على مراحل ، ثمّ حرّمه تحريماً قاطعاً ، فاستجاب كثير من المسلمين لهذا التحريم ، وظلّ نفر منهم يتعاطونها سراً(٥)، وابتعد كثير من الشعراء الأمويين عن وصفها وتشبيه ريق صواحبهم بها ،لأن الإسلام حال بينهم وبين ذلك ،إلاّ أن بعضهم حافظ على التقليد الجاهلي في وصفها دون أن يمدوه أو يتطوروا به (٦) ، فالأخطل أشهر شعراء العصر الأموي وصفاً للخمر ، لم يعرض لها في قصيدة مستقلة ، بل ردّد المعاني التي تداولها الشعراء الجاهليون من قبله.

وحافظ عدّي بن الرقاع أيضاً على التقليد الجاهلي في وصف الخمر ، فلم يفرد لها مقطوعات خاصة ،بل جاء حديثه عنها ووصفه لها في تضاعيف قصائده ، فوصفها وصفاً

١–إيليا حاوى: فن الشعر الخمرى ص ١٤.
٢– جميل سعيد : تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٤٢.
٣– فن الشعر الخمري ص ٤٧.
٤– فن الشعر الخمري ص ٥٩.
٥– الوليد بن بزيد : عرض ونقد ص ٢١٠.
٦– مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ص ٢٧.

حسياً خارجياً، وتحدّث عن مصدرها وعتقها وصفائها وشربها، كقوله :[1]

عُصارةُ كَرْمٍ مِنْ حُدَيْجاءَ لَمْ تكُـــنْ مَنابِتُها مستحدثاتٍ ولا قرعـــا[2]

وقوله :[3]

فكأنّي مـــنْ ذِكْرِكُمْ خالَطَتْنـي من فلسطينَ بنتُ كـــرمٍ عقارُ
عُتّقَتْ في الدِنانِ في بيـــتِ رأسٍ سنواتٍ ومـــا سَبَتْها التّجـارُ

فالخمر التي يشبه نفسه بشاربها خمر شآمية عريقة المنابت، مصنوعة من كروم حديجاء، وهي خمر فلسطينية المنشأ مشهورة، عتقت في جرارها في بيت رأس عدة سنوات قبل أن ينقلها التجار للبيع، وقد اشتهرت خمر بيت رأس في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور، وذكرها أكثر من شاعر، فقال حسان بن ثابت الأنصاري :[4]

كأنّ سبيئةً مـــنْ بيـــتِ رأْسٍ يكونُ مزاجُها عَسَـــلٌ وماءُ

وقال :[5]

شُجَّتْ بصهباءَ لهـــا سَـــورَةٌ من بيـــتِ رأْسٍ عُتِقَتْ في الخيامْ

وذكرها ابو نؤاس في قولة :[6]

وتَبسِمُ عنْ أغرّ، كـــأنّ فيـــهِ مُجـــاج سُلافَةٍ من بَيْت راسِ

١- ديوانه : ٢٢٢، معجم البلدان : مادة مقد، حديجاء.

٢- حديجاء : قرية شامية.

٣- ديوانه : ١٧٧، معجم البلدان : مادة فلسطين، لسان العرب : مادة سنة.

٤- شرح ديوان حسان ص ٥٦، معجم البلدان : مادة بيت رأس.

٥- شرح ديوان حسان ص ٤٣٤.

٦- معجم البلدان : مادة بيت رأس

وقد تأثر عديّ بخمريات الأعشى الذي وضع الخطوط العامة الكبرى لأدب الخمر [1]، فاستعار منه الفاظا بعينها، وضمنها أشعاره، كقوله: [2]

تُريكَ القَذى من دنها وهي دونَهُ　　لوجهِ أخيها في الإناءِ قطوبُ

إذ ورد صدر البيت السابق عند الأعشى في موضعين من شعره، حيث يقول: [3]

تُرِيكَ القذى من دونِها وهي دونَهُ　　إذا ذاقها من ذاقها يتَمَطَّقُ

ويقول [4]

تريكَ القَذى وهي من دونِهِ　　إذا ما تُصفّقُ جِريَالَها

كما شارك عديّ الأعشى وحسان بن ثابت في وصف ما تفعله الخمر في شاربها وتأثيرها فيه، وكيف تميت مفاصله، وتسري في دمه وعظامه، يقول عدي: [5]

كُمَيْتٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأسِ وردةٌ　　لها في عظام الشاربينَ دبيبُ

فقد قال الأعشى: [6]

تدبُّ لها فَتْرةُ في العِظامِ　　وتُغْشي الذُّؤَابَةَ فوّارَها

وقال حسان بن ثابت: [7]

١- فن الشعر الخمري ص ٥٩.

٢- العقد الفريد ٤:١٠٢، امالي المرتضى ١:٢٧٧، وفيات الأعيان ٢:٤٢٦ وقد نسب إلى الأقيشر، شعره: ٤٩-٥٠.

٣- ديوان الأعشى ص ٢١٩.

٤- ديوان الأعشى ص ٢١٣.

٥- العقد الفريد ٤:١٠٢، امالي المرتضى ١:٢٧٧، وفيات الأعيان ٢:٤٢٦، نسب الى الأقيشر، شعره: ٤٩-٥٠.

٦- ديوان الأعشى

٧- شرح ديوان حسان ص ٢٣٤.

تَدِبُّ فـــــي الجِسْــــمِ دَبِياً كما دبّ دبىً وسطَ رَقاقٍ هَيــــامِ (١)

فتأثر عدي بمعني الأعشى وحسان بن ثابت وصورهما واضح في شعره الخمري.

ولم يؤثر عن عدي أنه شرب الخمر وعاقرها ، كما أنه لم يصرّح بذلك في شعره ، ولم يصف مجالسها وسقاتها وقيانها ، كما فعل شعراء الخمر السابقين ، وإنما اكتفى بتشبيه نفسه بشاربها الذي أدمنها ، فأصبحت جزءا من حياته ، وأخذت من نفسه كل مأخذ، وأصبح لا يستغني عنها ، فأكثر من شربها ، يقول : (٢)

أميدُ كأني شـــــاربٌ لعبـــتْ بهِ عُقارٌ ثَوَتْ في دَنّها حِجَجَـــاً سَبْعا
مُقَدِيَّةٌ صَهْباءُ تُثْخِنُ شَرَبَهــــــا إذا ما أرادوا أن يُراحوا بها صَرْعـى

ويقول : (٣)

كشاربِ الخمر لا تَشْفى لذاذَتُـــهُ ولو يطالعْ حتّــــى يُكْثِرِ العِللا

فشعره في الخمر ليس دليلاً على معاقرته لها ، ولا نشكّ في أنه كان على اطلاع على صفاتها، وصفات شاربيها ،وما تفعله بهم ،ولهذا نجد وصفه لها يرد في شعره على أساس التشبيهات والصور ، وقد اقتبس من شعراء الخمر السابقين ، واكتسب هذه المعرفة من التراث الشعري الجاهلي في الخمر ، وتأثره بخمريات الأعشى وحسّان بن ثابت ، ونقله بعض الصور والمعاني عنهم يقوّي هذا القول.

١- الدبى : أصغر النمل ، الرقاق : الصحراء والأرض اللينة ، الهيام : ما لا يتماسك من الرمل.

٢- م ديوانه : ٢٢٢، معجم ما استعجم : مادة مقد ، معجم البلدان : مادة مقد ، لسان العرب : مادة مقد ، نهاية الأرب ٢٥٣:٤.

٣- ديوانه : ٧٣، الطرائف الأدبية ص ٨١.

رابعاً: الفخر

لا يخلو ديوان من دواوين الشعر العربي من الفخر ، فقد افتخر الشاعر الجاهلي بخصاله الحميدة وشجاعته وقوته وكرمه ، وافتخر بقبيلته وبطولاتها وأمجادها ، وارتبط الشاعر الأموي بقومه ارتباطاً وثيقاً . فهو يستظهربهم ، ويعتزّ بالانتماء إليهم ولا يرى قوماً يعدلونهم شرفاً ومكانة [١] . والذي يمعن النظر في الفخر الأموي يجده شبيهاً بالفخر الجاهلي ، فهو ينزع إلى ذكر الأيام وتعداد الأمجاد ، ويزداد غلواً وإغراقاً في وصف الحروب وأدواتها[٢].

وانصبّ فخر عديّ في اتجاهين ، الأول يمجّد أصالة نسبه ومنزلة قومه وأجداده ، والثاني يوضّح حسن صنيعه وتجلّده في النوازل وصبره على المكاره ، ففي فخره القبلي تغنّى بعراقة محتده ومكانة قومه العالية ، وأخلاقهم الكريمة وأعمالهم الكبيرة ، وفاخر النزارية بيمانيته [٣] ، وبين رسوخ جذور قبيلته في قحطان ، وتحدث عن أعمالها في الجاهلية ، فذكر حروبها مع أعدائها مشيداً بقوة بأسها وصلابتها في تلك الحروب [٤] ، وكان من الطبيعي أن تظهر هذه النزعة القبلية في شعره لأنه نشأ في بيئة اشتد فيها الصراع والتنافس والتفاخر بين القبائل القيسية واليمانية ، وظهرت هذه النزعة عند غيره من شعراء عصره ، فالأخطل مثلاً حاول في فخره إظهار ما لبني تغلب من أياد بيض على بني أمية ، واصطبغ فخره بالصبغة الجاهلية [٥] ، وقيل في فخر الفرزدق:

«ديوان الفرزدق في حقيقته يكاد يكون دفاعاً خالصاً عن قومه وتمجيداً غالياً ، فهو

١- د. إحسان النص : العصبية القبلية ص ٥٤٢.

٢- مجموعة من الأدباء : الفخر والحماسة ص ٤٨.

٣- الأغاني ٩:٣١٤ ، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨.

٤- معجم البلدان : مادة الملا.

٥- الفخر والحماسة ص ٤٥.

أشبه ما يكون بخطبة او خطب قيلت في مديحهم والفخر بهم فخراً لا تجفّ مادته في نفسه»[1]

وتحدث عدي عن نصرة قومه لبني أمية ، وما قاموا به من أعمال جليلة دفاعاً عن المسلمين والإسلام ، وما بذلوه من أجل جمع كلمة المسلمين تحت لواء بني أمية ، وأشاد بنصرتهم لعبد الملك بن مروان في معاركه مع الزبيرية [2] ، ونوّه بقتالهم لأعداء المسلمين ومنعهم للثغور الشامية ، يقول : [3]

أَبْلِغا قومَنا جُذامــــاً ولَخْمــاً ... قولَ مَن عزّهُمْ إليــهِ حَبيــبُ

كــان آباؤكُمْ إذا النّاسُ حَــرْبٌ ... وهمُ الأكثرونَ كــانَ الحروبُ

مَنَعوا الثَّغْرَةَ التي بين حِمْــص ... والكهاتين ليــسَ فيها غريبُ

وأشاد بفصاحتهم وفصاحة خطبائهم فقال [4] :

إذا خطيــبٌ قَضى منّا مقَالَتــهُ ... ثنّى بأخرى خطيبٌ فاضــلٌ أرِبُ

ففخره القبلي اعتمد على ماضي قومه المجيد وأصلهم العريق ، وبلائهم في حروبهم مع الروم وحمايتهم للثغور الشامية .

وأما فخره الشخصي فقد انصبّ على التغنيّ بخصاله الحميدة وحسن بيئته التي ترعرع فيها ، يقول : [5]

١- الفخر والحماسة ص ٤٦.

٢- أنساب الأشراف ٣٤٢:٥ ، الأخبار الطوال ص ٣١١، تاريخ الأمم والملوك ١٠٥:٦، مروج الذهب ١٠٩:٣ ، الأغاني ٢٨٩:٩ ، ٦٢:١٩ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ٢٥٢:١١ ، نهاية الأرب ٢٠٤:٤.

٣- ديوانه : ٢٤٧ ، معجم البلدان : مادة كهاتان.

٤- تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ٢٥٢:١١.

٥- أساس البلاغة : مادة نوف ، الحريري : درة الغواص في أوهام الخواص ص ١٧٢، لسان العرب : مادة نوف.

وُلِدْتُ برابيــــــةِ رأسُهـــــــا　　　علـــــــى كِلِّ رابيةٍ نيِّـــــفُ

وتحدّث عن عزة نفسه ، ومقدرته على تحمّل النكبات والمصائب التي لا تزيده إلاّ قوة وصلابة ، وتعظّم شخصه، وترفع شأنه [1] ، وهو رجل مؤمن بقضاء الله وقدره ، لا يخاف مما يخبئه القدر له ،يقول : [2]

والمرءُ ليـــــسَ وإن طالَتْ معيشتُـــهُ　　　يرى الذي هو لاقٍ قبـــلَ ان يَقَعا

وتغنى بأخلاقه الكريمة وتسامحه ، وسعة حلمه ، وعلوّ مكانته ، فقال : [3]

إنّي إذا ما لَـــمْ تَصِلْنـــي خُلّتي　　　وتباعدتْ عنّي اغتفرتُ بعادَهـــا

وأشاد بقوة بأسه وشجاعته في خوضه للحروب ، وافتخر بحياته الخاصة إذ عاش حياة مترفة ، تخللتها بعض المحن والمنغصّات ، يقول:

ولقدْ أصبتُ مـــن المعيشـــةِ لذّةً　　　ولقيتُ من شظفِ الأمور شِدادَهـا

ويقول : [4]

وأصاحبُ الجَيش العَرَمْرَمَ فارِســـاً　　　في الخيلِ أشهدُ كرّهـــا وطرادَها

فالحروب والمعارك لا تخيفه ، لأنه فارس مقدام ، قوي شجاع ، وأشاد بكرمه وشهرة جوده وبذله ، فقال :[5]

١– أنظر : حماسة البحتري ص ١٩٣ ، ص ١٩٥، الحماسة البصرية : ٢:٤٥ ، معجم البلدان : مادة مقد.

٢– ديوانه : ٢١٧. مجموعة المعاني ص ١٤٣.

٣– الطرائف الأدبية ص ٨٨.

٤– عيون الأخبار : ٢:١٨٢ ، العقد الفريد ٧:٥٧ ، الصغاني : العباب الزاخر : حرف الفاء ص ٣٢١ . لسان العرب : مادة شظف.

٥– ديوانه : ٩٠ ، الطرائف الأدبية ص ٨٩.

فسترتُ عيَب معيشتـــي بتكـــــرّمٍ   وأتيتُ من سَـــعَةِ النّعيمِ سدَادَها

هذه هي الخصال التي افتخر بها عدي في شعره ، وهي تدور حول الأُخلاق الحميدة والعادات الحسنة التي افتخر بها الشعراء العرب في شتى عصورهم ، وقد لاحظنا أن شعره في الفخر قليل ، وأبياته جاءت منتشرة في تضاعيف قصائده ومقطعاته .

خامساً : المواعظ والحكم

تناثرت في ثنايا شعر عدى أبيات تحمل ألوانا من المواعظ والحكم، تعبر في مجموعها عن أحاسيسه وتجاربه الخاصة ، وهذه الأبيات تدلّ دلالة واضحة على حنكته وصدق نظره ، وعمق تأثره بتلك التجارب ، وما ورد من شعره في المواعظ والحكم يتميز بما تميّز به الشعر العربي الذي يعرض للموضوع نفسه عرضاً عاماً ، فنجد الوضوح في المعنى ، والايجاز في اللفظ ، والاعتماد على التشبيه والتمثيل.

تأمل عديّ الموت والفناء ، وهو ظاهرة كبيرة في الشعر العربي ، احتلت مكانة بارزة فيه ، فوجد أن موت الإنسان وفناءه يشبه فناء تلك الديار التي غيّرها الدهر ، وقضى على الحياة فيها ، فتحولّت إلى رسوم دارسة ، وآثار بالية ، يقول : [1]

لولاَ التَجَلُّـــــدُ والتعزّي أنّـــــهُ لا قَـــوْمَ إلاّ عَقْرُهُـــمْ لِفَنَـــاءِ
ناديتُ أصحابي الذّيــن توجّهـــوا ودعوتُ أخرسَ لا يجـــيبُ نِدائي

وظاهرة الموت تفشي إلى ظاهرة القضاء والقدر التي تميّز حقيقة تقلبات الدهر ، ونظرة الشعراء إلى هذه الحقيقة تكاد تكون متفقة من ناحية تدّخل القدر في تشتيت الناس ، وإيقاع المصائب والنكبات بالإنسان مهما يحاذر أو يحاول مجابهة هذه الأخطار، لأنها واقعة لا محالة ، وهذا ما يؤكده عدي في قوله : [2]

والدّهْرُ يفرُقُ بين كُـــلّ جماعـــةٍ ويَلُـــفُ بَيْنَ تقـــارُب وتَنـــاءِ

والزمن عامل رئيسي في تأكيد ظاهرتي الموت والقضاء والقدر ، ومهما يطل عمر الإنسان ، فإن مصيره الموت والفناء ، وهذه نهاية كل شيء في الحياة ، يقول : [3]

١- ديوانه : ١٦١ ، معجم البلدان : مادة غمر ، المنازل والديار ١:٣٨.
٢- ديوانه : ١٦٣ ، الحاتمي : حلية المحاضرة ٢:٢٣٢ ، لسان العرب : مادة فرق (تباعد).
٣-ديوانه : ٧٤، الطرائف الأدبية ص ٨٢.

فكمْ ترى مـن قويٍّ فـك قُوَّتـهُ طولُ الزّمانِ وسيفاً صارماً نَحَـلاً

إنّ ابن آدمَ يرجو مـا وراءَ غـدٍ ودونَ ذلكَ غولٌ يَعتقي الأمَـلا

لو كانَ يَعْتَقُ حُيَـاً مـن منيّتـهِ تحرزٌ وحذارٌ أحـرزَ الوَعِـلا

وعديّ شاعر مؤمن ، يدرك أن الموت والفناء في هذه الدنيا حقيقة ينصّ عليها الدين ، وهذا ما يفسّر فناء الأمم ، فالإنسان مهما يلاقي من رغد العيش وطيب الحياة فإنه سيلحق بالأمم البائدة ، والغيب لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، فالإنسان لا علم له بما يخبئه القدر له ، يقول : (٢)

والمرءُ ليسَ وإن طالـتْ معيشتُهُ يرى الذي هو لاقٍ قبلَ ان يَقَعـا

فنظرته إلى الغيب وعجز المرء عن معرفته ، شبيهة بنظرة زهير بن أبي سلمى في قوله:(٣)

وأعلمُ ما في اليومِ والأمـسِ قبلَـهُ ولكنّني عن علمِ ما فـي غدٍ عَمِ

وتتّضح نظرته إلي النّاس في اعتقاده بعدم تشابه أخلاقهم وأعمالهم وإن تشابهت رسومهم ، فالتفاوت بينهم حقيقة ثابتة ، يقول : (٤)

أخبر النّفسَ إنّما النّاسُ كالعيدانِ من بينِ نابتٍ وَهشيمِ

ويقول :(١)

والقومُ أشباهٌ وبـينَ حلومِهُـمْ بـونٌ كذاكَ تفاضلُ الأشياء

٢- ديوانه : ٢١٧، حماسة البحتري ص ٢٣٥ ، مجموعة المعاني ص ١٤٣.

٣- ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٨٦.

٤-ديوانه :١٣٧ ، معجم البلدان : مادة هزيم .

٥- أنظر : طبقات فحول الشعراء ص ٥٥١، البيان والتبيين ص ٣٣٤ ، الشعر والشعراء ص ٤١٦، عيون الأخبار ٢٣٣:١، ربيع الأبرار ٤٨١:٣ ، معجم البلدان : مادة الجد ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ص ٣٤٠، نهاية الأرب ٥٧:٣ ، أنوار الربيع ٩٢:٢.

كالبَرْق منهُ وابـــلٌ مُتتابِـــــعٌ جودٌ وآخرُ ما يبـــــضُ بمـــاءِ
والأصلُ ينبُتُ فَرْعُــهُ متأثلاً والكفُّ ليسَ بنانُهـــا بســواءِ
بـــلْ ما رأيتُ جبال أرضٍ تستوى فيما غشيتُ ولا نجوم سمــــاءِ

هذه هي نظرة عدي في الحياة والإنسان ، وهي نظرة توحي بأنها نتاج تجاربه ومشاهداته، وتدل على ما يتمتع به من ذكاء وفطنة ، وقد جاءت في أسلوب واضح سهل بعيد عن الغريب والتكلف ، واتضح فيها أثر السن وخبرة الأيام التي عاشها .

الفصل الرابع
دراسة فنّيّة لشعره

بنية القصيدة

نستطيع من خلال دراستنا لشعر عدي أن نقول إنه كان يحاكي القصيدة الجاهلية «فقد كان الشعر الجاهلي هو التراث الأوحد للشعراء في العصر الأموي ، منه يتعلمون وعليه يتخرجون » [١] . فلا عجب أن يتأثر عدي بالشعر الجاهلي الذي «سيطرت تقاليده على الشعر العربي فيما تلا الجاهلية من عصور» [٢]. وعديٌّ عارف بالشعر الجاهلي ، فقد اطلع عليه ودرسه من مختلف جوانبه ، وأفاد منه ، فجاءت قصائده مشابهة إلى حدّ بعيد للقصائد الجاهلية ، من حيث البناء والموضوعات والألفاظ ، وهي قصائد كانت « تسير على نظام معين ونسق موروث سنّهُ القدماء منذ عهد متقدّم في الجاهلية ، وسار علي نهجهم كثير من شعراء العصر الأموي والعباسي على تفاوت في مقدار التبعية والالتزام» [٣].

وعديّ واحد من شعراء العصر الأموي الذين « بنوا كثيراً من قصائدهم على غرار القصيدة الجاهلية الطويلة في نمطها المعروف من نسيب ووقوف على الأطلال ووصف للمطية والرحلة ، وانتقال إلى المديح أو غيره من الأغراض» [٤].

ويتّضح أسلوب عديّ في بناء قصيدته بدراسة مجموعة من عناصر البناء الفنّي للقصيدة وهي مقدّمتها وحسن التخلص والخاتمة وطول القصيدة ووحدتها.

لقد سار عديّ في بناء قصيدته على الطريقة التقليدية لبناء القصيدة العربية ، فافتتح معظم قصائده بالمقدمة الطللية ،ووقف على الديار الدارسة ، وخاطبها ، وتأملها باكياً شاكياً ، فهي مستودع ذكرياته ، ومناجاته لها وتحديده لموقعها ووصفه لآثارها وتصويره لما كان فيها وما

١- د.عبدالقادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ص ٣١٣.
٢- في الشعر الإسلامي والأموي ص ٣١٢.
٣- الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ١٢٥.
٤- في الشعر الإسلامي والأموي ص ٣١٣.

بقي منها ، له دلالة نفسية ، فهو يعبّر عن عواطفه وإحساساته الكامنة في نفسه ، التي تثور عندما يمرّ بتلك الديار ،ونلاحظ أنه تأنّى في نسج تلك المقدمات ، ورسم مشاهد مكتملة لها ، وارتبط بعضها بقومه الذين أحبهم وافتخر بهم [1] ، وخلا معظمها من العنصر الحيواني الذي استعان به الشعراء الجاهليون في مقدماتهم ، ولم يتحدث عن العنصر النباتي الذي يغطي الأطلال في الشعر الجاهلي ، إلاّ أنه حافظ على معظم عناصرها الأساسية ، كتحديد الموقع ، وتهييجها لأشواقه ، وسؤاله إيّاها واستعجامها عليه ،وتفحّصه لها ومعرفتها بعد جهد ، وتشبيه آثارها برسم الكتاب ، ووصف الأحجار والنؤي وفعل الرياح والتراب الذي علاها ، وغيرها من العناصر التي تحدثنا عنها في دراستنا لموضوعات شعره [2].

واقترن ذكرالديار في بعض مقدماته بالمرأة ، فأخذ في الحديث عنها ، واصفاً جمالها وظعنها ورحلتها ، ومسايرته لها في تلك الرحلة.

وممّا يتصل بالحديث عن مقدمة القصيدة ، الحديث عن مطلعها ، فالاهتمام بمطلع أي عمل أدبي من الأمور التي حظيت بعناية النقاد القدماء [3].

وللمطلع أهمية كبيرة لأنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عند الشاعر من أول وهلة ، فإذا كان جيّداً تشوّق السامع لما بعده من أبيات ، وإذا كان المطلع رديئاً فإنه ينفر السامع ويجعله يعرض عن بقية الأبيات ، ويرى ابن رشيق أن المطلع هو مفتاح القصيدة [4] . وطالب حازم القرطاجني بأن يكون المفتتح مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته ، فإذا كان مقصده الفخر ، كان الوجه ان يعتمد من الألفاظ والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء

١- الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ١٣٤.

٢- أنظر : الفصل الثالث : وصف الطلل.

٣- بناء القصيدة العربية ص ٢٦٧.

٤- العمدة ١:٢١٧ ، أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ٤٣٧.

وتفخيم ، وإذا كان المقصد النسيب ، كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقّة وعذوبة ، وكذلك سائر المقاصد [1].

واشترط النقّاد في المطالع الجيدة الأسلوب الواضح والمعنى الظاهر، واستخدام الألفاظ المناسبة ، والترابط في المعنى بين شطري المطلع، ومناسبة المطلع لغرض القصيدة وموضوعها ، وهو ما يسمى « مطابقة الكلام لمقتضى الحال» [2].

ومن شروطهم أيضاً التصريع لأنه يضفي جمالاً على موسيقى الشعر [3].

وأستطيع أن أقول إن عدياً قد وفّق توفيقاً كبيراً في اختيار مطالع قصائده ، من حيث استخدامه للألفاظ المناسبة والأسلوب الواضح والمعاني الرشيقة ، فمن مطالعه الجميلة التي وفق في اختيارها وجاءت مناسبة لغرض قصيدته وموضوعها قوله :[4]

طالَ الكَـــرى وألمّ الهُـــمّ فَاكْتَنعا   وحيلَ بينـــي وبينَ النّومِ فامتَنَعـــا

فمنذ الجملة الأولى « طال الكرى » يدرك السامع أن هناك مشكلة تؤرق الشاعر وتقض مضجعه ، ثمّ يتدرج في عرض مشكلته التي تتمثّل في تقدمه في السن وحلول الشيب محل شبابه ، ويتحدث عمّا ألمّ به من نكبات ، وجميل صبره عليها وتحمّله لها، وينتقل بعد ذلك إلى مدح الوليد بن عبدالملك ، بأسلوب رشيق ، مثنياً عليه ، ومؤيداً له ، ومعتزاً به.

ومن مطالعه الجميلة التي وفّق في اختيارها ، وجاءت مناسبة لأغراض قصائده قوله:[5]

عَرَفَ الدِّيـــارَ تَوَهُّماً فاعتادَهـــا   مـــن بعد ما شَمِلَ البِلى أبْلادَها

١- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء ص ٣١٠.

٢- د. يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ٢٦٩.

٣- انظر : العمدة : ٢١٧:١ ، قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص ٥١.

٤- ديوانه : ٢١٦، الأغاني ٢٨١:١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٨:١١ ،نهاية الأرب ٢٥٤:٤.

٥- ديوانه : ٨٢ ، الأغاني ٢٨١:١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٨:١١ ،نهاية الأرب ٢٥٤:٤.

وقوله :[1]

لِمَن المنازِلُ أقْفَـــــرَتْ بِغَـــباءِ   لو شِئْتُ هُيِّجَتِ الغداةَ بُكائـــي

وقوله : [2]

أتعرفُ الدّارَ أم لا تعـــرفُ الطَّلَلا   أجْل فَهَيِّجتِ الأحْزانَ والوَجَـــلا

وقوله : [3]

ألَمْ علـــى طَلَــلٍ عَفا مُتقادِمِ   بينَ الرُّكَيْكِ وبينَ غَيْبِ النّاعِـــمِ

وأستطيع القول إنه وفّق في اختيار معظم مطالع قصائده ، إذ أضاف إلى جمال المعاني ووضوحها جمالاً في الصياغة وجودة في السبك ، وزيّنها بما أودعه فيها من محسّنات لفظية كالجناس والطباق.

أما التصريع الذي اشترطه بعض النقاد في مطالع القصائد، فلا يكاد مطلع من مطالع قصائد عديّ يخلو منه ، وكأنه كان حريصاً على التصريع ، لأنه يضفي جمالاً وعذوبة على موسيقى الشعر ، ويرى قدامة بن جعفر أن الفحول والمجيدين من الشعراء يأتون بالتصريع في قصائدهم ،وربما كانوا يصرعون أبياتاً أخرى في القصيدة غير البيت الأول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره [4] ،ومثال ذلك في شعر عديّ قوله : [5]

بانَتْ سعادُ وأخْلَفَــتْ ميعادَهـــا   وتباعَدَتْ عنّا لِتَمْنَعَ زادَهـــا

واعتبر النقاد حسن التخلص شرطاً أساسياً في القصيدة الجيدة ، وكانوا يرون أن

١- ديوانه : ١٦١، معجم البلدان ، مادة غمر ، المنازل والديار ١:٣٨.

٢- ديوانه : ٧٣، الطرائف الأدبية ص ٨١.

٣- ديوانه : ١٢١، نهاية الأرب ٤:٢٤٠، شرح شواهد المغني ١:٤٩٢ ، شرح أبيات مغني اللبيب ٤:٩٧.

٤- نقد الشعر ص ٥١.

٥- ديوانه : ٨٦ ،الطرائف الأدبية ص ٨٨.

الشاعر المبدع هو الذي يحسن الانتقال من معنى الى معنى ومن موضوع الى موضوع في القصيدة الواحدة ، دون أن يشعر السامع بذلك الانتقال ، بسبب شدة الالتئام والانسجام والممازجة بين أجزاء من القصيدة ، فحسن التخلص من الأمور المحببة في القصيدة ، والدالة على قدرة الشاعر وبراعته [1] وحذقه وقوة تصرّفه وطول باعه [2].

وقد أحسن عدي وأجاد في انتقالاته من موضوع إلى موضوع في قصائده ، فهو من الشعراء المجيدين في التخلص من المقدمة إلى الغرض الأساسي في القصيدة ، ولا يتعثر في انتقاله من غرض إلى غرض ، ولا يقف عند غرض وكأنه انتهى منه ، ثمّ يبدأ فجأة بالغرض التالي ، بل ينتقل انتقالاً طبيعياً سريعاً ، حتى يكاد لا يشعر السامع بذلك الانتقال ، فلنستمع إلى حسن تخلّصه من مقدمة قصيدة يمدح بها الوليد بن عبدالملك [3] إلى أجزائها المختلفة ، فإنه افتتح تلك القصيدة بالمقدمة الطللية وانتقل بعد ذلك إلى الغزل فقال :

وَلَرُبَّ واضِحَـةِ الجبيـن فَريدَةٍ بَيْضاءَ قد ضربَـتْ بها أَوْتادَها
تَصْطادُ بَهجَتُهـا المعلَّلَ بالصِّبا عَرَضاً فَتَقْصِدُهُ ولنْ يَصْطادَهـا

وتخلّص من الغزل إلى وصف الظبية فقال :

كالظّبْيةِ البِكرِ الفريـدَةِ ترتعـي من أرضِها قُفّاتَها وعِهادَهـا

وتخلص من وصف الظبية الى الفخر فقال .

بانتْ سعادُ وأَخْلَفَـتْ ميعادَهـا وتباعَدَتْ عنّي لتمنَـعَ زادَهـا
إني إذا ما لمْ تَصِلنـي خُلّتي وتباعَدَتْ عنّي اغتفرتُ بِعادَهـا

١- العمدة ١ :٢٣٤.
٢- ابن الأثير ضياء الدين : الجامع الكبير ص ١٨١.
٣- الأغاني ١ :٢٨١ ، نهاية الأرب : ٤ :٢٥٤ ، الطرائف الأدبية ص٨٧.

ثم تخلص إلى مدح الوليد بن عبدالملك ، وهو الغرض الأساسي من القصيدة فقال :

صَلّـى الإلهُ علـى امرىءٍ ودّعتُهُ وأتمّ نعمتَهُ عليـه وزادَها

وهنا تتجلّى مقدرة عدي وبراعته في الانتقال من موضوع الى آخر في القصيدة الواحدة دون أن يشعر السامع بانقطاع الحديث.

وأبدع عديٌّ كذلك في تخلصه في عينيته التي مدح بها الوليد أيضاً [1] ،فبعد أن قدم لقصيدته بمقدمة الشيب انتقل إلى الغزل بصورة جميلة حيث يقول:

فإنْ تكنْ ميعةٌ مِنْ باطِـلٍ ذَهَبَـتْ وأعقَبَ اللهُ بَعد الصّبوةِ الوَرَعـا

فَقَدْ أَبيتُ أُراعي الخـودَ راقِـدَةً على الوَسائِدِ مَسْروراً بهـا وَلِعـا

وانتقل إلى الفخر ، ثم انتقل الى الغرض الرئيسي وهو المدح بقوله :

صلّى الذّى الصّلواتُ الطيّباتُ لـهُ والمؤمنونُ إذا ما جَمّعـوا الجُمَعـا

علـى الذّي سبق الأقوام ضاحيـةً بالأجرِ والحمْدِ حتّى صاحَباهُ مَعـا

وقد استخدم في بعض قصائده الأسلوب التقليدي في التخلص متبعاً نهج الجاهليين الذين كانوا يستخدمون بعض العبارات في الانتقال من غرض إلى غرض ، خاصة بعد فراغهم من وصف الصحراء وانتقالهم إلى وصف الناقة ، مثل قولهم (عدّ عن ذا) و(دع ذا) و(صرم الهم) وغيرها [2].

يقول عديّ متبعا هذا الأسلوب في تخلّصه من وصف الخمر الى وصف البرق :[3]

١–ديوانه : ٢١٦، الأغاني ٢٨١:١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٨:١١ ، نهاية الأرب ٢٥٤:٤.

٢– بناء القصيدة العربية ص ٢٩٤.

٣– ديوانه : ٢٢٣،معجم البلدان ، مادة أرانب.

فَدَعْ ذا ولكنْ هل ترى ضوءَ بـــارِقٍ   وميضاً ترى منهُ علــــى بعدهِ لَمَعا

ويقول منتقلاً من وصف الظعن الى وصف الناقة : [1]

أفلا تناساهـــــا بذاتِ بُرايَـــــــة   عَنْسٍ تجلُّ إذا السّفـــارُ براهـــا

ويقول في موضع آخر: [2]

فَصَـــــرِّمِ الهَمَّ إذْ ولّى بناجِيَـــــةٍ   عَيْرانَةَ لا تَشَكّى الأصرَ والعَمَـــلا

ونلاحظ أن استخدام عديّ لأسلوب التخلص التقليدي جاء في انتقالاته إلى وصف حيوان الصحراء أو وصف مظاهر الطبيعة .

ولم يكن اهتمام عدي بخاتمة القصيدة أقل من اهتمامه بمطلعها ، وهو يتفق مع النقاد العرب الذين أولوا خاتمة القصيدة عناية كبيرة ، ويرون أنها يجب أن تكون متصلة اتصالاً وثيقاً بموضوع القصيدة ، لأنها في عرفهم قاعدة القصيدة [3] ، ولأنها آخر ما يبقى في الأسماع ، فسبيلها أن تكون محكمة ، وأن تكون قفلاً كما كان المطلع مفتاحاً . وربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال ، فلذلك اشترطوا أن يكون اللفظ فيها مستعذباً والتأليف جزلاً متناسباً ، وأن تكون أجود بيت في القصيدة [4] ، وهذه بعض الأمثلة على حسن الخاتمة عنده :

يقول مختتماً مدحه للوليد بن عبدالملك بعد أن عدّد صفاته وأثنى عليه: [5]

١- ديوانه : ١٠٠، الطرائف الأدبية ص ٩٣.
٢- ديوانه : ٧٦، الطرائف الأدبية ص ٨٣.
٣-بناء القصيدة العربية ص ٣٠١.
٤- العمدة ١:٢٣٩.
٥- ديوانه : ٩٥ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١:٩ نهاية الأرب ٤:٢٥٧.

وإذا عَدَتْ خَيْلٌ تُبادِرُ غايَةً فالسّابُق الجالي يقودُ جيادَها

ويقول في ختام قصيدة أخرى : [1]

لا يمنع النّاسَ ما أعطى الذّين هُمُ لَهُ عِبادُ ولا يعطونَ ما منَعا

ويقول في ثالثة [2]

وإذا وَدِدْتَ فإنّ ودَّكَ نافعٌ ومن انتحطْتَ فليسَ منكَ بسالِمِ

وفي ختام مدحه لعمر بن الوليد بن عبدالملك يقول : [3]

والمرءُ يورثُ مجدَهُ أبناءَهُ ويموتُ آخرُ وهو في الأحْياءِ

أما طول قصيدته ووحدتها ، فيدل ما بين أيدينا من شعره على أن قصائده جاءت متوسطة الطول ، إذ بلغ تعداد أبيات أطول قصيدة له وصلت إلينا ثمانية وأربعين بيتاً ، ووصل بعضها إلى اثنين وأربعين بيتاً ، وقسم منها يتراوح بين عشرة أبيات وثلاثين بيتاً ، إضافة إلى مجموعة من المقطعات التي تتراوح بين البيت الواحد والتسعة الأبيات .

وعلى الرغم من اهتمام النقاد العرب بوحدة البيت في القصيدة العربية ، إلاّ أنهم لم يهملوا وحدة القصيدة ، ووجوب ترابط أجزائها . يقول ابن طباطا: « وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه ، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فصلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه ، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه » [4].

١- ديوانه : ٢٢٠، الأغاني ٢٨١:١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٨:١١ ، نهاية الأرب ٢٥٧:٤.

٢- ديوانه : ١٢٧ ، شرح شواهد مغني اللبيب ٤٩٢:١ ، شرح أبيات مغني اللبيب : ٩٧:٤.

٣- ديوانه : ١٦٣ ، الشعر والشعراء ص ٤١٦.

٤- ابن طباطبا : عيار الشعر ص ١٢٤.

ويقول : « وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ، ينسق به أو له مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قدّم بيت على بيت دخله الخلل» [1].

ويشبه الحاتمي القصيدة في وحدتها وتماسكها بجسم الإنسان في اتصال أعضائه بعضها ببعض [2] . ومن هنا تتضح لنا ضرورة وجود الوحدة والتماسك بين أبيات القصيدة ومعانيها وأجزائها ، حتى تبدو عملاً فنياً متكاملاً مترابطاً ، وإذا نظرنا في قصائد عدي المختلفة نجد أن الوحدة سمة من سماتها ، فهي مترابطة الأجزاء ، متّحدة المعاني ، مكتملة البناء ، على الرغم من احتوائها أكثر من فكرة وعاطفة ، ومثال ذلك قصيدته الدالية « عرف الدّيار توهّما فاعتادها » حيث انتظمت هذه القصيدة في عاطفة رئيسية واحدة هي مدح الخليفة الوليد بن عبدالملك، والدعوة لمذهب بني أمية السياسي والدفاع عنه ، على الرغم من تناولها موضوعات مختلفة كوصف الطلل والغزل والفخر ، واستطاع عدي أن يؤلف بين هذه الموضوعات المختلفة في عمل فنيّ متكامل.

وأما في قصائده متوسطة الطول ومقطوعاته ، فقد طرق موضوعاً واحداً في الغالب، وتحدث عن شيء معين ، محاولاً إيصال ما يريد إلى سامعيه دون استطراد أو إطالة بأسلوب واضح بيّن . وهذا ظاهر في مدائحه التي أنشأها في عمر بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز ووصف الخيل والفخر والحماسة ، إذ كان يطرق موضوعه مباشرة دون مقدمات.

ونستطيع القول إن عديّاً لم يجد أمامه سوى النماذج الشعرية الجاهلية الموروثة ، فأكّب على درسها ، واستوعبها من مختلف جوانبها ، فأخذ من عناصرها ما وجده مناسباً ، ونسج قصائده على غرارها ، وقد فتح الدين الإسلامي أمامه آفاقا كثيرة لم تكن مفتوحة أمام شعراء الجاهلية ، فمزج بين ما استفاده من عناصر جاهلية وعناصر إسلامية .

١- عيار الشعر ص ١٢٥.

٢- العمدة ٢:١١٧.

الروح القصصية في شعره:

وفي معرض حديثنا عن بناء القصيدة عند عدي لا بد لنا من التطرق إلى الروح القصصية التي سادت في قصائده الطويلة ، وقد مر ذكر تلك القصص والصور في عرضنا لأغراض شعره عند وصف الناقة والخيل والقطاة[1] ، حيث أورد قصة رحلته الشاقة في الصحراء على ظهر ناقته التي شبهها بالحمار الوحشي وأتانه ، وذكر لنا قصة فقد البقرة الوحشية لولدها وأكل السباع له ، وكيف جف حليب ضرعها عندما يئست من العثور عليه حياً ، وقد عثرت على أشلائه ودمائه متناثرة فوق الرمال ، فباتت ليلتها حزينة ثكلى ، يقول في هائيته[2]:

وغَدَتْ تُنازعه الجديـــلَ كأنّهـــا ... بَيْدانةٌ أكـــلَ السّباعُ طَلاها

حتى إذا يَئِسَـــتْ وأسْحَـــقَ حالِقٌ ... ورأَتْ بقيةَ شِلوِه فَشَجاهـــا

قلقتْ وعارضَها حصان نحائـــص ... صحل الصهيل وأدبرتْ فتلاهـــا

يَتعاوران مـــن الغـــبار ملاءَةً ... بيضاءَ مخملةً هما نَسَجاهـــا

تُطوى إذا عَلَوا مكانـــاً جاسياً ... وإذا السنابكُ أسهلتْ نَشَراهـــا

فألحَّ واعتزمتْ عَلَيْـــهِ بِشأْوهـــا ... شَرَفَيْنِ ثُمَّتَ ردَّها فَثناهـــا

بَسَرارَةٍ خَفَشَ الربيـــعُ غثاءَها ... حواءُ يزدرُع الغَميرُ ثراهـــا

فتصيّفاها يَصبَحان كلاهُمـــا ... لِثَرى الجحافِل من وكيـــف نَداها

١- انظر ص ٧٧ وما بعدها من هذه الدراسة.

٢- ديوانه : ١٠٥.

حتىّ اصْطَلى وهج المقيظ وخانَــه   أبقى مشارِبَهُ وشابَ عُثاهــــا

ونوى القيام على الصّوى فَتَذكَّــرا   ماءَ المناظِرِ قُلْبُها فَأَضاهــــا

فأرنَّ تارتها إذا عَرَضَتْ لَـــــهُ   بيداءُ ذاتُ مخارم عَسَفاهــــا

حتـــــى تأوَّب ماءَ عينٍ زَغْرَبٍ   يَبْغي الضفادع في نقيع صَراهــا

فتزوَّدا نَفْسَيْن ثم تولّــــــيا   فَرِحَيْنِ غب الري أن يَرَياهــــا

وهنا تتجلى براعة النسج القصصي عند عدي ، فقد عرض حمار الوحش للأُتان الثكلى المضطربة التي فقدت وليدها ، فلما رأته هربت منه ، فلحقها وتعاركا طويلا حتى نسجا دائرة من الغبار حولهما ، وألح عليها الحمار ، إلا أنها تمنعت ، وفي النهاية تمكن منها ، وعاشا في وادي سرارة الخصيب فصل الربيع يأكلان من عشبه ويشربان ماءه ، وعندما جف العشب ونضبت المياه ، أخذ هذا الحمار يبحث عن مكان آخر آمن ، فتذكر ماء المناظر المحفوف بالمخاطر ، وقد عدل عن الرحلة إلى تلك البقعة ، وآثر الصبر على شظف العيش ومصاعب الحياة ، حتى عاد الماء إلى تلك البقعة بغزارة.

ونلاحظ في هذه القصة دقة الوصف وجمال السرد ، وتتابع الأحداث بسلاسة على لسانه ، وهو يقلد شعراء الجاهلية الذين ما فتئوا يذكرون هذه القصة في أشعارهم ، ليصفوا العناء والتعب الذي لحقهم جراء رحلتهم في الصحراء.

وننتقل إلى قصة أخرى من القصص التي شاعت عند عدي ، وهي قصة القطاة التي شبه ناقته بها ، فهذه القطاة تعيش في أرض قاسية صعبة ، يكثر فيها نبات القفعاء والبقل، وقد بَنَتْ عشها (أفحوصها) ووضعت بيضها في أرض سبيع الخشنة بين نبات الشيح الذي يملأ هذه البقعة لتحمي صغارها ، إذ لا يعيش فيها سوى هذا الطير لصعوبتها ، وكانت القطاة تجلب الطعام والشراب لصغارها من أرض بعيدة ، فهي تكابد العناء والتعب ، من أجل صغارها ،

وهنا تتجلى صورة الحنان والأمومة عند هذا الطير ، فهو يشبه المرأة التي تحضن رضيعها بحنو وحب عظيمين ، يقول عديّ[1]:

كأنّهـــا وهـــي تحت الرَّحْل لاهِيَةً   إذا المطيُّ على أنقابه ذَمَــــلا
جَوْنيّةٌ من قطا الصَّوان مسكنُهـــا   جَفاجِفُ تُنْبِتُ القَفْعاء والبَقَـــلا
باضَتْ بحزمِ سُبَيْــع أو بمرفِضِـــهِ   ذي الشِّيح حيثُ تلاقى التلع فانسحلا
تروي لأزغَبَ صيفيٍّ بمهلكــــةٍ   إذا تكمشَّ أولادُ القطا خــذلا
تنوش من صوةِ الأنهار تطعمــه   من التهاويل والزباد ما أكــــلا
تضمنه لجناحيهـــا وجؤجئهـــا   ضمَّ الفتاةِ الصَبيَّ المعيل الصَّغِـلا

أما قصة الحياة والموت وفلسفتها فتبدوا عند عدي بن الرقاع ظاهرة جلية في حديثه عن قصة الإنسان وحياته ومماته بأسلوب فلسفي بحت ، سبق به أبا العلاء المعري بقرون ، يقول عدي[2]:

والمرءُ ليسَ وإن طالـــتْ سلامتُهُ   يَدْري الذي هو لاقٍ قَبلَ أن يَقَعـا
ما يُقْلعُ المرءُ يستقري مضاجِعَـــهُ   حتى يقيمَ بأقصاهِنّ مُضْطجَعـــا
والأرضُ غائلةٌ للنّاس مُهلكــــةٌ   فما ترى أحداً من أهْلِها امتَنَعـــا
حتى إذا استرطت جيلاً بأجمعهِـــمْ   لاقي الذي بعدَهُمْ من أهلها جشعا
وليس يأكل مما أنبتتْ أحـــــدٌ   ولو تَقَلَّبَ فـــي الآفاق وانتَجَعَـا
إلاّ تكون لــــه غولاً فتهلكُـــهُ   كأنّما كان زادا غصَّ فابتلعـــا

١- ديوانه : ٧٨ ، الطرائف الأدبية : ٨٤ ، معجم البلدان : مادة سبيع.

٢- ديوانه : ٢١٧.

وما يريدونَهَا عَرَضاً وإن أكلـــــتْ منهمْ كثيراً ولا رياً ولا شَبَعــــا
وما ترى ميتاً يحيـــــا فتسألُـــــهُ ولا الشّباب إلى ذي شيبة رَجَعـا
وما يؤخر موتاً عـــــاجلاً هَرَبٌ ولا تعرُّض بأس زاده سَرعـــــا
وما الحياة لإنْسيٍ بدائمـــــــــةٍ ولو تزّود من لذّاتها مُتَعـــــا
لو أخطَأَ الموتُ شيئاً أو تخطَـــــأهُ لأخَطَأَ الأعْصَمُ المَستوْعِلُ الصّدعا

فالإنسان لا يدري ما يخبيء القدر له ، ولا بد لهذه الأرض من أن تضم في باطنها أجساد الناس، حيث لن يتمنع عليها أي شخص ، فهي تحصدهم جيلاً بعد جيل ، ومهما وضع في باطنها فإنها لن تشبع ولن تروى ولن يزداد عرضها أو طولها.

والأموات لن يعودوا إلى هذه الحياة الدنيا تماماً كما أن الشباب إذا ولّى فلن يعود لصاحبه مرة أخرى .. ومهما حاول الإنسان الهرب فإن الموت لا بد قاض عليه ومدرك له ، فهذه الحياة زائلة ، والموت لا يخطيء أحدا أبدا.

ونلاحظ أن عدياً قد أبدع في عرض أفكاره ونسج قصصه بأسلوب سلسل وشيق.

اللغة:

جاء شعر عديّ بلغة سليمة فيها قوة وجزالة ، وعبارة متينة محكمة الصنع ، وتباينت ألفاظه بين الوضوح والغرابة ، وتراوحت معانيه بين السهولة والتعقيد حسب قرب الموضوع الذي يطرقه أو بعده عن حياة البادية ، فاختلاف الموضوعات المتناولة له أثر واضح في الألفاظ، «فالألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منها موضوع يحسن استعمالها فيه ، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب ، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد ، وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه وذلك »[1].

فالألفاظ مرتبطة بموضوعات الشعر ، ومختلفة باختلافها ، فللمديح ألفاظ جزلة شديدة التأثير ، يقول ابن رشيق في حديثه عن قصيدة المديح : «وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك الإيضاح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقيّة غير مبتذلة سوقية»[2] . وللغزل ألفاظ تمتاز بالرقة واللين والسهولة في غير ابتذال ، وللوصف ألفاظ تمتاز بالقوة والجزالة ، إلى غير ذلك من الموضوعات.

ولا يتوقف الاختلاف في الألفاظ على الشاعر نفسه أو على الموضوعات التي يتناولها فقط، بل إن العصر الذي يعيش فيه الشاعر لا بدّ أن يترك آثاراً واضحة في أسلوبه وألفاظه ، ولعديّ ألفاظه الخاصة التي شكّل منها أنماطا تعبيرية جعلته يختلف فيها عن غيره ، والدارس لشعره يلحظ أن قصائده ومقطوعاته التي تتصل بالطبيعة كهائيته[3] التي يتحدث فيها عن حيوان الصحراء أو بائيته[1] ورائيته[2] في الخيل أو حديثه عن السحب والمطر والبرق وأوصافهما[3] في بعض مقطوعاته ، يلحظ أن الغرابة تطغى على ألفاظها ، والغموض يخيّم

١- ابن الأثير ضياء الدين : المثل السائر ١٦٨:١.

٢- العمدة ١٨٢:٢.

٣- انظر : الطرائف الأدبية ص ٩٢.

على بعض معانيها ، ويصعب تفسير كثير من تلك الألفاظ بدون الرجوع إلى معجمات اللغة ، وفي بعض الأحيان لا تعطي المعجمات اللغوية المعنى الدقيق الذي أراده الشاعر ، وإذا كانت الألفاظ التي تتصل بوصف حيوان الصحراء ومظاهر الطبيعة الأخرى سمة من سمات فن الوصف، ولا بدّ للشاعر من استعمالها عند وصف الإبل والخيل وغيرها من تلك المظاهر (٤) ، فإن الألفاظ الغريبة التي نجدها في شعر عدي لم ترد عفو الخاطر ، بل اختارها اختياراً ، وهو كغيره من الشعراء الذين تعرضوا لتلك المظاهر بالوصف، وجاءت أشعارهم فيها غريبة.

وعلى الرغم من قضاء عديّ شطراً كبيراً من حياته في كنف الوليد بن عبدالملك ، وحياة الترف التي كان يعيشها في قصور الأمويين ، إلاّ أن قرب عهده من الحياة الجاهلية ورواج الألفاظ الغريبة في عصره الذي ازدهر فيه جمع اللغة وتدوينها ووضع قواعد نحوها واقبال العلماء على هذا النمط من المفردات (٥) ، كل هذه الأمور ساعدت على انتشار الألفاظ النادرة في شعره ، ومما يجدر ذكره أن لغة الوصف التي تتعلق بحيوان الصحراء ومظاهر البيئة المختلفة كانت تمتاز بالصعوبة والغرابة منذ العصر الجاهلي إلى أواخر العصر الأموي ، مما أدى إلى محافظة هذا الفن على مصطلحاته ومفرداته وأصبحت الغرابة سمة من سماته المميزة .

لقد عمد عديّ إلى اختيار بعض الألفاظ الضخمة ذات الجرس القوي ، والألفاظ النادرة الاستعمال ، مما حفز اللغويين إلى اختيار كثير من الشواهد اللغوية من شعره ، وأكثروا من الأخذ عنه ، وإذا عدنا إلى الشواهد التي أتوا بها وتداولوها في كتبهم ومعجماتهم ، يتضح

١- كتاب الخيل ص ١٤٤.

٢- كتاب الخيل ص ١٤٤.

٣- انظر : معجم البلدان ، مادة مزاهر ، الحشا ، عظام ، غريقة .

٤- أساليب الصناعة في شعر الخمر والاسفار ص ٥٤.

٥- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ص ١٨.

لنا مدى إيثارهم لشعره واعتمادهم عليه ، إذ كانوا يقعون فيه على اللفظة النادرة ذات الجرس القوي مثل مجرنشما [١] ، واحزأل صواها [٢] ، واتلأب [٣] ، وحرود [٤] ، ومصمعات [٥] ، وتجلجل [٦] ، وغيرها كثير ، وقد أورد له ابن منظور على سبيل المثال خمساً وتسعين بيتاً من الشعر ، وزّعت على خمس وستين مادة [٧].

وعديّ يعمد في غزله إلى اختيار الألفاظ الرقيقة المأنوسة ، التي تتصف بحلاوة المعنى والجرس ، فخلت أبياته الغزلية من الغريب ، واتسمت بالوضوح والسهولة ، وقد تصل لغته في بعض الأحيان إلى السهولة الشديدة القريبة من اللهجة المحكية ، كمقطوعته في تهنئة عبدالملك ابن مروان بزواج عبدالعزيز بن الوليد من أم حكيم [٨] ، فالفاظه فيها تقترب من لغة الحياة اليومية ،ولكنه لم يهبط بها إلى مستوى العامية .

واتسمت لغته في المديح بالجزالة والرصانة ، فابتعد عن الألفاظ الغريبة المعقّدة ، وكانت معانيه مناسبة مستقيمة ، وبدت براعته في قدرته على اختيار الألفاظ المناسبة في عبارات سليمة مؤثرة ، فهو ينتقي اللفظة انتقاء ليعبّر بها عمّا يجول في صدره . وإذا استعرضنا داليته [٩] (عرف الديار توهما فاعتادها) في مديح الوليد بن عبدالملك على سبيل المثال ، وجدنا ألفاظها مألوفة مأنوسة ، إذ لا تصادفنا فيها لفظة غريبة حوشية، وينطبق الحكم نفسه على بقية مدائحه

١- مجر نشماً : مجتمعاً ، منقبضاً.
٢- احزآل صواها : ارتفعت الأحجار من السراب.
٣- اتلأب : استقام وامتد.
٤- حرود : أمعاء.
٥- مصمعات : بعرات.
٦- تجلجل : تقل.
٧- د. ياسين الأيوبي : معجم شعراء لسان العرب ص ٢٧٩.
٨- عيون الأخبار ٦٩:٣ ، الأغاني ٢٠٩:١٦.
٩- الطرائف الأدبية ص ٩٠.

[1].كما كثرت الألفاظ الدينية في مديحه كثرة واضحة ، وذلك ليعطي قيمة كبيرة لممدوحه ، وتبدو هذه الظاهرة بيّنة في ميميته التي مدح بها عمر بن عبدالعزيز [2] ، حيث عدّد فيها خصاله الإسلامية الحميدة ، كما عدّد نعم الله التي أسبغها على المسلمين بتوليّه الخلافة ، وتكثر الألفاظ الدينية أيضاً في مدائحه في الوليد بن عبدالملك وفي دفاعه عن الخلافة الأموية .

وعلى ذلك نستطيع ان نقسم شعر عدي إلى قسمين:

الأول: المألوف المأنوس الذي يجاري فيه روح عصره ، فلا تختلف ألفاظه عن ألفاظ معاصريه من الشعراء ، ويشمل المديح والفخر والغزل ، وهو واضح سهل يقل فيه الغريب ويمتاز بأسلوبه الشعري الرقيق ، وجزالة ألفاظه وقوة تعبيره وهو الأكثر الأعم في شعره .

والثاني: وهو يحفل بطائفة من الألفاظ الغريبة أو الشاذة أو المهجورة ، واستعماله لها يحمل طابع التقليد للجاهليين سواء من حيث المفردات وغرابتها وصعوبتها ووحشيتها ، أم من حيث الموضوعات ، فأبياته التي تتصل بوصف البيئة الصحراوية وحيواناتها ، لا يكاد بيت منها يخلو من الألفاظ الغريبة .

وتناثرت في شعره ألوان من البديع كالجناس والطباق والتقسيم ، وهي تدل على مهارته وحسن استخدامه لها ، وتضفي على شعره جمالاً وروعة ، وتعين في تزيين الصورة التي يريد أن ينقلها إلى السامع ، إلاّ أنه لم يكن شديد الحرص على استخدامها ، فلم يقصد إليها قصداً ، وإنما جاءت عفو الخاطر ، فاهتمامه كان منصباً على معانيه وصوره الشعرية التي أبدع في نسجها إبداعاً ظاهراً.

فمن الجناس قوله مجانساً بين «ثوى والثواء» ، وهو من جناس الاشتقاق :

١- انظر الشعر والشعراء ص ٤١٦، الأغاني ١:٢٨١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ٨:١١ ، نهاية الأرب ٤:٢٥٤.

٢- لسان العرب : مادة عملس.

لَوْ ثوى لا يَريمُها ألــــــفَ حَــولٍ   لـــــمْ يَطُلْ عندَها عليهِ الثّواءُ [1]

وقوله مجانساً بين « المساميح وسماحة » [2]:

غلبَ المساميحَ الوليدُ سماحـــــــةً   وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَهـــا

وجانس بين «غيثاً وأغاث» في قوله : [3]

نزلَ الوليدُ بها فكـــــــان لأهْلِهـــا   غَيْثاً أغاثَ أنيسَهـــا وبِلادَهـــا

وجانس بين «راحت وراح» في قوله : [4]

راحَتْ وراحَ مـــــن الفلاةِ فأصبَحـا   بمجامعِ التَّلعاتِ فوقَ الضُلْضُـــــلِ

وجانس بين «صلّى والصلوات وجمعوا والجمعا» في قوله : [5]

صلّى الذّى الصلواتُ الطيّباتُ لـــــهُ   والمؤْمنونَ إذا ما جَمّعوا الجُمعَـــا

وجانس بين «عوتب ويعتب» في قوله : [6]

إذا ما منافِقُ أهلِ العِـــــــــراقِ   عُوتِبَ ثَمّتَ لـــــمْ يُعْتَـــبِ

وجانس بين «قضى وقضاء» في قوله : [1]

١- الشعر والشعراء ص ٤١٦.
٢- الطرائف الأدبية ص ٩٠.
٣- الطرائف الأدبية ص ٩٠.
٤- معجم ما استعجم ، مادة ضلضلة.
٥- الأغاني ١:٢٨١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١:٨ ، نهاية الأرب ٤:٢٥٤.
٦- أنساب الأشراف ٥:٣٤٢ ، الأغاني ٩:٢٩٥.

وإذا قضى فَصَلَ القضاءَ فلمْ يُمِـــلْ قُربى عليه ولا ملامَـــةَ لائِـــمِ

وجانس بين «مسبوقاً وسباقاً» في قوله : [٢]

فما عَزَلوكَ مَسْبوقاً ولكـــــنْ إلى الخيراتِ سبّاقاً جـــــوادا

وقوله : [٣]

أَهَمٌّ سرى أم غـــارَ للغيـــثِ غائِرُ ام انتابَنا من آخر الليلِ زائـــــرُ

والأمثلة على الجناس في شعره كثيرة.

واستخدم ضروباً من الطباق في شعره ، فطابق بين أيمنه وأيسره في قوله:[٤]

فأصابَ أَيْمَنُهُ المزاهِـــرَ كُلّهـــا وَأَقْتَمَ أَيْسَرُهُ أثيدةَ فالحثـــى

وطابق بين تقارب وتناء في قوله : [٥]

والدّهْرُ يفرقُ بينَ كلٌ جماعَـــةٍ ويلفٌ بين تقـــاربٍ وتناءِ

كما طابق بين القمر والشمس وغاب وطلع في قوله : [٦]

قمرُ السّماءِ وشمسُها اجْتَمَعـــا بالسّعدِ ما غابا ومـــا طَلَعـــا

١- شرح شواهد المغني ١:٤٩٢.
٢- الأغاني ٩:٣٠٧.
٣- معجم البلدان : مادة دلوك.
٤- معجم البلدان : مادة مزاهر ، الحثا.
٥- حلية المحاضرة ٢:٢٣٢ ، لسان العرب : مادة فرق (تباعد).
٦- عيون الأخبار ٣:٦٩ ، الأغاني ١٦:٢٠٩

وطابق بين بؤس وأنعم في قوله : [1]

فإن تَعْدُونّا الجاهليـــــــة إنّنـــــا لنحدثُ في الأقوامِ بُؤْسا وأنْعُمـــــا

وطابق بين جلّة بمعنى مسنة وبين فتاء جمع فتية في قوله :

يَحْسَبُ النّاظرونَ ما لـــــــم يَفَرّوا أنّها جِلّةٌ وهـــــنّ فِتـــــــاءُ

وطابق بين غر وأشيب في قوله : [2]

ظَلَلتُ أُريها صاحِبِيّ وقـــــدْ أرى بها صاحبـــــــاً من بينِ غرٍّ وأشيبَا

وفي شعره أمثلة وافرة من الطباق.

ومن التقسيم الذي ورد في شعره قوله : [3]

قُضاعِيَّةُ العَيْنَيْن كنديّـــــةُ الحَشـــــا خُزاعِيَّةُ الأطْرافِ طائيّة الفَـــــمِ

لها حُكْمُ لقمانَ وصورةُ يوســـــفٍ ومنطقُ داودَ وعفّـــــــةُ مَريَـــمِ

وزواج بين التقسيم والطباق في قوله : [4]

وكَفُّكَ سَبْطَةٌ ونـــــــداكَ ســـحٌّ وانتَ المرءُ تَفْعَـــــلُ ما تقـــولُ

كما زواج بين الجناس والطباق في قوله : [5]

أطفأتَ ناراً للحروبِ وأُوقـــــدَتْ نارٌ قدحَت براحتَيْك زنادِهـــــا

والأمثلة على ألوان البديع المنتشرة في ثنايا شعره كثيرة ، يستطيع من يستعرضها أن

١- معجم البلدان : مادة الملا.

٢- معجم البلدان : مادة شابك.

٣- ربيع الأبرار ٤:٢٩١.

٤- الموازنة ١:٤٧

٥- الطرائف الأدبية ص ٩١

يلمس تأنيه وتأنقه في استخدامها لإضفاء لون من النغم والموسيقى العذبة والجمال على شعره.

وأخذت على شعره بعض المآخذ ، يرجع قسم منها إلى الخطأ في المعنى اللغوي ، أو عدم التوفيق في اختيار اللفظ المناسب ، فمما عابه الأصمعي عليه قوله : [1]

لَهُـــــــمْ رايَةٌ تَهدي الجموعَ كأنَّها   إذا خَطَرَتْ في ثعلبِ الرّمـــح طائرُ

وقال : الراية لا تخطر ، وإنما الخطران للرمح.

واعتبر الآمدى قوله :

وكفُّك سَبَطةٌ ونداكَ ســـــــــحٌّ   وأنتَ المرءُ تفعـــــلُ ما تقـــولُ

من خطأ الشعر « إذ جعل ربّه مرءا» [2].

١- الموازنة ١:٤٧ ، الصناعتين ص٩٠.

٢- الموازنة ١:٤٧.

الصورة الفنية :

لعديّ مقدرة فذّة على رسم الصورة الشعرية ، فقد تفنّن في عرضها ، وكان يحبّر فيها مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب ، بتأن ورويّة ، ثمّ يدقق في أجزائها ويستقصي عناصرها . فجمع في صوره كل ما يمكن أن يجمع في الصورة الفنية المتقنة ، وهيأ لها عناصر الجمال اللازمة وأبدع في مزج ألوانها حتي خرجت على أكمل وجه وأتمه.

وعلى الرغم من تنوع صوره الشعرية ، فإن أهم مصدر لها هو الطبيعة التي تمثّل واقع بيئة الشام الجميلة التي عاش فيها وتنقل في ربوعها ، فاستمدّ منها عناصر صوره ، واعتمد في تشكيل صوره على التشبيه والاستعارة والكناية.

وشعره يقترب من طبيعة الشعر الجاهلي كلما رسم صورة من الصور التقليدية كحديثه عن الأطلال وحيوان الصحراء وغيرها مما يتصل بمظاهر الطبيعة . وهو يستعين في رسم تلك الصور بالعناصر القديمة ، ويعمد إلي التفصيل في الوصف والتنسيق في العرض ، فإذا وقف يصف الناقة يرسم لها صورة كاملة واضحة المعالم متقنة الصنع ، ويتخذ من التشبيه الاستطرادي وسيلة لذلك ، فلا يدع جزءاً ولا عضواً من أعضائها إلاّ يضعه في مكانه المناسب، ويوجه عنايته إلى وصفها وصفاً داخلياً ، ويضفي عليها جواً من الحركة والحيوية [1] . وفي رسمه لصورة الحمار الوحشي وأتانه ، يظهر اضطراب الأتان وقلقها على ولدها ، ويبين فاجعتها عندما يتركها تعثر على اشلائه متناثرة فوق الرمال ، مستعينا بالصور الجاهلية ، ويبدع في تفجير مشاعر الأمومة والتعبير عن حسرة الفقد والثكل التي أصابت الأتان [2] . وفي رسم صورة الفرس [3] يستعين بما اكتسبه من الشعر الجاهلي ، ونلمس مقدرته الفذة على تشكيل

١- انظر الطرائف الأدبية ص ٩٣.
٢- انظر الطرائف الأدبية ص ٩٥.
٣- كتاب الخيل ص ١٤٤.

صوره من خلال قراءتنا لمقطوعاته في الخيل ، إذ أبدع إبداعاً كبيراً في إضفاء الحركات النفسية الداخلية والحركات الخارجية المليئة من الحيوية عليها ، ولا نشكّ في أن أسلوبه في رسم صوره هو الذي دعا النقّاد إلى استحسانها والتنويه بها.

واعتمد في تشكيل كثير من صوره على التشبيه الذي يعتبر أسهل الوسائل التصويرية وأكثرها ملاءمة للبيئة المادية ، ليظهر العلاقة بين المشبه والمشبه به ، ويبين بعض الصفات المشتركة بينهما ، ونلاحظ أن صوره التي تقوم علي التشبيه لا تسير على نمط واحد ، فالتنوع والتجديد سمة من سماتها ، وربما كانت إجادته في التشبيه وبراعته في نسجه من العوامل التي ساعدت على خلود شعره وذيوعه بين الناس . يقول ابن قتيبة : «ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنه يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه»[1].

وعديّ يحسن انتزاع التشبيه من بيئته المادية ، فإذا أراد أن يصور عظمة جيش عبدالملك بن مروان الذي جنّده لمحاربة مصعب بن الزبير ، يشبه حركته وضجيجه بضجيج القطا المتوافر على أرض كثيرة الخير . يقول :[2]

كأنّ رُغاهُمُ إذا مـــــا غَـــدَوْا ضجيجُ قطا بلــــدٍ مخصــبِ

فصورة القطا التي شبّـه الجيش بها منتزعة من البيئة

وإذا أراد أن يبين قوة فرسه ومتانته يشبهه بالحبل المفتول شديد القوة ، يقول :[3]

أُمِرّتْ حوامِــلُ أَوْصالِـــهِ كماَ تستْمرّ قوى القِنّـــبِ

١- الشعر والشعراء ص ٢٧.

٢- أنساب الأشراف ٥:٣٤٢ ، الأخبار الطوال ص ٣١١ ، تاريخ الأمم والملوك ٦:١٥١.

٣- الخيل ص ١٤٤.

ويقول : [1]

فهو طافٍ أقبّ كالمسدِ الأمْلَـــــس عاري الشـــوىُ مَمرٌّ مغــــارُ

وصورة الحبل منتزعــة من الواقع المادي المحســـوس.

ويشبه أمعاء ناقته أيضاً بالحبل المشدود في قوله : [2]

بُنِيتْ على كرشٍ كأنَّ حُرودَهـــا مُقَطٌ مُطَواّة أمرّ قوا هـــــا

ويشبّه بطنها وجوفها ببئر واسعة يتردد الصدى في أنحائها [3]:

في مُجْفرٍ حابي الضّلوع كأنّـــهُ بئرٌ يجيبُ الناطقينَ رجاهــــا

ويصور ظلمة ليله وطوله بقوله : [4]

وكأنَّ ليلي حينَ تَغْـــرُبُ شَمْسُــهُ بسواد آخرَ مثلـــه موصـــولُ

ارعى النّجومَ إذا تغيَّبَ كوكـــبٌ أبصرتُ آخـــرَ كالسّراج يِجولُ

فهو يصوّر طول الليل ، وكأن الليالي متصلة عنده ، وما أن يغيب كوكب حتى يظهر كوكب آخر، ويشبه النجوم في بريقها وضوئها بالسراج المضيء المضطرب.

وصورة أخرى منتزعة من البيئة يوردها عدي في شعره ،حيث يشبه الناس في اختلافهم عن بعض بالعيدان في قوله : [5]

أخبر النفس إنما النّاسُ كالعيـــدا نِ مـــنْ بين نابتٍ وهشيم.

وكثيراً ما يشبّه نفسه بشارب الخمر الذي أخذت منه كل مأخذ ، فتركته صريعاً

١- كتاب الخيل ص ١٤٤.

٢- الطرائف الأدبية ص ٩٢.

٣- الطرائف الأدبية ص ٩٢.

٤- التيفاشي : سرورا لنفس ص ٢٨، سمط اللالي ١:٣٠٩ ، نهاية الأرب ١:١٣٩.

٥- معجم البلدان ، مادة هزيم .

كقوله:[1]

فكأنّي من ذكركُمْ خالطَتْنــــــي   من فلسطينَ بنتُ كـــرم عقــارُ

وقوله : «أميدُ بها كأني شارب» وقوله : «كشارب الخمر لا تشفى لذاذته»،

وقوله : « كأني من هواهم شارب سدم » .

وهكذا تمضي تشابيه عدي قوية الإيحاء ، حسيّة الأُصول في أكثرها ، مستمدة من الطبيعة، وهو يحاول تجسيم صوره ليقربها إلى خيال السامعين وتصورهم.

ولعديّ بعض الصور القائمة على الاستعارة ، وهو يكشف بذلك عن مدى قوة خياله، ذلك لأن الاستعارة أمعن في الخيال من التشبيه ، وهي أول المجاز [2] ، وتتطلب عقلية ناضجة .

فمن استعاراته البارعة قوله : [3]

كانتْ رواحِلَ للقـــدورِ فَعُرّيتْ   منهنّ واستلبَ الزّمانُ رمادَهــا

وقال مشبها البهجة بصائد يتربص بفريسته : [4]

تصطادُ بهجتُها المعلّلَ بالصـــبّا   عرضاً فتقصدُهُ ولن يصطادَهــا

وقال في الليل : [5]

تربَّص اللّيلُ حتّى قلّ سائِمُـــهُ   على الرّويشدِ أو خرجائهِ يَــدقِ

فالليل يتربص .

١- معجم البلدان ، مادة فلسطين.

٢- العمدة ١:٢٦٨

٣- الطرائف الادبية ص ٨٧.

٤- الطرائف الأُدبية ص ٨٧.

٥- سمط اللالي ١:٤٤٥.

وقال : [1]

فكم تري من قويّ فـــكّ قوّتــه طول الزّمان وسيفاً صارماً نحــلاً

فالسيف يصيبه الهزال كما يصيب الكائنات الحية

والأمثلة على الاستعارة في شعر عدي كثيرة.

ومن الصور المجازية التي استخدمها في شعره الكناية ، وحسن التعبير بالكناية يدلّ على مقدرة بلاغية عالية لدى الشاعر وهي تحقق لوناً من ألوان الجمال.

فمن كناياته قوله : [2]

كأنَّ ثناياها بنــــاتُ سحابَــــةٍ سقاهُنَّ شؤبوبٌ من اللّيلِ باكِــــرُ

وقوله: [3]

من لَدُنْ أن أجنَّني الليلُ حتـــــى فضحَ الصبحُ واضحاتِ النُّجــومِ

كناية عن طلوع الفجر .

وقوله في الوليد بن عبدالملك : [4]

أطفأتَ ناراً للحروبِ وأوقِـــدَتْ نارٌ قدحتَ براحتيكَ زِنادَهـــا

وقوله : «بنت كرم» كناية عن الخمر.

ولعدي صور بادية الروعة بالغة الجمال ، أعجب النقاد بطائفة منها ، وأصدروا أحكامهم عليها ، مبينين المنزلة الشعرية التي يحتلها عدي بين شعراء عصره ، فمن الجمال

١- الطرائف الأدبية ص ٨١.
٢- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ٢:٥٠٢ ، معجم البلدان ، مادة دلوك.
٣- الرازي أبو حاتم : كتاب الزينة ٢:١٧٢.
٤- الطرائف الأدبية ص ٨٨.

والروعة بمكان تشبيهه قرن الغزال بقلم غمس في دواة حبر ، فأصاب بعض المداد منها ، يقول: (١)

تزجي أغَنّ كأنّ إبـــــرةَ روقِـــــهِ قَلَمٌ أصابَ من الدّاوةِ مدادَهـــــا

فهو يذكر المشبه والمشبّه به وأداة التشبيه ولا يذكر وجه الشبه ليترك لخيال السامع حرية تصور هذا المنظر .وكان هذا التشبيه مدعاة لحسد جرير له في مجلس الوليد بن عبدالملك.

يقول أبو الفرج : (٢) «قال جرير : سمعت عديّ بن الرقاع ينشد الوليد بن عبدالملك قصيدته التي أولها «عرف الديار توهماً فاعتادها » ، فحسدته على أبيات منها ، حتى أنشد في ظبية وغزال « ترجي أغن كأن إبرة رَوْقهِ »، فرحمته من هذا التشبيه وقلت : بأي شيء يشبهه ترى ؟ فلما قال « قلم أصاب من الدواة مدادها» رحمت نفسي منه وحالت الرحمة حسداً.

فعلى الرغم من أن جريراً كان من فحول شعراء العصر الأموي ، نراه ينفس على عديّ تشبيهه هذا لروعته وجماله ، وقد عدّه ابن المعتز من عجائب التشبيه أيضاً (٣).

وأعجب بجماله ابن عبد ربه (٤) والثعالبي (٥) وابن ناقيا البغدادي (٦) ، وقال السيوطي عنه : (٧) « أحسن حين شبّه به قرن الريم ، وهو أمضى بيد الكاتب من السيف بيد الكمي».

ونقله عديّ بصورة أخرى حين شبّه آذان الخيل وهي خارجة من المعركة بأطراف

١- الطرائف الأدبية ص ٨٨.
٢- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ٢:٩٤ ، معجم الشعراء ص ٨٧ ، أسرار البلاغة ص ١٤٠، الحلبي شهاب الدين : حسن التوسل الى صناعة الترسل ص ٢٦٠، ابن ناقيا : الجمان في تشبيهات القرآن ص٢٣٩، انوار الربيع ٥:٢١٩.
٣- ابن المعتز : البديع ص ٧١.
٤- العقد الفريد ٧:٧٥ ، ٢:٢٧٥.
٥- الثعالبي : الاعجاز والايجاز ص ٥٢.
٦- الجمان في تشبيهات القرآن ص ٢٣٩.
٧- المزهر في علوم اللغة ٢:٣٥٢.

الأقلام ، يقول : [1]

يَخرُجنَ من فرجاتِ النّقع داميـــــــةً   كأنَّ آذانها أطرافُ أقـــــــلام

وتضافرت عناصر كثيرة في تشكيل صورة المرأة في شعره ، إذا استمد معظم تلك العناصر من التراث ، خصوصاً عندما كان يتحدث عنها في مطالع قصائده ، ولكنه انتزع بعض صورها من البيئة المترفة التي عاش ، في ظل بني أمية ، كقوله : [2]

فلقَد ثنيتُ يدَ الفتـــاةِ وســـــادةً   لي جاعلاً يسرى يديَّ وسادَهــــا

ومن صوره الجميلة التي استحوذت على اهتمام النقاد وإعجابهم صورة أم القاسم التي شبّهها بجؤذر جاسم الذي أتعبه النعاس ، فذبلت عيناه ، وبقي بين النوم واليقظة ، وعلق النقاد على هذه الصورة تعليقات طريفة ، وأثنوا على عديّ لحسن تأنقه في رسم صورة العيون الناعسة ، وعدّه جرير أنسب الشعراء لقوله هذا .

قال أبو الفرج : [3] « قال نوح بن جرير لأبيه ، يا أبت من أنسب الشعراء ؟ قال له : أتعني ما قلت ؟ قال : إنّي لست اريد من شعرك ، إنّما أريد من شعر غيرك . قال : ابن الرقاع في قوله:

لولا الحياءُ وأنّ رأسي قد عســـــــا   فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسِـــــــمِ

الثلاثة الأبيات ، ثم قال لي : ما كان يبالي إن لم يقل بعدها شيئاً ».

١- العقد الفريد ١:١١١ ، نهاية الأرب ١:٢

٢- الطرائف الأدبية ص ٨٩.

٣- الاغاني ٩:٣٠٧.

وكأنها بين النساء أعارهـــــــا   عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت   في عينه سنة وليس بنائـــــم

فعلى الرغم من حسد جرير له ، فإنه أصدر على شعره هذا الحكم ، وعدّه في مقدمة شعراء النسيب.

وقال الأصمعي في نعت هذه الأبيات : « ولا وصف أحد عيني امرأة إلاّ احتاج إلى قول عدي بن الرقاع السابق »[1].

وذكر أبو الفرج أنه عندما عرض هذا الشعر على أبي عمرو قال : أحسن والله ! فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابي كأنه مدني :« أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعة ، وقضبان الدفلى تأخذه لكنت أشد له استحسانا . يعني إذا كان يغني على العود »[2].

ونقل أبو الفرج هذه الرواية على لسان عمرو بن أبي عمرو فقال :[3] « كنت عند أبي ورجل يقرأ عليه شعر عديّ بن الرقاع . فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها «لولا الحياء» قال أبي : أحسن والله عدي بن الرقاع . قال : وعنده شيخ مدني جالس ، فقال الشيخ : والله لئن كان عدي أحسن لما أساء أبو عباد . قال أبي : ومن هو أبو عباد ؟ قال : معبد ، والله لو سمعت لحنه في هذا الشعر لكان طربك أشدّ واستحسانك له أكثر . فجعل أبي يضحك».

وكان أبو عبيدة يستحسن بيت عديّ « وسنان أقصده ...» ويقول : ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر[4] . وعلق القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني بقوله :[5] وأما قول عدي : «وسنان أقصده النعاس فرنقت » فقد زاد به على كل من تقدم ، وسبق بفضله جميع من تأخر ، ولو قلت اقتطع هذا المعنى فصار له ، وخطر على الشعراء

١- المرزباني : نور القبس ص ١٤٨.
٢- الاغاني ٣٠٤:٩.
٣- الأغاني ٣٠٦:٩.
٤- الاغاني ٣٠٥:٩.
٥- الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٢.

ادعاء الشرك فيه ما بعدت عن الحق ولا جانبت الصدق.

واستحسن أبو هلال العسكري هذه الصورة فقال: [1] «قال أبو عمرو لأصحابه ما أحسن ما قيل في العيون؟ قال بعضهم قول جرير:

إنّ العيونَ التّي في طَرْفِها حَوَرٌ قتلننا ثمّ لم يحيينَ قتلانا
يصرعنَ ذا اللّبِ حتّى لا حراك بهِ وهنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ أركانا

وقال آخر قول ذي الرمة:

وعينان قالَ اللّهُ كونا فكانتا فعولان بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ

وقال آخر بل قوله:

يُذَكِّرُني ميّا من الظبيِ عينُهُ مِراراً وفاها الأقْحوانُ المنوّرُ

فقال أبو عمرو: أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع:

وكأنّها بين النّساءِ أعارَها عينيه أحورُ من جآذر جاسِمِ
وسنانُ أقصدَهُ النُّعاسُ فرنّقَتْ في عينه سِنةٌ وليسَ بنائمِ.

وذكر القالي أن كل من يصف عيني امرأة يحتاج إلى قول عدي السابق. [2] وأما الثعالبي فلم يسمع للمتقدمين شعراً في الغزل أملح وأطرف وأغنج من قول عدي في تشبيه المرأة بالظبي الوسنان الذي هو بين النائم واليقظان [3].

١- ديوان المعاني ١:٢٣٥.
٢- الأمالي ١:٥١١.
٣- الثعالبي: خاص الخاص ص ٨٣.

ومن الصور التي استحسنها الأصفهاني صورة بكاء الحمام التي أوردها عدي في مقطوعته الميمية [1] ، وقد عدّها الحسن اليوسي من مستحسن ما للأولين [2]:

قال أعرابي للأصمعي : ألا تنشدني يا أصمعي شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ، فأنشده قول عدي بن الرقاع : [3]

وناعِمَةٍ تجلو بعـــودِ أراكَـــةٍ مُؤَشَّرةٍ يسبـــي المعانقَ طيبُها

كأن بها خمراً بماء غمامـــةٍ إذا ارتُشِفَتْ بعدَ المـنامِ غروبُهـا

أراكَ إلى نجــدٍ تحنُّ وإنَّمـا منى كلّ نُفسٍ حيثُ كانَ حبيبُهـا

وعدّ المبرد من التشبيه المليح قول عدي : [4]

وكأنّ سُعْـــدى إذ تودّعنُـا وقد اشرأبَّ الدَّمْعُ أن يكفِـا

رشأ تواصينَ القـــيانُ بـــهِ حتّى عقدنَ بأذنِـــهِ شَنَفـا

ومن الصور الغزلية الجميلة التي أعجب النقاد بها قول عديّ :

يصطادُ يقظانَ الرّجـــالِ حديثُها وتطيرُ بهجتُها بروحِ الحالـــمِ

فقد أورد استعارتين في هذا البيت ، إذ جعل حديثها يصطاد، وبجهتها تطير بروح

١- ديوانه : ٢٦٦،الزهرة ١:٣٣٣.

وبما شجاني أنني كنت نائمـــاً أعلل من فرط الكرى بالتنسم

إلى أن بكتب ورقاء في غصن أيكة تردد مبكاها بحسن الترنّـم

فلو قبل مبكاها بكت صبابـــة بليلى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهاج لي البكـا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

٢- الحسن االسيوسي:زهر الأكم في الأمثال والحكم ٢:١٦٨.

٣- زهر الآداب ١:٤٠٢ ، زهر الأكم في الأمثال والحكم ٢:١٢١.

٤- الكامل في اللغة والأدب ٢:٩٢ ، رغبة الأمل ٧:٥٠.

الحالم، فنعتها الشريف المرتضي [1] والآمدي [2] بالحسن.

ونعت المبرد قول عدي: [3]

إليك رَمَتْ بالقوم خِوصٌ كأنَّما   جَماجِمُها فوقَ الحِجاج قُبورُ

بأنه تشبيه جيّد، واستطرف قوله: [4]

تُعاطيكَها كفٌ كأنّ بنانَها   إذا اعترضَتْها العينُ صفٌ مداري

وعدّه من التشبيه الحسن.

وقال أبو بكر محمد بن الحسن عن مقطوعة عدي اللامية:

هل أنْتَ منصرفٌ فتنظرَ ما ترى   أبقى الحوادثُ من رسوم المنزِلِ

إنّها من أحسن ما خوطبت به الديار [5].

واعتبر الأصمعي وابن الشجري قافيته التي يقول فيها:

فقمتُ أخبرُهُ بالغيثِ لـمَ يَرهُ   والبرقُ إذ أنا محزونٌ له أرِقُ

أحسن ما قيل في وصف البرق والغيث [6].

١- الشريف المرتضى: طيف الخيال ص ٢٢٨.

٢- الموازنة ص ١٨٦.

٣- الكامل في اللغة والادب ٢:٩٥، رغبة الآمل ٧:٥١.

٤- الكامل في اللغة والادب ٢:٩٥، رغبة الآمل ٧:٥١.

٥- الانوار ومحاسن الاشعار ٢:٤١.

٦- ديوانه: ١٤٥، الحماسة الشجرية ٢:٧٨٣، الأزمنة والامكنة ٢:٢٤٤، التصحيف والتحريف ص ١١١.

حتى إذا المنظر الغربيّ جاد دماً   من حمرة الشمس لمّا اغتالها الأفق

ألقى على ذات أجفار كلاكله   وشب نيرانه وانجاب يأتلق

ناراً يراجع منها العود جدته   والنار تسفع عيداناً فتحترق

وبات يجتلب الجوزاء درتها   بنوئها حيث هاجت مربع لثق

يبكي ليدرك محلاً كان ضيعه   بريق سبط منه ينزهق

وتتجلى براعة عديّ الفنية وإبداعه في رسمه لصورة الغبار المثار نتيجة لعراك حماري الوحش وعدوهما ، فأطلق النقاد عبارات الإعجاب والثناء على هذه الصورة الطريفة البارعة، فالمرزباني يعتبرها ممّا يستحسن من قول عدي [1] ، والعسكري لا يعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من قول عديّ ، وقال عنه :«أبرع استعارة وأنصع عبارة » [2] واختصّ عدي بهذه الصورة ، ولم يشاركه فيها أحد ، إذ يقول أبو تمام الطائي : [3]

تُثيرُ عَجاجَــــةً في كـــلّ ثغرٍ يَهيمُ بها عديٌّ بنُ الرِّقـــاعِ

وهكذا نجد أحكاماً مختلفة أطلقها النقّاد على شعر عديّ ، فاستحسنوا كثيراً من صوره وتشبيهاته ، وعدوّها فريدة في نوعها ، وأعجبوا بها ، وهم بذلك يمثلون ذوقهم وذوق عصرهم واختلاف مذاهبهم في النقد ، وقد نتّفق معهم أو نختلف ، ولكن ما قصدنا إليه هو بيان جملة من تشبيهاته واستعاراته التي اشتهر بها ، وبيان ما حظي به شعره من اهتمام النقاد ، ونظرهم فيه، ودراستهم له ، وتقديرهم لشاعريته ، وفي نماذج شعره التي أوردناها في دراستنا لأغراض شعره أمثلة وافرة لهذه الضروب من التصوير التي أظهر في كثير منها براعته واقتداره على رسم صوره.

١- معجم الشعراء ص ٧٨.

يتعاوران من الغبار مـــــلاءة بيضاء مخْمَلَةً هما نسجاهـــا

تطوي إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنابك أسهلت نشراها

فالمح واعتزمت من عليه بشأوهـــا شرفين ثمت ردها فثناهـــا

٢- ديوان المعاني ٢: ١٣١.

٣- زهر الآداب ٢: ٩٢٦.

حاولت في هذا البحث أن أدرس حياة شاعر أهل الشام عدّي بن الرقاع وشعره ، وهو من أكبر شعراء الشام في العصر الأموي . وقبل أن أبدأ بدراسة حياته وشعره ، كان لا بدّ لي من الوقوف عند قبيلة «عاملة» والحديث عنها ، فهي قبيلة قحطانية يمانية ، هاجرت من اليمن إثر انهيار سد مأرب ، فاستقرّ أكثر أبنائها في بلاد الشام ، وهاجر قسم منهم إلى الحيرة ، وقد رجح عندي ضعف نسبتها إلى مضر.

وخضعت «عاملة» في الجاهلية لسلطان القياصرة ، ووقفت إلى جانبهم في حروبهم مع المسلمين ، ودان قسم من أبنائها بالنصرانية ، وعبد آخرون الأصنام . وبعد دخولها في الإسلام لعبت عاملة وأخواتها من القبائل اليمانية دوراً مهماً في الحياة السياسية ، إذ ساندت بني أمية في حروبهم مع أعدائهم ، ودعمت خلافتهم.

واعتمدت في دراسة حياة عديّ على الأخبار التي عثرت عليها ، وحاولت أن أجلو بعض الغموض الذي يكتنفها ، بما ورد في شعره من معلومات مفيدة ، وتبيّن لي أن ولادته كانت في منطقة «بيسان» من الأردن في نهاية العقد الثالث أو بداية العقد الرابع من القرن الأول الهجري ، وقد نشأ في تلك المنطقة ، وكان يتنقّل منها إلى بقية المناطق.

وفي سبيل تحديد ملامح شخصية عديّ تعرضت لصفاته ، وتحدّثت عن أخلاقه التي أثرت عنه ،وكانت وفاته في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ولا يستبعد أن تكون في حدود سنة ١٠١ للهجرة.

وفي حديثي عن علاقات عدي ومواقفه بدا لي أنه لم يحظ بمنزلة عالية عند عبدالملك ابن مروان كالتي احتلها عند ابنه الوليد الذي آثره على غيره واحتفل به ، وأجزل له العطاء . وكانت علاقاته بسليمان بن عبدالملك ضعيفة ، وكان على علاقة طيبة بعمر بن عبدالعزيز، فمدحه ونال جائزته ، أما صلته مع معاصريه من الشعراء فتميزت بالحسد والتنافس ، إذ تعرّض

له جرير مرّات كثيرة في مجلس الوليد بن عبدالملك ليهجوه ويحطّ منه ، وحاول كثير عزّة النيل منه ، وهجاه الراعي النميري ، ويحيى بن أبي حفصة الأموي ، وأبو القمقام بحر بن السقا.

ولّما فرغت من بسط هذه المسائل التي حدّدت سيرة حياته واتصلت بشعره اتصالاً مباشراً ، درست أغراض شعره ، فظهر لي أنه صرف عنايته إلى فن المدح الذي قامت عليه شهرته ، فخصّ الوليد بن عبدالملك بأكثر مدائحه ، ومدح ابنه عمر ، كما مدح عمر بن عبدالعزيز . وشارك شعراء بني أمية مشاركة قوية في المناداة بمذهب الجبر الذي كان الأمويون أنفسهم ينادون به ،ودافع عن حقهم في الخلافة ، ونعتهم بالصلاح والتقوى والجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين والشجاعة والحزم والكرم . فكان بحق شاعر بني أمية كما نعته الوليد.

وأما مدحه لرجالات عصره فاختلف عن مدحه لخلفاء بني أمية ، إذ اقتصر فيه على ذكر مناقبهم العربية ، وعراقة النسب والشجاعة .

ولم يفرد عديّ للغزل قصائد خاصة ، وكان غزله مادياً ، لم يخرج عن قواعد الحياء ، والعفّة ، فوصف جمال المحبوبة وشبّهها بالغزال في رقّتها ، ووصف ريقها وعينيها وبشرتها ، وتحدّث عن حياة النعيم والترف التي عاشها مع المرأة .

وكان لفنّ الوصف حظّ وافر في شعره ، فوصف الأطلال وما حلّ بها بعد أن هجرها أصحابها ، وبيّن صعوبة تعرّفه عليها بسبب اندثار معالمها ، وقد ألمّ بمعظم عناصر الطلل التقليدية في شعره ، ووصف بيئة الشام ومناظرها الجميلة الخلاّبة ، فظهر أثر هذه البيئة في شعره بشكل واضح .

ووصف رحلة الظعن ، فتحدّث عن ألم الفراق الذي أصابه بسبب رحيل صاحبته ، وعرض لحيوان الصحراء ، فتحدّث عن الناقة ، وعدّد صفاتها ، ووصف أجزاءها وصفاً دقيقاً،

وشبّهها بحمار الوحش تارة ، وبالقطا تارة أخري ، ليدلّل على صلابتها وقوّتها، وتحدّث عن الشباب والشيب ووصف الخمر وصفاً حسيّا ماديّا ، كما وردت في شعره بعض المواعظ والحكم بشكل عفوي.

وفي دراستي لخصائص شعره الفنية استقام لي أنّه لم يخرج في بناء قصيدته على أساليب القدماء ، إذ التزم بعناصر البناء التقليدية المختلفة التزاماً كبيراً ، فكان يبدأ قصائده بالمقدّمات الطللية في أغلب الأحيان ، ثم ينتقل إلى الموضوع الأساسي الذي أنشأ القصيدة من أجله ، وكان يحسن التخلّص من موضوع إلى موضوع.

وتراوحت لغته بين السهولة والغموض ، فكانت تسهل في المدح والغزل ، وتصعب في حديثه عن حيوان الصحراء . وقد أكثر من استخدام الصور الفنيّة متكئاً على التشبيه والمحسّنات اللفظية كالطباق والجناس والتقسيم ، دونما إسراف وتكلّف .

ولعديّ صور تشبيهية جميلة انتزعها من البيئة التي عاش فيها ، وهي تدلّ على مقدرته الكبيرة في تشكيل الصور الشعرية ، فجمع فيها كلّ ما يمكن أن يجمع في الصور الفنيّة المتقنة.

وصدرت آراء وأحكام نقديّة كثيرة حول شعره ، أشادت في معظمها بموهبته الشعريّة وصوره الفنيّة ، واعترف له النقّاد بجمال صوره وعدّوا بعضها فريداً في نوعه وأعجبوا بها.

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة:

- **ابن عساكر** : أبو القاسم علي بن الحسين (-٥٧١ هـ) تاريخ دمشق . مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

- **الكتبي** : محمد بن شاكر (-٧٦٤ هـ) عيون التواريخ . مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

المصادر المطبوعة:

- **القرآن الكريم.**

- **الآمدي:** أبو القاسم الحسن بن بشر (-٣٧٠هـ)

١- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - تحقيق السيد أحمد صقر: دار المعارف بمصر ١٩٦١

٢- المؤتلف والمختلف - تحقيق عبدالستار فراج: دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٩٦١.

- **ابن الأثير :** عزالدين علي بن محمد الجزري (-٦٣٠ هـ).

١- الكامل في التاريخ دار صادر ، بيروت، ١٩٨٢.

٢- اللباب في تهذيب الأنساب / مكتبة القدسي، القاهرة ،١٣٥٦هـ.

- **ابن الأثير :** ضياء الدين نصر الله بن محمد (-٦٣٧هـ)

١- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد: المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٦.

٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد: البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩.

- **ابن الأثير :** مجد الدين المبارك بن محمد (-٦٠٦ هـ) المرصع - تحقيق د. ابراهيم السامرائي مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٧١.

- **الأحوص بن محمد الأنصاري**

شعر الأحوص - جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي مكتبة الأندلس ، بغداد ١٩٦٩.

– **الأزهري** : أبو منصور (–٣٧٠هـ)

تهذيب اللغة – تحقيق عبدالسلام محمد هارون: الدار المصرية للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤.

– **الأسود الغندجاني** : أبو محمد الأعرابي

أسماء خيل العرب وفرسانها – تحقيق محمد علي سلطان دمشق ١٩٨١.

– **الأصفهاني** : أبو بكر محمد بن داود (–٢٩٧هـ)

الزهرة – تحقيق د. إبراهيم السامرائي

مكتبة المنار ، الزرقاء ١٩٨٥.

– **الأصفهاني** : حمزة بن الحسن (–٣٥١ هـ)

الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة – تحقيق عبدالمجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢.

– **الأصفهاني** : أبو الفرج علي بن الحسين (–٣٥٦ هـ) :

الأغاني – تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥ –١٩٦٤

– **ابن أعثم** : أحمد الكوفي (–٣١٤ هـ) :

كتاب الفتوح ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آبار ١٩٦٨.

– **الأعشى** : ميمون بن قيس :

ديوان الأعشى – تحقيق د. محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣.

– **البحتري** : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (– ٢٨٤هـ) :

حماسة البحتري – تحقيق كمال مصطفى ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٢٩.

- **البسوي** : أبو يوسف يعقوب بن سفيان (-٢٧٧هـ) :

المعرفة والتاريخ - تحقيق أكرم ضياء الدين العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١

- **البصري** : صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسين (-٦٥٦هـ) :

الحماسة البصرية ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٣

- **البغدادي** : عبدالقادر بن عمر (١٠٩٣هـ) :

شرح أبيات مغنى اللبيب - تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٩٧٣

- **ابن بكار** : الزبير (-٢٥٦ هـ) :

الأخبار الموفقيات - تحقيق سامي مكي المعاني ، رئاسة ديوان الأوقاف ، بغداد ١٩٧٢.

- **البكري** : أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (-٤٨٧هـ)

١- سمط اللالي - تحقيق عبدالعزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦.

٢- معجم ما استعجم - تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥.

- **البلاذري** : أحمد بن يحيى بن جابر (-٢٧٩هـ)

١- أنساب الأشراف : الجزء الأول - تحقيق محمد حميد الله دار المعارف بمصر ١٩٥٩.

٢- أنساب الأشراف : الجزء الرابع ، القسم الثاني ، مطبعة الجامعة ، القدس ١٩٣٨.

٣- أنساب الأشراف : الجزء الخامس ، مكتبة المثنى ، بغداد

٤- فتوح البلدان تحقيق عبدالله الطباع وعمر الطباع ، دار النشر للجامعيين ١٩٥٧.

- **البيروني** : أبو الريحان محمد بن أحمد (-٤٤٠هـ) :

الآثار الباقية عن القرون الخالية/ ، ف.أ. بروك هاوس ، ليبزج ١٩٢٣.

- **أبو تمام** : حبيب بن أوس الطائي (-٢٣١هـ)

١- ديوان الحماسة - تعليق محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة صبيح ، القاهرة ١٩٥٥.

٢- نفائض جرير والأخطل - تعليق أنطوان صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ١٩٢٢.

٣- الوحشيات - تحقيق عبدالعزيز الميمني ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣.

- **التيفاشي** : أبو العباس أحمد بن يوسف

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس - تحقيق د. إحسان عباس. ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠.

- **الثعالبي** : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (-٤٢٩ هـ)

١- الإعجاز والإيجاز - شرح اسكندر آصف ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧.

٢- خاص الخاص - تصحيح محمود السكري ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٠٨.

- **الجاحظ** : أبو عثمان عمرو بن بحر (-٢٥٥هـ)

١- البرصان والعرجان والعميان والحولان - تحقيق محمد مرسي الخولي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١.

٢- البيان والتبيين - تحقيق فوزي عطيوي، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ١٩٦٨.

٣- الحيوان - تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨.

- **الجرجاني :** علي بن عبدالعزيز بن الحسن (-٣٩٢ هـ) :

الوساطة بين المتنبي وخصومه – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١.

- **الجرجاني:** أبو العباس أحمد بن محمد (-٤٨٢ هـ) :

المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء – تحقيق محمد بدر الدين النغساني ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٨.

- **جرير بن عطية الخطفي (-١١٠ هـ) :**

ديوان جرير – تحقيق نعمان محمد أمين طه دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩.

- **الجوهري :** أبو نصر إسماعيل بن حماد (-٣٩٣هـ):

الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤.

- **الحاتمي :** محمد بن الحسن بن المظفر (-٣٨٨هـ) :

حلية المحاضرة في صناعة الشعر – تحقيق د. جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٧٩.

- **حازم القرطاجني (-٦٨٤ هـ):**

منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس١٩٦٦.

- **ابن الحائك الهمداني :** لسان اليمن الحسن بن أحمد :

صفة جزيرة العرب – تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٤

- **الحريري** : أبو محمد القاسم بن علي (-٥١٦هـ):

درة الغواص في أوهام الخواص، مكتبة المثنى ، بغداد - طبعة اوفست عن طبعة ليبزج ١٨٧١.

- **ابن حزم** : أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (-٤٥٦هـ):

جمهرة أنساب العرب - تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢

- **حسان بن ثابت الأنصاري (-٥٤ هـ) :**

شرح ديوان حسان - ضبط وتصحيح عبدالرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨١.

- **الحصري** : أبو إسحق إبراهيم بن علي القيرواني (-٤٥٣ هـ) :

زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٣.

- **الحلبي** : شهاب الدين محمود (-٧٢٥هـ):

حسن التوسل إلى صناعة الترسل - تحقيق أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠.

- **الخالديان** : أبو بكر محمد بن هاشم (-٣٨٠هـ) وأبو عثمان سعيد بن هاشم (-٣٩١هـ) :

المختار من شعر بشار - تصحيح وتعليق محمد بدر الدين العلوي

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهر ١٩٣٤.

- **ابن خلدون** : عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (-٨٠٨هـ) :

تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦.

– **ابن خلكان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (–٦٨١هـ) :

وفيات الأعيان – تحقيق د. إحسان عباس دار صادر ، بيروت ١٩٧٨.

– **ابن خياط** : خليفة بن خياط العصفري (–٢٤٠هـ):

تاريخ خليفة بن خياط – تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب ، النجف ١٩٦٧.

– **ابن دريد** : أبو بكر محمد بن الحسن (–٣٢١هـ):

الاشتقاق – تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٨.

– **الدينوري** : أبو حنيفة أحمد بن داود (–٢٨٢هـ):

الأخبار الطوال – تحقيق عبدالمنعم عامر، دار المسيرة ، بيروت ١٩٥٩

– **الذهبي** : محمد بن أحمد بن عثمان (–٧٤٨هـ):

سير أعلام النبلاء – تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢.

– **الرازي** : أبو حاتم أحمد بن حمدان (–٣٢٢هـ):

الزينة في الكلمات الإسلامية العربية – تعليق حسين بن فيض الله الهمداني ، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ١٩٥٨.

– **الراعي النميري** :

ديوان الراعي النميري – تحقيق راينهرت فابيرن ، المركز الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت ١٩٨٠.

– **ابن رشيق** : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (–٤٥٦هـ):

العمدة –تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٤.

- **ابن الرقاع:** عديّ بن الرقّاع العاملي

ديوان عديّ بن الرّقاع العاملي تحقيق نوري حمودي القيسي، وحاتم الصامن . مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧.

- **الزبيدي :** محب الدين محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ):

تاج العروس - تحقيق عبدالعزيز مطر وآخرين ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٠.

- **الزبيري :** ابو عبدالله المصعب بن عبدالله (-٢٣٦هـ):

نسب قريش - تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال ، دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٥٣.

- **الزمخشري :** محمود بن عمر (-٥٣٨هـ)

١- أساس البلاغة: دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٢.

٢- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - تحقيق سليم النعيمي: مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٦.

- **زهيربن أبي سلمى:**

ديوان زهير - تحقيق كرم البستاني دار صادر ، بيروت ١٩٦٠.

- **ابن سعد :** أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري (-٢٣١ هـ):

الطبقات الكبرى - تصحيح ستر ستين ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٢٢ هـ.

- **ابن سلام :** ابو عبدالله محمد بن سلام الجمحي (-٢٣١ هـ) طبقات الشعراء، مطبعة بريل ، ليدن ١٩١٣.

- **السمعاني :** أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ):

الأنساب - تحقيق محمد عوامه، نشر محمد أمين دمج ١٩٨٠.

- **ابن سيده :** أبو الحسن علي بن إسماعيل (-٤٥٨هـ) :

المحكم والمحيط الأعظم في اللغة – تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨.

– **السيوطي :** جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (–٩١١ هـ)

١– تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد بيروت.

٢– شرح شواهد المغني ، لجنة التراث العربي ، دمشق ١٩٦٦.

٣– المزهر في علوم اللغة وأنواعها – تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين. ، دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٢٦هـ.

– **ابن الشجري :** أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد (–٥٤٢ هـ) :

الحماسة الشجرية – تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٠.

– **الشريشي :** أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن (–٦١٩هـ):

شرح مقامات الحريري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٩.

– **الشريف المرتضى:** علي بن الحسين الشريف المرتضى (–٤٣٦هـ)

١– أمالي المرتضى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٤.

٢– طيف الخيال – تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٢.

– **الشمشاطي :** أبو الحسن علي بن محمد العدوي (–٣٧٧هـ):

الأنوار ومحاسن الأشعار – تحقيق السيد محمد يوسف، وزارة الإعلام ، الكويت ١٩٧٧

– **الصفدي** : صلاح الدين خليل بن أيبك (–٧٦٤هـ):

تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٩.

– **الصغاني** : الحسن بن محمد (–٦٥٠هـ)

١– التكملة والذيل والصلة – تحقيق عبدالعليم الطحاوي : دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠

٢– العباب الزاخر واللباب الفاخر – تحقيق محمد حسن آل ياسين ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١.

–**الصولي** : أبو بكر محمد بن يحيى (–٣٣٥هـ):

أخبار أبي تمام – تحقيق خليل محمود عساكر وآخرون ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٠.

– **ابن طباطبا** : أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (–٣٢٢هـ):

عيار الشعر – تحقيق عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢.

– **الطبري** : أبو جعفر محمد بن جرير (–٣١٠هـ):

تاريخ الأمم والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ١٩٦٧.

– **طرفة بن العبد** :

ديوان طرفة تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٥

– **العاملي** : بهاء الدين محمد (–١٠٣١هـ)

١– الكشكول – تحقيق طاهر احمد الزاوي ، دار إحياء الكتب العربية.

٢– المخلاه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٧.

- **ابن عبدربه :** أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (-٣٢٨هـ):

العقد الفريد - تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر ١٩٤٠ .

- **ابن عبدالبر :** أبو عمر يوسف بن عبدالله (-٤٦٣هـ)

١- الإنباه على قبائل الرواة: مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ.

٢- بهجة المجالس - تحقيق محمد مرسي الخولي: دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢ .

- **أبو عبيدة معمر بن المثنى (-٢٠٧ أو ٢١٣هـ)**

١- كتاب الخيل : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٨هـ.

٢- نقائض جرير والفرزدق: مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٧ .

- **ابن عساكر:** ابو القاسم علي بن الحسين (-٥٧١هـ):

تاريخ دمشق : الجزء الأول - تحقيق صلاح الدين المنجد ، المجمع العلمي العربي ، دمشق

- **العسكري :** أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد (-٣٨٢هـ):

التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه، مطبعة الظاهر ، القاهرة ، ١٩٠٨ .

- **العسكري :** أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (-٣٩٥هـ)

١- ديوان المعاني: مكتبة القدسي ، القاهرة ١٩٣٣

٢- الصناعتين ، تحقيق البجاوي وأبي الفضل: دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٢ .

- **الغزولي:** علاء الدين بن عبدالله (-٨١٥هـ):

مطالع البدور في منازل السرور، مطبعة دار الوطن ، ١٣٠٠هـ

- **الفيروز أبادي :** مجد الدين محمد بن يعقوب (-٨٢٣هـ):

القاموس المحيط، المؤسسة العربية ، بيروت ١٩٥٢ .

- **القالي** : أبو علي إسماعيل بن القاسم (-٣٥٦هـ):

الأمالي، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣.

- **ابن قتيبة** : أبو محمد عبدالله بن مسلم (-٢٧٦هـ)

١- الأنواء: مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٦.

٢- الشعر والشعراء: دار إحياء العلوم ، بيروت ١٩٨٤.

٣- عيون الأخبار: دار الكتاب العربي ، بيروت ، صورة عن طبعة دار الكتب ١٩٢٨.

- **قدامة بن جعفر (-٣٣٧هـ)**

١- الخراج وصناعة الكتابة - تحقيق محمد حسين الزبيدي : دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨١.

٢- نقد الشعر - تحقيق كمال مصطفى : مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٣.

- **القلقشندي** : أبو العباس أحمد بن علي (-٨٢١هـ)

١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا.: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

٢- قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان - تحقيق إبراهيم الإبياري: دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٣.

٣- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق إبراهيم الإبياري : الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩.

- **القيرواني** : عبدالكريم النهشلي:

الممتع في صناعة الشعر - تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٧.

– **كثير بن عبدالرحمن بن الأسود (–١٠٥هـ) :**

ديوان كثير عزة – جمع وشرح د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١.

– **كعب بن زهير بن أبي سلمى (–٢٦هـ):**

شرح ديوان كعب صنعة السكري، دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٠.

– **ابن الكلبي :** هشام بن محمد بن السائب (–٢٠٤هـ):

الأصنام – تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباع والنشر ، القاهرة ١٩٦٥.

– **لبيد بن ربيعة (–٤١هـ):**

شرح ديوان لبيد – تحقيق د. إحسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت ١٩٦٢.

– **ابن ماكولا:** أبو نصر علي بن هبة الله (–٤٧٥هـ):

الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب – تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .، مطبعة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٩٦٣.

– **المبرد :** أبو العباس محمد بن يزيد (–٢٨٥هـ)

١– الكامل في اللغة والأدب، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٥١.

٢– نسب عدنان وقحطان – تحقيق عبدالعزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الهند١٩٣٦

– **المخيري :** أبو عبد الرحمن بن حمد بن زيد ،

المنتخب في ذكر قبائل العرب – تحقيق إبراهيم محمد الأصيل ،مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٢.

- **المرزباني :** أبو عبدالله محمد بن عمران (-٣٨٤ هـ)

١- معجم الشعراء - تحقيق عبدالستار فراج، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٩ .

٢- نور القبس المختصر من المتقبس - تحقيق رودلف زلهايم ، دار فرانتش شتايز ، فيسبادن ١٩٦٤.

- **المرزوقي :** أبو علي أحمد بن الحسن (-٤٢١هـ)

الأزمنة والأمكنة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدآباد الدكن ١٣٣٢ هـ.

المرصفي : سعيد بن علي (-١٣٤٩هـ):

رغبة الآمل من كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، القاهرة ١٩٢٧ .

- **المسعودي :** ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (-٣٤٦هـ)

١- التنبيه والإشراف - تصحيح عبدالله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، القاهرة ١٩٣٨.

٢- مروح الذهب . دار الأندلس ، بيروت ١٩٦٦ .

- **ابن المعتز :** أبو العباس عبدالله بن المعتز بالله (-٢٩٦هـ):

البديع - تحقيق أغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٢ .

- **ابن معصوم :** علي بن أحمد (-١١٢٠هـ) :

أنوار الربيع - تحقيق شاكر هادي شاكر

مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٦٨ .

- **المقدسي :** شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط ، بيروت (نسخة مصورة عن طبعة بريل

١٩٠٦).

-**ابن منظور** : أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (-٧١١هـ):

لسان العرب، دار صادر ، بيروت.

ابن منقذ: أبو المظفر أسامة بن مرشد الكتاني (-٥٨٤هـ):

المنازل والديار، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٩٦٥.

- **مؤلف مجهول** :

مجموعة المعاني، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ١٨٨٣.

- **النابغة الذبياني** :

زياد بن معاوية: ديوان النابغة - تحقيق كرم البستاني، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠.

- **ابن ناقيا البغدادي (٤٨٥ هـ):**

الجمان في تشبيهات القرآن - تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٨.

- **النويري** : شهاد الدين أحمد بن عبدالوهاب (-٧٣٣هـ):

نهاية الأرب في فنون الأدب، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب).

- **الواقدي** : محمد بن عمر بن واقد (-٢٠٧ هـ):

المغازي - تحقيق مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦.

- **ياقوت الحموي** : أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (-٦٢٦هـ):

معجم البلدان مكتبة الأسدي ، طهران ١٩٦٥.

- **اليعقوبي** : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (-٢٩٢هـ):

تاريخ اليعقوبي.، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ .

- **اليوسي** : الحسن

زهر الأكم في الأمثال والحكم، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٨١ .

المراجع الحديثة:

- **إحسان النص**

العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي / دار الفكر القاهرة، ١٩٧٣.

- **إيليا حاوي**

فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب /دار الثقافة ، بيروت. بدون تاريخ

- **د. جميل سعيد**

تطور الخمريات في الشعر العربي / مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٥.

- **جواد علي**

المفصل في تاريخ العرب /دار العلم للملايين : بيروت ١٩٧٨.

- **د. حسين عطوان**

١- شعراء الدولتين الأموية والعباسية / دار الجيل ، بيروت، ١٩٨١ .

٢- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي / دار المعارف بمصر، ١٩٧٤ .

٣- الوليد بن يزيد : عرض ونقد / دار الجيل ، بيروت ١٩٨١ .

- **خليل مردم بك**

شعراء شاميون / تحقيق عدنان مردم، دار صادر ، بيروت .

- **خير الدين الزركلي**

الأعلام : دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩.

- **شوقي ضيف**

١- التطور والتجديد في الشعر الأموي / دار المعارف بمصر ١٩٧٣

٢- الفن ومذاهبه في الشعر العربي/ دار المعارف بمصر ١٩٧٦.

٣- الشعر الإسلامي / دار المعارف بمصر ١٩٨١.

- **عبدالعزيز محمد الزير ومحمد بن عبدالله الأطرم :**

شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الأموي، كلية اللغة العربية بالرياض ١٩٧٢.

- **عبدالعزيز الميمني:**

الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٣٧.

- **د. عبدالقادر القط:**

في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩.

- **عمر رضا كحالة :**

معجم المؤلفين ،دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٥٧.

- **عمر فروخ:**

تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ، بيروت

- **فيليب حتى :**

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩.

- **د. كامل سلامة الدقس:**

وصف الخيل في الشعر الجاهلي،:دار الكتب الثقافية ، الكويت ١٩٧٥.

- **مجموعة من أدباء الأقطار العربية:**

الفخر والحماسة ، دار المعارف ، القاهرة

- **محسن الأمين العاملي:**

خطط جبل عامل – تحقيق حسن الأمين، مطبعة الإنصاف ، بيروت ١٩٦١.

- **محمد ضياء الدين الريس:**

عبدالملك بن مروان والخلافة الأموية ، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٦٩.

- **محمد عبدالعزيز الكفراوي :**

تاريخ الشعر العربي، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة

- **محمد كرد علي:**

خطط الشام، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣.

- **د. محمد محمد حسين:**

أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين ، دار النهضة ، بيروت ١٩٧٢.

- **د. مصطفى الشكعة :**

رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، عالم الكتب ، بيروت ١٩٧٩.

- **د. نبيه عاقل:**

خلافة بني أمية ، دمشق ١٩٧٢

- **د. نصرت عبدالرحمن**

١– شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ / مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٧٧

٢- الصور الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث / مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٨٢.

- **د. نوري حمودي القيسي:**

الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد ، بيروت ١٩٧٠.

- **د. وهب روميه :**

قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٨١.

- **د. ياسين الأيوبي :**

معجم شعراء لسان العرب، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠.

- **د. يحيى الجبوري:**

الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧٢.

- **د. يوسف حسين بكار:**

بناء القصيدة العربية ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩.

- **د. يوسف العش :**

الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان ، مطبعة جامعة دمشق١٩٦٥.

الدوريات:

- **مجلة الأزهر ، المجلد الثاني والعشرون**

مطبعة الأزهر ، ١٩٥٠.

- **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجمع العلمي العربي**

مطبعة ابن زيدون ، دمشق

أسماء بعض المواقع الشامية الواردة في شعر عديّ بن الرقّاع:

آلس: اسم نهر في بلاد الروم قريب من البحر ، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم ، عليه كان الفداء بين المسلمين والروم.

أثيدة: اسم موضع في بلاد قضاعة بالشام.

الأزارق: جمع أزرق وهو ماء مشهور يقع في شرقي الأردن.

أسيس: اسم ماء يقع في شرقي دمشق.

أعفر: حصن من أعمال فلسطين .

الأقصى: كورة كبيرة ذات قرى ومزارع قرب حلب، و كانت من ديار تغلب.

الأحص: موضع بنواحي حلب.

الإلاهة: قارة بالمساوة بين الكوفة و الشام.

الأوداة: مجمع أودية بين الكوفة و الشام.

البرقان: موضع بالشام.

بيت راس: قرية في الأردن ، سميت بذلك لانها تقع في رأس جبل ، وقرية في منطقة بيت المقدس أيضاً.

جاسم: قرية شامية من أعمال الجولان تقع على طريق دمشق طبريا،ولد بها ابو تمام.

الجد: ماء بني سعد بن قضاعة.

جوش: أرض لبني قين.

الجولان: هضبة بالشام

جيحان: نهر بالمصيصة بالثغر الشامي

حديجاء: قرية شامية

حمص: مدينة بالشام

الحوة: موضع ببلاد كلب

خرجاء الرويشد: ماء بين البصرة وحفر أبي موسى ، حفرها جعفر بن سليمان.

خناصرة: بلدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية

دلوك: بلدة في نواحي حلب ، كانت بها وقعة لأبي فراس الحمداني مع الروم

ذي المويقع: موضع بين الشام والمدينة

الرويشد: منطقة في الصحراء الأردنية

السكران: واد بمشارف الشام

السماوة: صحراء (بادية) بين الكوفة والشام وهي من أرض كلب.

سوي: اسم ماء مر عليه خالد بن الوليد لما قصد من العراق إلى الشام

شابك: موضع في منازل قضاعة بالشام

شرقي لبنان: معروفة

شريقي اللوّي: ناحية حوران والبلقاء

الطوانة: مدينة تقع ببلاد الروم مما يلي طرطوس

العجب: موضع بالشام

عظام: موضع بالشام

عفري: ماء بناحية فلسطين

عرْب: جبل دون الشام إلى العراق

غباء: موضع بالشام

غراب: موضع معروف بدمشق

غمر بني جذيمة: موضع بالشام بينه وبين تيماء منزلان من ناحية الشام

الغمر: موضع بالشام

الغوطة: معروفة بدمشق

فلسطين: معروفة

قراقر: واد لبني كلب بالسماوة نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام

القنينات: اسم حفر لكلب في بادية الشام معروف

الكهاتين: موضع بالشام

مآب: قرية من البلقاء بالشام

ماء المناظر: موضع في ديار عاملة بالبرية الشامية قرب عرض وهيت

ماء خالة: ماء لكلب بن وبرة في بادية الشام

المرج: هو مرج راهط قرب غوطة دمشق

المزاهر: موضع بالشام

مقد: قرية بالشام ينسب إليها الخمر ، كانت ملوك غسان تصطفي خمرها، وهي تشرف على الغور.

المويقع: بلد بين الشام والمدينة

نيان: موضع في بادية الشام


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



عديّ بن الرقاع العامليّ
حياته وشعره

د. حسين محمد الصلاح

هذا الكتاب

يتحدث هذا الكتاب عن اول شاعر مشهور عاش في منطقة بيسان في العصر الأموي. وقد لقب بشاعر اهل الأردن، وشاعر اهل الشام، واختص بالبيت الاموي، الأمر الذي انعكس على حياته وشعره المتميز بخصوصية لا نجدها عند غيره. وتعد هذه الدراسة أول دراسة علمية اكاديمية جادة عنه، فقد تناولت سيرته وسيرة قبيلته منذ هاجرت من اليمن على أثر انهيار سد مارب واستقرت في بلاد الشام، وعلاقاته مع خلفاء بني امية وخصومهم السياسيين، والشعراء المعاصرين له. كما تحدثت عن الأغراض الشعرية التي تناولها، وابداعه في رسم الصور الفنية الجميلة التي ميزته عن غيره، إذ امتاز شعره بتشبيهات انتزعها من بيئة الشام الجميلة التي عاش فيها، وهي تدل على مقدرته الفذة في تشكيل تلك الصور، وقد حشد حشدا كبيراً من أسماء المواقع الشامية في شعره، وصدرت اراء وأحكام نقدية كثيرة حول تلك الصور والتشبيهات أشادت في معظمها بموهبته الشعرية، واعترف له النقاد بجمالها وعدّوا بعضها فريدا في نوعه واعجبوا بها.

وزارة الثقافة - شارع وصفي التل - خلف جبري المركزي
عمان / الأردن ص.ب ٦١٤٠
هاتف : ٥٦٩٦٢١٨/٥٦٩٦٥٨٨/٥٦٩٧٦٨٧/٤٦٠٧٣٥٩
فاكس : ٥٦٩٦٥٩٨